(الجزء السابع عشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء السابع عشر
من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد)
آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح
الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع
بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة
ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع
من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

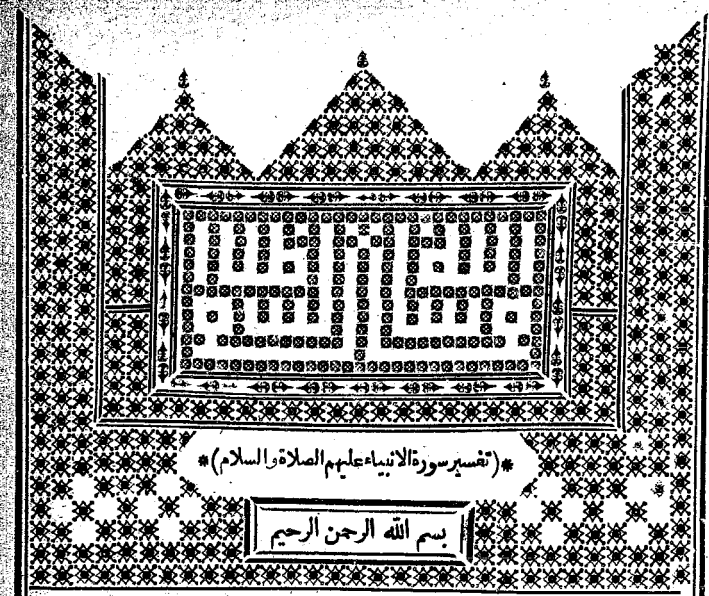

(سورة الانبياء عليهم السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن

القول في تأويل قوله تعالى ذكره (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) يقول تعالى ذكره دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمه التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم وأجسامهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم ومسئلته اياهم ماذا عملوا فيها وهل أطاعوه فيها فانتهوا الى أمره ونهيه في جميعها أم عصوه فخالفوا أمره فيها وهم في غفلة معرضون يقول وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن توبيخ محاسبته اياهم منهم واقترابه لهم في سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا التفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الاهوال * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وهم في غفلة معرضون قال أهل التأويل وجاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنى أبو معاوية قال أخبرنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم في غفلة معرضون قال في الدنيا القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) يقول تعالى ذكره ما يحدث الله من تنزيل شئ من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الآية يقول ما ينزل عليهم من شئ من القرآن الا استمعوه وهم يلعبون القول في تأويل قوله تعالى (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) يقول تعالى ذكره لاهية قلوبهم غافلة يقول ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن الا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لاهية قلوبهم يقول غافلة قلوبهم وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا يقول وأسر هؤلاء الناس الذين اقترب الساعة

منهم

منهم وهم فى غفلة معرضون لاهية قلوبهم النجوى بينهم يقول وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا هل هذا الذى يزعم انه رسول من الله أرسله اليكم الا بشر مثلكم يقولون هل هو الا انسان مثلكم فى صوركم وخلقكم يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقبلهم الذى أخبر به عنهم فى هذه الآيات انهم يفعلون ويقولون من الاعراض عن ذكر الله والتكذيب برسوله وللذين من قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا فى الاعراب وجهان الخفض على انه تابع للناس فى قوله اقترب للناس حسابهم والرفع على الرد على الاسماء الذين فى قوله وأسروا النجوى من ذكر الناس كما قيل ثم عموا وصموا كثير منهم وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ويكون معناه وأسروا النجوى ثم قال هم الذين ظلموا وقوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون يقول وأظهروا هذا القول بينهم وهى النجوى التى أسروها بينهم فقال بعضهم لبعض أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون انه سحر يعنون بذلك القرآن كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاءه به من عند الله زعموا انه ساحر وان ما جاءه به سحر قالوا أتأتون السحر وأنتم تبصرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم) * اختلفت القراء فى قراءة قوله قل ربى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين قل ربى على وجه الامر وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة قال ربى على وجه الخبر وكان الذين قرؤه على وجه الامر أرادوا من تأويله قل يا محمد للقائلين أتأتون السحر وأنتم تبصرون ربى يعلم قول كل قائل فى السماء والارض لا يخفى عليه منه شئ وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب العليم بصدق وحقيقة ما أدعوكم اليه وباطل ما تقولون وغير ذلك من الاشياء كلها وكان الذى قرؤا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد ربى يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه اياهم والقول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وجاءت بهما صاحف المسلمين متفقتا المعنى وذلك ان الله اذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله واذ قاله فعن أمر الله قاله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) يقول تعالى ذكره ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ولا انه من عند الله ولا أقروا بانه وحى أوحاه الله الى محمد صلى الله عليه وسلم بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها فى النوم وقال بعضهم هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه وقال بعضهم بل محمد شاعر وهذا الذى جاءكم به شعر فليأتنا بآية يقول قالوا فليجئنا محمد ان كان صادقا فى قوله ان الله بعثه رسولا الينا وان هذا الذى يتلوه علينا وحى من الله أوحاه الينا بآية يقول بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعى كما أرسل الاولون يقول كما جاءت به الرسل الاولون من قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وكناقة صالح وما أشبه ذلك من المعجزات التى لا يقدر عليها الا الله ولا يأتى بها الا الانبياء والرسل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أضغاث أحلام أى فعل حالم اغفى رؤيا رآها بل افتراه بل هو شاعر كل هذا قد كان منهم وقوله فليأتنا بآية كما أرسل الاولون يقول كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات والرسل **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام قال مشتبهة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أضغاث أحلام قال أهاويلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال تعالى ذكره بل قالوا ولا بعد فى الكلام ظاهر فيحقق بل لان الخبر عن أهل الجحود والتكذيب فاجتزئ بمعرفة السامعين

عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) القراءة قال ربى بالالف حمزة وعلى وحفص الباقون قل على الامر نوحى بالنون مدنيا للفاعل حفص غير الخزاز الباقون بالياء مجهولا * الوقوف الجزء السابع عشر معروض ج للآية مع احتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا يلعبون لان لاهية حال أخرى مترادفة أو متداخلة من ضمير يلعبون وهى لقلوبهم فى المعنى قلوبهم ط مثلكم ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول تبصرون ه والارض ز لاتفاق الجملتين مع استغناء الثانية عن الاولى العليم ه شاعر ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقول الاولون ه أهلكناها ج لابتداء الاستفهام مع اتحاد المقول يؤمنون ه لا تعلمون ه خالدين ه المسرفين ه ذكركم ه تعقلون ه آخرين ه يركضون ه طلتقدير القول تسألون ه ظالمين ه خامدين ه لاعبين ه من لدنا ه على جعل ان نافية والاصح انها للشرط فاعلمين ه زاهق لا تصفون ه والارض ط لان ما بعده مبتدأ يستحسرون ه لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا لا يفترون ه * التفسير قال جار الله اللام فى قوله للناس اما صلة لاقترب أو تاكيد لاضافة الحساب اليهم كقولك فى أزف الرحيل الحى أزف للحى الرحيل فيه تاكيدان من جهة تقديم الحى ومن جهة اظهار اللام ثم تزيد تاكيدا آخر من جهة وضع ضمير الحى مضافا اليه الرحيل موضع لام التعريف فيه فتقول أزف الحى رحيلهم والمراد اقترب للناس وقت

حسابهم وهو القيامة كقوله اقتربت الساعة فاذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب وغيره كأنه ملاهد في ساعة الثورة المتقدمة يقوله فستعلمون بين في أول هذه السورة ان وقت ذلك العلم قريب فان قيل كيف وصف بالاقتراب وقد مضى دون هذا القول أكثر من سبعمائة عام فالجواب ان كل ما هو آت قريب وانما البعيد الذي دخل في خبر كان قال القائل شعر فلا زال ما تحشاه أبعد من أمس * ولا زال ما تخشاه أبعد من غد * (٤) بعد يوم من أيام الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ومما يدل على أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقد وعد بعث خاتم النبيين في آخر الزمان وفي ذكر هذا الاقتراب تنبيه للغافلين وزجر للمذنبين فالمراد بالناس كل من له مدخل في الحساب وهو جميع المكلفين وما روى عن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون فمن باب اطلاق اسم الجنس على بعضه بالدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين من الغفلة والاعراض وغيرهما والذكر الطائفة النازلة من القرآن وقرئ محدث بالرفع صفة على المحل واحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث وأجاب الاشاعرة بانه لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه متجدد في النزول وانما النزاع في الكلام النفسي الذي لا يصح عليه الاتيان والنزول وزعم الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه ان حاصل قول المعتزلة في هذا المقام يؤل الى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لان قوله من ذكر يرد بهم محدث لا يدل على أن ذكرا ما محدث كما ان قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل لا ينقضه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا واذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الانسان حيوان وبعض الحيوان فرس وانه لا ينتج شيأ لان الكلية الكبرى شرط في انتاج الشكل الاول كما عرف في علم الميزان قلت ان * قال المعتزلة لا يحتاجون في اثبات دعواهم الى تركيب مثل هذا القياس لان مدعاهم يثبت بتسليم احدى مقدمتي القياس الذي ركبه وهي قوله بعض الذكر محدث لانه نقيض ما يدعيه الاشاعرة وهو لا شيء من القرآن بمحدث واذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر بالضرورة فظهر ان الامام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم لقائل أن يقول تتميما لقول المعتزلة اذا ثبت أن بعض القرآن محدث لزم أن يكون كله محدثا

لان القائل قائلان أحدهما ذهب الى قدم كله والثانى الى حدوث كله ولم يذهب أحد الى قدم بعضه وحدوث بعضه قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة من ربهم محدث لموافقة قوله بعد هذا قل ربى يعلم وقال فى الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن بالرحيم أنسب قوله تعالى يلعبون اللعب الاشتغال بما لا يعنى قوله لاهية هى من لهى عنه بالكسر اذا ذهل وغفل وفيه ان هم الا كالا نعام بل هم لا يحصلون من الاستماع والتذكير الا على مثل ما تحصل هى عليه (٥) آذانهم تسمع وقلوبهم لا تعى ولا تفقه ومعنى

* قال أبو جعفر وقال وما جعلناهم جسدا فوحد الجسد وجعله موحدا وهو من صفة الجماعة وانما جاز ذلك لان الجسد بمعنى المصدر كما يقال فى الكلام وما جعلناهم خلقا الا يأكلون وقوله وما كانوا خالدين يقول ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد أخبر الله عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قال الله تبارك وتعالى لهم ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم وانما كنا نرسل اليهم رجالا نوحى اليهم كما أرسلنا اليكم رسولا نوحى اليه أمرنا ونهينا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كانوا خالدين أى لا بد لهم من الموت ان يموتوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) يقول تعالى ذكره ثم صدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات فآتيناهم ما سألوه من ذلك ثم أقاموا على تكذيبهم اياها وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذى أتتهم به من آيات ربها وعدناها الذى وعدناهم من الهلاك على اقامتهم على الكفر بربهم بعد مجىء الآية التى سألوا وذلك كقوله جل ثناؤه فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وكقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الامم مع مجىء الآيات وقوله فأنجيناهم يقول تعالى ذكره فأنجينا الرسل عند اصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات ومن نشاء وهم اتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها وقوله وأهلكنا المسرفين يقول تعالى ذكره وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهلكنا المسرفين والمسرفون هم المشركون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) * اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم فيه حديثكم ذكركم من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيه ذكركم قال حديثكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال حديثكم أفلا تعقلون قال فى قد أفلح بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان نزل القرآن بمكارم الاخلاق ألم تسمعه يقول لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون * وقال آخرون بل عنى بالذكر فى هذا الموضع الشرف وقالوا معنى الكلام لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه شرفكم * قال أبو جعفر وهذا القول الثانى أشبه بمعنى الكلمة وهو نحو مما قال سفيان الذى حكينا عنه وذلك انه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) يقول تعالى ذكره وكم قصمنا من قرية والقصم أصله الكسر يقال منه قصمت ظهر فلان اذا كسرته وانقصمت سنه اذا انكسرت وهو ههنا معنى به أهلكنا وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال

وأسروا النجوى بالنواى اخفائها وجعلوها بحيث لا يفطن أحدها ولا يعلم انهم متناجون وفى واو أسروا وجهان أحدهما انه على لغة من يجوز الحاق علامة التثنية والجمع بالفعل اذا كان مقدما على فاعله وثانيهما وهو الاقوى ان الواو ضمير راجع الى الناس المقدم ذكرهم والذين ظلموا بدل منهم أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى مقدما عليه وعلى التقادير أراد وأسروا النجوى هؤلاء فوضع المظهر موضع المضمر تفصيلا على فعلهم بانه ظلم ثم أبدل من النجوى قوله هل هذا الا بشر الى قوله وأنتم تبصرون أى أتقبلون سحره تجيلا أن تحضرون هناك وأنتم ترون انه رجل مثلكم أو تعلمون انه سحر وأنتم من أهل البصر والعقل وجوز بعضهم أن يكون قوله هل هذا الا بشر الى آخره مفعولا لقالوا مضمرا وانما أسروا نجوى هذا الحديث لانهم أرادوا شبه التشاور فيما بينهم تحريا لهدم أمر النبى كما جاء فى كلام الحكماء ويرفع أيضا الى النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويجوز أن يسروا بذلك ثم يقولوا للرسول والمؤمنين ان كان ما تدعون حقا فاخبرونا بما أسررنا من قرآن ربى فعلى حكاية الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه قال انكم وان أخفيتم قولكم وطعنكم فان ربى عالم بذلك وانه من وراء عقابه بصف نفسه فى بعض المواضع بانه يعلم السر وذلك حين يريد تخصيصه بعلم الغيب ووصف نفسه ههنا بانه يعلم القول قال جار الله هذا كدلالته عز شأنه على العلم بالسر وزيادة وأقول هذا اذا كان اللام فى القول للاستغراق أما اذا كان للجنس فلا يلزم زيادة العلم اذ لا دلالة للعام على الخاص بل نقول العلم بالسر يستلزم العلم بالجهر بالطريق الاولى فلا مزية لاحدى العبارتين على الاخرى وهو السميع العليم خصص عليه بالمسموعات أو لانه عم

وقال الامام قدم السميع على العليم لانه لابد من اسماع الكلام أولا ثم من حصول العلم بمعناه قلت هذا قياس الغائب على الحاضر قوله بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر معنى هذه الاضرابات مع ملاحظة ماقبلها انهم أنكروا أولا كون الرسول من جنس البشر ثم كأنهم قالوا سلمنا ذلك ولكن الذى ادعيت انه معجز ليس بمعجز غايته انه خارق للعادة وليس كل ما هو خارق للعادة معجزا فقد يكون سحرا هذا اذا سلمنا على أن فصاحة القرآن خارجة (٦) عن العادة لكنا عن تسليم هذه المقدمة بمراحل فانا ندعى انه فى غاية الركاكة وسوء النظم كأضغاث أحلام وهى الاحلام المختلطة التى لا أصل لها وقدم فى سورة يوسف سلمنا انه كلام فصيح ولكنه لا يتجاوز فصاحة الشعراء واذا كان حال هذا المعجز هكذا فليأتنا بآية لا يتطرق اليها شئ من هذه الاحتمالات كما أرسل الاولون أى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن لاتيانهم بالآيات ومن تامل فى هذه الاقوال المحكية عن أولئك الكفرة علم انها كلام مبطل متحيرهائم فى أودية الضلال والايكفى فى اعجاز القرآن انهم عدلوا حين تحداهم به عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف ثم بين ان الآيات التى يقترحونها لافائدة لهم فيها لانهم أعنى من الامم السالفة وانهم ما آمنوا عند مجىء الآيات المقترحة فاهلكوا لاجل ذلك أفهم يؤمنون مع شدة شكيمتهم فيه معنى الانكار أى لا يؤمنون البتة وحينئذ يجب اهلاكهم ولكن قد سبق القول من الله ان هذه الامة أمنوا من عذاب الاستئصال ثم أجاب عن شبهتهم الاولى وهى قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا وقدم مثله فى آخر سورة يوسف وفى النحل وانما جاز الامر بالرجوع الى أهل الكتاب وان كانوا من الكفرة لان هذا الخبر قد تواتر عندهم وبلغ حد الضرورة على ان أهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قولهم عندهم حجة وقيل أهل الذكر أهل القرآن وضعف بانهم كانوا طاعنين فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يؤمرون بالرجوع الى قولهم واستدل كثير من الفقهاء بالآية فى أن للعامى أن يرجع الى فتيا العلماء والمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر وأجيب بانها خطاب مشافهة وارد فى الواقعة المخصوصة وفى السؤال عن أهل الكتاب فلا يتعدى

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة قال أهلكناها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وكم قصمنا من قرية قال أهلكناها قال ابن جريج قصمنا من قرية قال باليمن قصمنا بالسيف أهلكوا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله قصمنا من قرية قال قصمها أهلكها وقوله من قرية كانت ظالمة أجرى الكلام على القرية والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه وكان ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله وقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأحدثنا بعد ما أهلكناهؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التى قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم وقوله فلما أحسوا بأسنا يقول فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ورأوه ووجدوا مسه يقال منه قد أحسست من فلان ضعفا وأحسسته منه اذا هم منها يركضون يقول اذا هم لما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عجلى يعدون منهزمين يقال منه ركض فلان فرسه اذا كدره بسياقه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) يقول تعالى ذكره لا تهربوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول الى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون يعنى من نزل به العذاب فى الدنيا ممن كان يعصى الله من الامم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا تركضوا الا تفروا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه يقول ارجعوا الى دنياكم التى أترفتم فيها **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وارجعوا الى ما أترفتم فيه قال الى ما أترفتم فيه من دنياكم * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله لعلكم تسئلون فقال بعضهم معناه لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسئلة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لعلكم تسئلون قال تفقهون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لعلكم تسئلون قال تفقهون * وقال آخرون بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ على وجه السخرية والاستهزاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم تسئلون استهزاء بهم **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لعلكم تسئلون من دنياكم شيأ استهزاء بهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الذين أحل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله ياويلنا انا كنا ظالمين بكفرنا بربنا فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم حين أتاهم بأس الله بظلمهم أنفسهم ياويلنا انا كنا

عن مورد النص وقد مر في آخر سورة يوسف الفرق بين قوله وما أرسلنا من قبلك وقوله وما أرسلنا قبلك بغير من وليس الا جهنا وفي أوائل الفرقان وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ثم أكد كون الرسل من جنس البشر بقوله وما جعلناهم جسدا الآية كانهم قالوا انه بشر يأكل كما كل ويموت كما تموت فاعلهم اعتقدوا خلودا الملائكة لأقل من العمر الطويل ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي وما جعلنا الانبياء قبلك ذوي جسد غير طاعمين والاقيل وما جعلنا لهم جسدا وحدا الجسد لارادة الجنس (٧) أي ذوي ضرب من الاجساد أو أراد كل واحد

ظالمين حتى قتلهم الله فصدهم بالسيف كما يحصد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل وقوله خامدين يقول هالكين قد انطفأت شرارتهم وسكنت حركتهم فصاروا هامودا كما تخمد النار فتطفئ * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما زالت تلك دعواهم الآية فلما رأوا العذاب وعاينوه لم يكن لهم مجير الا قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى دمر الله عليهم وأهلكهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين يقول حتى هلكوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حصيدا الحصاد خامدين خمود النار اذا طفئت حدثنا سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انهم كانوا أهل حصون وأن الله بعث عليهم يختنصر فبعث عليهم جيشا فقتلهم بالسيف وقتلوا نبيالهم فصدوا بالسيف وذلك قوله فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالسيف ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا حجة عليكم أيها الناس ولتعتبروا بذلك كله فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شئ وانه لا تكون الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشئ غيره ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين يقول ما خلقناهما عبثا ولا باطلا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) يقول تعالى ذكره لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك عندنا ولكنا لا نفعل ذلك ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي لانه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيلاني قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سلام بن مسكين قال ثنا عقبة بن أبي جزة قال شهدت الحسن بمكة قال وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه قال الحسن اللهو المرأة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن محمد بن ليث عن مجاهد في قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا قال لزوجة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا الآية أي ان ذلك لا يكون ولا ينبغي واللهو بلغة أهل اليمن المرأة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو أردنا أن نتخذ لهوا قال اللهو في بعض لغة أهل اليمن المرأة ما تخذناه من لدنا وقوله ان كنا فاعلين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة قوله ان كنا فاعلين يقول ما كنا فاعلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قالوا مريم صاحبته وعيسى ولده فقال تبارك وتعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا نساء وولدا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال من عندنا ولا خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لاتخذناه من لدنا

منهم قوله صدقناهم الوعد أصله في الوعد فنصب بنزع الخافض ثم فسر الوعد بقوله فانجيناهم ومن نشاء وهم المؤمنون ثم نبههم على عظيم نعمه عليهم بقوله لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وصيتكم أو فيه بيان مكارم الاخلاق التي بها يبقى الذكر الجميل مع الثواب الجزيل ثم أوعدهم وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال وكم قصمنا والقصم القطع الكبير وهو الذي يبين تلائم الاجزاء واذالم يبين فهو الفصم بالفاء وذلك ان القاف حرف شديد والفاء رخو ولوحظ جانب المعنى في اللفظ ومعنى من قرية من أهل قرية لقوله وأنشأنا بعدها قوما آخرين وللضمائر في قوله فلما أحسوا الى آخر القصة والمراد بالاحساس الادراك بحاسة اللمس أو علم لاشك فيه كالمحسوس المشاهد والركض ضرب الدابة بالرجل كانهم ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم حين أدركتهم مقدمة العذاب قال الجوهري الركض تحريك الرجل على الدابة استحثاثا لها ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدى فعلى هذا يجوز ان القوم كانوا يعدون على أرجلهم فقيل لهم لا تركضوا والقائل لما من الملائكة أو من المؤمنين أو يجعلون

أحقاء بان يقال لهم ذلك أو أسمع رب العزة ملائكته هذا القول لينفعهم في دينهم أو ألهم الله الكفار ذلك فندموا به أنفسهم وارجعوا الى ما أترفتم فيه من العيش الهنيء والاترافي بطار النعمة لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى أموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو اجلسوا في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم عما تأمرون وماذا ترسمون فينفذ فيهم أمركم ونهيكم أو يسألكم الناس مستعينين بتدابيركم في بياعاتكم أو بنسائكم الوافدون وأرباب الطمع مستمطرين سحاب أكفكم أما الانبياء فكانوا أضياء ولكن سمتهم وريا

واما الانهم يخلاء وفى كل هذه الوجوه تهكم بهم وتوبيخ لهم فما زالت تلك الدعوى وهى قولهم يا ويلنا ان الاول كانه يدعو الويل دعواهم الاول اسم ما زال والثانى خبره أو بالعكس والدعوى بمعنى الدعوة وقد مر فى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والحصيد المحصودة كقوله منها قائم وحصيد شبهوا بالزرع المستأصل والنار التى تخمد فتصير رمادا أى جعلناهم مشبهين بالمحصود والخامد وخد حصيد الان المراد زرعا حصيدا ولان فعيلا قد يستوى فيه (٨) الواحد والجمع عن ابن عباس ان الآية نزلت فى حضرموت بحول قريتين باليمن تنسب اليهما الثياب وفى الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم فكان القوم حصدوا بالسيف وروى انه لما أخذتهم السيوف نادى منادمن السماء يا لثارات الانبياء قال أهل النظم لما بين اهلاك كثير من القرى لاجل ظلمهم وتكذيبهم منهما اللتان رواهما ابن عباس اتبعه ما يدل على انه فعل ذلك عدلا ومجازاة لا عبثا ولا مجازفة فقال وما خلقنا السماء والارض الآية أى وما سوينا هذا السقف المرفوع والمهاد الموضوع وما بينهما من الاركان والموالد كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو أو اللعب وانما سويناهما لغايات صحيحة ومنافع للخلق دينية ودنيوية كما مر طرف منها فى أول البقرة ويمكن أن يقال المقصود من سياق الآية تقرير نبوة محمد والرد على منكر به لانه ظهر المعجز عليه فان كان صادقا فهو المطلوب وان كان كاذبا كان اظهار المعجز عليه من باب اللعب وهو منفى عنه سبحانه قال القاضى عبد الجبار فيه دليل على أنه لا يخلق اللعب وكل قبيح والا كان لاعبا وعورض بمسألتى العلم والداعى ثم بين ان السبب فى ترك اتخاذ اللهو واللعب ليس هو العجز والضعف ولكن لان الحكمة قولهم

تنافيه معنى من لدنا من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن أو المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لا من الانس رد اعلى من قال عزير ابن الله والمسيح ابن الله ويحتمل أن يقال من لدنا أى من عندنا على سبيل الخفية فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه فيكون الرد شاملا لكل من ادعى له ولدا ولو من الملائكة ثم اضرب عن اتخاذ اللهو واللعب فوصف نفسه بايضاد فعل العبث فقال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا

من عندنا وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) يقول تعالى ذكره ولكن ننزل الحق من عندنا وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله فيدمغه يقول فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بان يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ واذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة وقوله فاذا هو زاهق يقول فاذا هو هالك مضمحل كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هو زاهق قال هالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هو زاهق قال ذاهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والحق كتاب الله القرآن والباطل ابليس فيدمغه فاذا هو زاهق أى ذاهب وقوله ولكم الويل مما تصفون يقول ولكم الويل من وصفكم بكم بغير صفته وقيلكم انه اتخذ زوجة وولدا وفريتكم عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل الا أن بعضهم قال معنى تصفون تكذبون * وقال آخرون معنى ذلك تشركون وذلك وان اختلفت به الالفاظ فمتفقة معانيه لان من وصف الله بان له صاحبة فقد كذب فى وصفه اياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته وقيلكم غير ان أولى العبارات أن يعبر بها عن معانى القرآن أفرو بها الى فهم سامعيه ذكر من قال ما قلنا فى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم الويل مما تصفون أى تكذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولكم الويل مما تصفون قال تشركون قال وقال مجاهد يسجرون بهم وصفهم قال قولهم الكذب فى ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) يقول تعالى ذكره وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا وله ملك جميع من فى السموات والارض والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم اياه ولا يعيون من طول خدمتهم له وقد علمتم انه لا يستعبد والده ولا صاحبته وكل من فى السموات والارض عبيده فانى يكون له صاحبة وولد يقول أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يستحسرون لا يرجعون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يستحسرون لا يحسرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولا يستحسرون قال لا يعيون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون قال لا يستحسرون لا يعلون ذلك الاستحسار قال ولا يفترون ولا يسأمون هذا كله معناه واحد والكلام مختلف وهو من

هو يعني الباطل زاهق أي فذاهب الدمغ زهوق الباطل قال علماء المعاني هذا من باب استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلي فاصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام لان القذف الرمي بنحو الحجارة والدمغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل بجامع الزهوق ثم وبخهم ونعى عليهم بما وصفوه بالولد وغير ذلك مما لا يجوز عليه وينافي وجوب الوجود وبما وصفوا رسوله به من السحر (٩) والشعر وغير ذلك من الاوصاف المضادة للرسالة فقال ولكم الويل مما تصفون أي تصفونه به ثم بين كمال قدرته ونهاية حلمه وحكمته فقال وله من في السموات والارض والمراد بمن عنده الملائكة المقربون والمقصود عندية الشرف والرتبة فاما عندية المكان ففيها بحث طويل قال الزجاج لا يستحسرون أي لا يتعبون ولا يعسهم الاعياء قال جار الله كان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم أدنى الحسور ولكنه ذكر بلفظ المبالغة وهو استفعل لبيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور وانهم احقاء بتلك العبادات الشاقة بان يستحسروا ومع ذلك لا يعدونها تعبا عليهم ثم أكد ذلك بقوله يسبحون الليل والنهار منصوبان على الظرفية لا يفترون لا يلحقهم الفتور والكلال وحاصل الآية ان الملائكة مع غاية شرفهم ونهاية قربهم لا يستنكفون عن طاعة الله فكيف يليق بالبشر مع ضعفهم ونقصهم أن يتمردوا عن طاعته وقدم في أول سورة البقرة استدلال مفصل للملائكة على الانبياء بهذه الآية وبغيرها فلا حاجة الى اعادته عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب الاحبار أرأيت قول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة أليس الرسالة واللعن مانعين لهم عن التسبيح أجاب كعب بان التسبيح لهم كالنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشئ آخر واعترض بان آلة التنفس فيما مغايرة للسان فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم وأجيب بانه لا استبعاد في أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفتور انهم لا يتركون التسبيح في أوقاته

قولهم بعير حسير اذا أعيا وقام ومنه قول علقمة بن عبدة

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

القول في تاويل قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يقول تعالى ذكره يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكته ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم اياه كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون و يسبحون الليل والنهار لا يسأمون فقال هل يؤدك طرفك هل يؤدك نفسك قال لا قال فانهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطرف والنفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو معاوية عن أبي اسحق الشيباني عن حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث قال قلت لكعب الاحبار يسبحون الليل والنهار لا يفترون أما يشغلهم رسالة أو عمل قال يا ابن أخي انهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس ألست تاكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفس قلت بلى قال فكذلك جعل لهم التسبيح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن وأبو داود قالا ثنا عمران القطان عن قتادة عن سالم أبي الجعد عن ابن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر قال ان الله خلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة وجزأ سائر الخلق وجزأ الملائكة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزأ رسالته وجزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الجن وجزأ سائر بني آدم وجزأ بني آدم عشرة أجزاء فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزأ سائر بني آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون يقول الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيما وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه اذ قال تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ يا نبي الله قال اني لاسمع أطيط السماء وما تلام ان تئط وليس فيها موضع راحة الا وفيه ملك ساجد أو قائم وقوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يعني بقوله هم الآلهة يقول أهل هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الاموات يقول يحيون الاموات و ينشرون الخلق فان الله هو الذي يحيي و يميت كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ينشرون يقول يحيون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يقول أفي آلهتهم أحد يحيي ذلك ينشرون وقرأ قول الله قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ما لكم كيف تحكمون القول في تاويل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يقول تعالى ذكره لو كان في السموات والارض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الاشياء وله العبادة والالوهة التي لا تصلح الا له لفسدتا يقول لفسد أهل السموات والارض فسبحان الله رب العرش عما يصفون يقول جل ثناؤه فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

اللائقة به * التأويل اقرب لاهل النسيان أن يحاسبوا أنفسهم كقوله ألهمان الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم اذ كرالله ما أنهم من ذكر وعظ وتذكير من عالم رباني محدث الهامه الا أنكروه عليه ونسبوه الى التخليط ونحوه وما جعلناهم جسدا فيه ان الله قادر على أن لا يجعل النبي والولي ذا جسد ولكن اقتضت حكمته كونهم ذوي أجساد آكلين للطعام فان الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الانساني كالدهن للسراج وبالقوى الحيوانية تتم الكمالات النفسانية وتدرك المحسوسات وتستفاد العلوم المستندة الى الاحساس والتجربة وتفصيله أكثر من أن يحصى قال بعض المشايخ لولا لهوى ما سلك أحد طريقا الى الله وما كانوا خالدين والسر فيه ان يعلموا من الموت حقيقة اسم المميت كما علموا من الحيوة اسم حقيقة المحيي ثم صدقناهم الوعد الذي وعدناهم حين اهبطوا الى الارض فانجيناهم ومن نشاء من متابعيهم من هاوية الهوان وعالم الطبيعة وأهلكنا المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالركون الى أسفل سافلين الطبائع وكم قصمنا من أهل قرية قالب فلما أحسوا باسنا وهي شدة قطع التعلق عن الكونين فان الغطاء عن المألوف شديد لا تركضوا منابل ففروا الينا وارجعوا الى التنعمات الروحانية ومساكنكم الاصلية لعلكم تسألون عزة وكرامة وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار من غير غاية وانما خلقناها لتكون لطفنا وقهرنا بل نقذف بالحق على الباطل للحق ثلاث مراتب مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق ففي كل مرتبة يتجلى الحق فيها للعبد فاهق باطل ذلك المرتبة عن العبد حتى اذا تجلى له بافعاله ذهب عنه باطل الافعال واذا تجلى له بصفاته ذهب باطل صفاته واذا تجلى له بذاته فيقول أنا الحق وسبحاني والويل لمن لم يذهب باطله باحدى هذه المراتب وافردوا

سعيد عن قتادة قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) يقول تعالى ذكره لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت واعزاز واذلال وغير ذلك من حكمه فيهم لانهم خلقه وعبيده وجميعهم في ملكه وسلطانه والحكم حكمه والقضاء قضاؤه لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له لم فعلت ولم لم تفعل وهم يسئلون يقول جل ثناؤه وجميع من في السموات والارض من عباده مسؤلون عن أفعالهم ومحاسبون على أعمالهم وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه لانه فوقهم ومالكهم وهم في سلطانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون يقول لا يسئل عما يفعل بعباده وهم يسئلون عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال لا يسئل الخالق عما يقضي في خلقه والخلق مسؤلون عن أعمالهم ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) يقول تعالى ذكره أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر وتخلق وتحيي وتميت قل يا محمد لهم هاتوا برهانكم يعني حجتكم يقولها ان كنتم تزعمون انكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل هاتوا برهانكم يقول هاتوا بينتكم على ما تقولون وقوله هذا ذكر من معي يقول خبر من معي مما لهم من ثواب الله على ايمانهم به وطاعتهم اياه وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم اياه وكفرهم به وذكر من قبلي يقول وخبر من قبلي من الامم التي سلفت قبلي وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا ذكر من معي يقول هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام وذكر من قبلي يقول ذكر أعمال الامم السالفة وما صنع الله بهم والى ما صاروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج هذا ذكر من معي قال حديث من معي وحديث من قبلي وقوله بل أكثرهم لا يعلمون الحق يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به وقلة فهم وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون عن كتاب الله ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الامم الا نوحي اليه انه لا معبود في السموات والارض تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول فاخلصوا لي العبادة

فيبقى متمسكا بالوجود المجازي (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون

لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من
الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك (١١) يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

وأفردوا الى الالوهة * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه
لا اله الا أنا فاعبدون به أرسلت الرسل بالاخلاص والتوحيد لا يقبل منهم قال أبو جعفر أظنه
انا قال عمل حتى يقولوه و يقروا به والشرائع مختلفة فى التوراة شريعة وفى الانجيل شريعة
وفى القرآن شريعة حلال وحرام وهذا كله فى الاخلاص لله والتوحيد له ۞ القول فى تاويل قوله
تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون)
يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بربهم اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته فقال جل ثناؤه
استعظاما مما قالوا وتبريا مما وصفوه به سبحانه يقول تنزيها له عن ذلك ما ذلك من صفته بل عباد
مكرمون يقول ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بنى آدم ولكنهم عباد مكرمون
يقول أكرمهم الله كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون قال قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم
الملائكة قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم و ردا عليهم بل عباد مكرمون وان الملائكة ليس كما
قالوا انما هم عباد أكرمهم الله بعبادته **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن قتادة و **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
قالت اليهود وطوائف من الناس ان الله تبارك وتعالى خاتن الى الجن والملائكة من الجن قال الله
تبارك وتعالى سبحانه بل عباد مكرمون وقوله لا يسبقونه بالقول يقول جل ثناؤه لا يتكلمون الا بما
يأمرهم به ربهم ولا يعملون عملا الا به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله
لا يسبقونه بالقول يثنى عليهم وهم بامره يعملون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) يقول تعالى ذكره يعلم ما بين أيدى
ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون وما خلفهم يقول وما مضى من قبل اليوم
مما خلفوه وراءهم من الازمان والدهور وما عملوا فيه قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم لا يخفى عليه من
ذلك شئ * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم يقول يعلم ما قدموا وما أضاعوا من أعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى يقول ولا تشفع
الملائكة الا لمن رضى الله عنه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يشفعون الا
لمن ارتضى يقول الذين ارتضى لهم شهادة أن لا اله الا الله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله الا لمن ارتضى قال لمن رضى عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

أفائن مت فهم الخالدون كل
نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر
والخير فتنة والينا ترجعون واذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم
وهم بذكر الرحمن هم كافرون
خلق الانسان من عجل سأريكم
آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم
الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزؤن قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
بل هم عن ذكر ربهم معرضون
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم
منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر أفلا يرون
أنا نأتى الارض ننقصها من
أطرافها أفهم الغالبون قل انما
أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة
من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم
نفس شيئا وان كان مثقال حبة من
خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان

وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) القراءة
الا نوحى اليه بالنون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ان الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن مجاهد عن ابن ذكوان
ألم ير بغير واو ابن كثير الآخرون بواو متوسطة بين همزة الاستفهام والفعل ونظائرها كثيرة ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب
وابن مجاهد عن ابن ذكوان ولا تسمع من الاسماع خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم الصم بالنصب ابن عامر الآخرون على الغيبة من السماع

الصم بالرفع مثقال حبة بالرفع على كان التامة وكذلك في سورة لقمان أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب * الوقوف يشركون ه لفسدتا ج للابتداء بسبحان للتعظيم مع فاء التعقيب تجهيلا للمنزه يصفون ه يسئلون ه آلهة ط برهانكم ج لاتحاد القول من غير عاطف قبلي ط لايعلمون ه لان مابعده مفعول معرضون ه فاعبدون ه سبحانه ط مكرمون ه طلان مابعده صفة بعد صفة يعملون ه ولايشفعون ه للاستثناء مشفقون ه (١٢) جهنم ط بالظالمين ه ففتقناهما ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حي ط لايؤمنون ه يهتدون ه محفوظا ج لاحتمال الواو الاستئناف والحال معرضون ه والقمر ط يسبحون ه الخلد ط الخالدون ه الموت ط فتنة ط ترجعون ه هزوا ط آلهتكم ج لاحتمال الواو الاستئناف والحال كافرون ه من عجل ط فلا تستعجلون ه صادقين ه ينصرون ه ينظرون ه يستهزؤن ه ط من الرحمن ط معرضون ه من دوننا ط فصلا بين الاستفهام والاخبار يعجبون ه العمر ط من أطرافها ط الغالبون ه صادقين ه ينصرون ه بالوحي ه لاستئناف ولايسمع بالياء التحتانية والوصل أجوز لتتميم المقول ومن قرأ على الخطاب وقف لانه خرج عن المقول ينذرون ه ظالمين ه شيأ ط أتينا بها ط حاسبين ه للمتقين ه لاتصاف الصفة ولايخفى انه يحتمل النصب أو الرفع على المدح فيجوز ان لايوصل مشفقون ه أنزلناه ط منكرون ه * التفسير انه سبحانه بدأ في أول السورة بذكر المعاد ثم انجر الكلام الى النبوات وما يتصل بها ثم أوجبوا بالختم الكلام بالالهيات لانها المقصود بالذات فقال على سبيل الاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها بواسطة

ولايشفعون الا لمن ارتضى يوم القيامة وهم من خشيته مشفقون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يقول ولايشفعون يوم القيامة **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله وقوله وهم من خشيته مشفقون يقول وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون يقول حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) يقول تعالى ذكره ومن يقل من الملائكة اني اله من دون الله فذلك الذي يقول ذلك منهم نجزيه جهنم يقول نثيبه على قيله ذلك جهنم كذلك نجزي الظالمين يقول كما نجزي من قال من الملائكة اني اله من دون الله جهنم كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه فكفر بالله وعبد غيره وقيل عنى بهذه الآية ابليس وقال فائل ولذلك انما قلنا ذلك لانه لا أحد من الملائكة قال اني اله من دون الله سواه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ومن يقل منهم قال قال ابن جريج من يقل من الملائكة اني اله من دونه فلم يقله الا ابليس دعا الى عبادة نفسه فنزلت هذه في ابليس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وانما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيما فقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال هي خاصة لابليس ۞ القول في تاويل قوله تعالى (أولم يرالذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بابصار قلوبهم فيروا بها ويعلموا ان السموات والارض كانتا رتقا يقول ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين يقال منه رتق فلان الفتق اذا شده فهو يرتقه رتقا ورتوقا ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم رتقاء وحد الرتق وهو من صفة السماء والارض وقد جاء بعد قوله كانتا لانه مصدر مثل قول الزور والصوم والفطر وقوله ففتقناهما يقول فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والارض بالرتق وكيف كان الرتق وباي معنى فتق فقال بعضهم عنى بذلك ان السموات والارض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا يقول ملتصقتين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الآية يقول كانتا رتقا فرفع السماء ووضع الارض **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما كان ابن عباس يقول كانتا ملتزقتين ففتقهما الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كان الحسن وقتادة يقولان كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا

أم المنقطعة أم اتخذوا آلهة من الارض نسبت الى الارض كما يقال فلان من مكة لانه من أصنام تعبد في الارض الهواء
لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية أو أرادانها من جنس الارض لانها نحتت من حجر أو تعمل من جوهر آخر أرضي ويقال أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات كانهم بادعائهم لها الالهية ادعوا لها الانشار وان كانوا منكرين البعث فضلا عن قدرة الاصنام عليه لانه لا يستحق هذا الاسم الا على القادر كل مقدور والانشار من جملة المقدورات بالدلائل

الباهر وفيه بابه بين التهكم والتسجيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الاقتدار على الابداء والاعادة من لوازم الالهية ومعنى هم أفادت الخصوصية كانه قيل أم اتخذوا آلهة لا تقدر على الانشار الاهم وخدهم وفيه رمز الى أن الامر المختص بالاهتداء هو وحده ولما قدم الانكار شرع فى دليل التوحيد فقال لو كان فيهما أى فى السموات والارض وقد مر ذكرهما آلهة الا الله أى غير الله قال النحويون الا ههنا بمعنى غير لتعذر حمل الا على الاستثناء لانها تابعة لجمع منكور غير محصور (١٣) والاستثناء لا يصح الا اذا كان المستثنى داخلا فى المستثنى منه ولو لا الاستثناء وقد يقال ان الا فى هذه المادة لا يمكن أن تكون للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لصار المعنى لو كان فيهما آلهة ليس معهم الله وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لم يحصل الفساد وللمفسرين فى تفسير الآية طريقان أحدهما حمل الغائب على الشاهد والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة غير الواحد الذى هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين الاول وجوب أن لا يكون مدبرهما الا واحدا والثانى أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه لقوله غير الله وانما وجب الامران لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وانما بينهما طريق التمانع بان يقال لو فرضنا الهين وأراد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فان وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين فى محل واحد وان لم يقع مرادهما لزم عجزهما وان وقع مراد أحدهما دون الآخر فذلك الآخر عاجز لا يصلح للالهية والاعتراض على هذا التقدير من وجهين الاول أن اختلافهما فى الارادة أمر ممكن والممكن لا يجب أن يقع * والثانى ان الفساد فى السموات والارض كيف يترتب على اختلافهما وفى الجواب طريقان أحدهما الرجوع الى التفسير الاول وهو احالة الامر على ما هو الغالب المعتاد من أن الملك عقيم ولا يجتمع فحلان على شول والشول جماعة النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فلا يد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك الطريق الثانى العدول الى ضرب آخر من البيان وهو ان اتفاق الالهين على مقدور واحد محال لان كلا منهما مستقل بالتأثير كامل فى القدرة فاذا وقع المقدور بارادة أحدهما استحال أن يقع بالآخر مرة أخرى على أنه لو

الهواء * وقال آخرون بل معنى ذلك ان السموات كانت مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى رتقا ففتقناهما من الارض ست أرضين معها فذلك سبع أرضين معها ومن السماء ست سموات معها فتلك سبع سموات معها قال ولم تكن الارض والسماء متماستين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد رتقا ففتقناهما قال فتقهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبى عاصم **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل قال سألت أبا صالح عن قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت الارض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الارض سبع أرضين **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كانت سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض فذلك حين يقول خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما * وقال آخرون بل عنى بذلك ان السموات كانت رتقا لا تمطر والارض كذلك رتقا لا تنبت فتق السماء بالمطر والارض بالنبات ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانتا رتقا لا يخرج منهما شئ ففتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات قال وهو قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع **حدثنى** الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت فتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات وجعل من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السموات رتقا لا ينزل منها مطر وكانت الارض رتقا لا يخرج منها نبات ففتقهما الله فانزل مطر السماء وشق الارض فاخرج نباتها وقرأ ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون وقال آخرون انما قيل ففتقناهما لان الليل كان قبل النهار ففتق النهار ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال خلق الليل قبل النهار ثم قال كانتا رتقا ففتقناهما * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا من المطر والنبات ففتقنا السماء بالغيث والارض بالنبات وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ذلك لدلالة قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى على ذلك وانه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة الا والذى تقدمه من ذكر أسبابه فان قال قائل فان كان ذلك كذلك فكيف قيل أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا والغيث

أراد كل واحد منهما أن يوجده وهو فهذا أيضا اختلاف ولو قيل انه يريد كل واحد منهما أن يكون الموجد له أحدهما لا بعينه فهذه إرادة مبهمة لا تصلح للتأثير فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله ولزوم الفساد حينئذ ظاهر لان كل ما يصدر عن الهين عاجزين أو اله عاجز لم يكن على الوجه الاصلح والنمط الاصوب بل العاجز لا يصلح للايجاد أصلا فلا يوجد على ذلك التقدير شئ من الممكنات وهو الفساد الكلي او منهم من يقول دليل التمانع على وجوه أخر منها انا لو قدرنا (١٤) الهين فهل يقدر كل واحد منهما على أن يمنع صاحبه عن مراده أم لا فان قلت يقدر كان كل منهما مقهورا للآخر وان قلت لا يقدر فقد ثبت عجز كل واحد منهما ومنها ان أحدهما هل يقدر على أن يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا فان قدر فالمستور عنه جاهل عاجز والا فالاول عاجز ولا يخفى ما في أمثال هذين الوجهين من الضعف لان عدم القدرة على المحال لا يسمى عجزا ولهذا لا يمكن أن يقال انه تعالى عاجز عن خلق مثله أو انه اذا أوجد شيأ نفدت قدرته عن خلق ذلك الشئ وحصل له عجز ومن الطاعنين في دلالة التمانع من فسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة غير الله كما تزعم عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على وجوه التدبير والتصرف لا نفسها فضلا عن غيرها ولقائل أن يقول ان الآلهة لو كانت منفردة بالتدبير يلزم الفساد أما انها لو كانت وسائط أو معاونة للاله الاعظم كما تزعم عبدة الاوثان فمن أين يلزم الفساد واعلم انا قد بينا دلائل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب ولا سيما في سورة البقرة في تفسير قوله والهكم اله واحد ولنا في هذا المقام طريقة أخرى ما أظنها وطئت قبلي فاقول وبالله التوفيق ان الوحدة من صفات الكمال وقد ركز ذلك في العقول حتى ان كل عامل مهما تم له أمر بواحد لم يتعد فيه الى اثنين واذا اضطر الى الشركة والتعاون راعى فيه الابسط فالابسط لا يزيد العدد الا بقدر الافتقار وعلى هذا مدار الامور السياسة والمنزلية هذا في المؤثر وأما في الاثر فلاريب انه اذا استند الى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه الا جهة واحدة افتقارية واذا استند الى ما فوق ذلك كانت فيه من الجهات الافتقارية بحسب ذلك فيكون النقص تابعا لقلة جهات الافتقار وكثرتها وكل مرتبة للممكنات تفرض من العقول والنفوس والافلاك والعناصر والموالد فان كان مبدأ تلك السلسلة الطويلة واحدا كانت

انما ينزل من السماء الدنيا قيل ان ذلك مختلف فيه قد قال قوم انه انما ينزل من السماء السابعة وقال آخرون من السماء الرابعة ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن في قوله ان السموات والارض دليل على خلاف ما قلنا لانه لا يمتنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب أخلاق وقميص أسمال فان قال قائل وكيف قيل ان السموات والارض كانتا فالسموات جمع وحكم جمع الاناث أن يقال في قليله كن وفي كثيره كانت قيل انما قيل ذلك كذلك لانهما صنفان فالسموات نوع والارض آخر وذلك نظير قول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * توفي المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما وقد ذكر المنية والحتوف انما وصفت من أنه عنى النوعين وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال أنشدني غالب النفيلي للقطامي

ألم يحزنك ان حبال قيس * وتغلب قد تباينت انقطاعا

فجعل حبال قيس وهي جمع وحبال تغلب وهي جمع اثنين وقوله وجعلنا من الماء كل شئ حي يقول تعالى ذكره وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شئ كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلنا من الماء كل شئ حي قال كل شئ حي خلق من الماء فان قال قائل وكيف خص كل شئ حي فانه جعل من الماء دون سائر الاشياء غيره فقد علمت انه يحيا بالماء الزروع والنبات والاشجار وغير ذلك مما لا حياة له ولا يقال له حي ولا ميت قيل لانه لا شئ من ذلك الا وله حياة وموت وأن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الارواح في انه لا أرواح فيهن وان في ذوات الارواح أرواحا فلذلك قيل وجعلنا من الماء كل شئ حي وقوله أفلا يؤمنون يقول أفلا يصدقون بذلك ويقرون بالوهيته من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الكفار أيضا من حجج ربنا علىهم وعلى جميع خلقنا انا جعلنا في الارض جبالا راسية والرواسي جمع راسية وهي الثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا في الارض رواسي أي جبالا وقوله أن تميد بهم يقول أن لا تتكفأ بهم يقول جل ثناؤه فجعلنا في هذه الارض هذه الرواسي من الجبال فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس وليقدروا بالثبات على ظهرها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانوا على الارض تمور بهم لا تستقر فاصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للارض وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك واحدها فج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا فيها فجاجا أي أعلاما وقوله سبلا أي طرقا وهي جمع السبيل وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول انما عنى بقوله وجعلنا فيها فجاجا وجعلنا في الرواسي فالهاء والالف في قوله وجعلنا فيها من ذكر الرواسي حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بين الجبال وانما اخترنا القول الآخر في ذلك وجعلنا الهاء والالف من ذكر

الجهات الاعتبارية الافتقار بقيها أقل ممالو كان المبدأ أزيد من واحد وهذه قضية يقينية اذا عرفت هذه المقدمة نقول انه سبحانه أراد أن يدفع هذا النقص من الممكنات ولو هذه بمعنى ان المراد أن هذا النقص والفساد لازم لو جود آلهة غير الله سواء كان الله من جملتهم أم لا ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده فوجب أن لا يعتقد الها غير الله وهذه النتيجة هي المراد بقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الانداد والشركاء فتكون هذه الآية نظيرة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا وفيه قول زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير ثم أكد تفرده بالالهية بقوله لا يسئل عما يفعل وفيه رد على الثنوية والمجوس الذين أثبتوا لله شريكا وأعلا للشرور والآلام وذلك انهم طلبوا الحكمة في أفعال الله تعالى فقالوا لو كان مدبر العالم واحدا لم يخص هذا بانواع الخيرات من الصحة والغنى وذلك باصناف الشرور من المرض والفقر فذكر سبحانه ان الاعتراض على أفعاله ينافي الديانة وان له أن يفعل ما يشاء كما يشاء ولا مجال للسؤال عن أفعاله فكل من الاشاعرة والمعتزلة سلموا انه لا يجوز أن يقال لله لم فعلت ولكنهم جعلوا عدم جواز السؤال على مأخذ آخر أما الاشاعرة فذهبوا الى أن أفعاله لا تعلل بالمصالح والاغراض وله بحكم المالكية أن يفعل في مخلوقاته ما شاء فان من تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق الذم واستحقاق المدح له قديم وما يثبت للشئ لذاته يستحيل أن يتبدل لاجل تبدل الصفات وكما ان ذاته غير معللة بشئ فكذلك صفاته وأفعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاغراض والمقاصد وأما المعتزلة فقد قالوا انه تعالى عالم بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل أن يفعل القبيح واذا عرف المكلف اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب وجب أن يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا له مع جواز الخطأ والزلل عليهم فالملوك ورب الارباب أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع ما ذكر في العقول من أن كل ما يفعله فهو حسن مشتمل على الغايات الصحيحة ثم زاد الالهية تأكيدا بقوله وهم يسئلون وفيه رد على منكري التكاليف الذاهبين الى

ذكر الارض لانها اذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل وذلك ان ذلك كله من الارض وقد جعل الله خلقه في ذلك كله فجاسا سبلا دلالة تدل على انه عنى بذلك فجاج بعض الارض التي جعلها لهم سبلا دون بعض فالعموم بها أولى وقوله لعلهم يهتدون يقول تعالى ذكره جعلنا هذه الفجاج في الارض ليهتدوا الى السير فيها ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) يقول تعالى ذكره وجعلنا السماء سقفا للارض ممسوكا وقوله محفوظا يقول حفظناها من كل شيطان رجيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سقفا محفوظا قال مرفوعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا الآية سقفا مرفوعا وموجا مكفوفا وقوله وهم عن آياتها معرضون يقول وهؤلاء المشركون عن آيات السماء وبعني بآياتها شمسها وقمرها ونجومها معرضون يقول يعرضون عن التفكر فيها وتدبرها فيها من حجج الله عليهم ودلالتها على وحدانية خالقها وانه لا ينبغي أن تكون العبادة الا لمن دبرها وسواها ولا تصلح الاله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم عن آياتها معرضون قال الشمس والقمر والنجوم آيات السماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى ذكره والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار نعمة منه عليكم ورحمة ودلالة على عظيم سلطانه وان الالوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم وخلق الشمس والقمر أيضا كل في فلك يسبحون يقول كل ذلك في فلك يسبحون * واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم هو كهيئة حديدة الرحى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كل في فلك يسبحون قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كل في فلك قال فلك كهيئة حديدة الرحى **حدثنا** ابن حميد قال ثني حرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كل في فلك يسبحون قال فلك السماء * وقال آخرون بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كل في فلك يسبحون الفلك الجري والسرعة * وقال آخرون الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه * وقال آخرون بل هو القطب التي تدور به النجوم واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز

أن العباد لا يسئلون عما فعلوا في دار الدنيا قالوا ان التكليف أمر غير معقول لانه اما أن يتوجه على العبد مال استواء داعيته الى الفعل والترك وهو محال لان صدور الفعل عن المكلف يستدعي الترجيح فالتكليف بالترجيح في حال عدم الترجيح تكليف بالمحال واما أن يتوجه حال الرجحان ويكون الفعل حينئذ واجب الوقوع فيكون التكليف عبثا وأيضا التكليف بما هو معلوم الوقوع لله عبث لانه واجب الوقوع وبما هو غير معلوم الوقوع تكليف بما لا يطاق (١٦) وأيضا سؤال العبد لعبد ان لم يكن فيه فائدة فعبث وان كان فيه فائدة فان عادت الى الله تعالى كان محتاجا مستكملا وان عادت الى العبد فالله تعالى قادر على ايصالها اليه من غير واسطة التكليف على أن السؤال ان كان لاجل ايصال الضرر فذلك لا يليق بالكريم الرحيم وجوابهم ان الاسباب والوسائط معتبرة في كل شئ من عالم الاسباب حتى الثواب والعقاب على أن حاصل الشبهات يرجع الى أن المنكر كانه قال انه تعالى لم كلف عباده ولم كلفهم ما لا يطيقون وهو يناقض القاعدة الممهدة انه لا يسئل عما يفعل ثم كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا للكفر بهم وليرتب عليه قوله قل هاتوا برهانكم على ذلك عقلا أو نقلا أما العقل فقد مر انه يقضي بعدم الشريك حذرا من الفساد وأما النقل فقوله هذا ذكر من معي وهو من اضافة المصدر الى المفعول أي عظة لامتي عن ابن عباس واختاره القفال والزجاج انه أراد هذا هو الكتاب المنزل على من معي من الامة وهذا هو الكتاب المنزل على من تقدمني من الانبياء وأممهم يعني التوراة والانجيل والزبور والصحف والكل وارد في معنى التوحيد ونفي الشركاء وعن سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل والسدي أن قوله وذكر من قبلي صفة للقرآن أيضا لانه اشتمل على أحوال الامم الماضية كما اشتمل على أحوال هذه الامة ثم ختم الآية بقوله بل أكثرهم تنبيها على أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل لان عندهم ماهو أصل الشر والفساد وهو عدم العلم وفقد التمييز بين الحق والباطل فلذلك أعرضوا عن استماع الحق وطلبه وفي لفظ الاكثر اشارة الى أن فيهم من يعلم ولكنه يعاند أو أجرى لفظ الاكثر على الكل على عادة الفصحاء كيلا يكون الكلام بصدد المنع ثم قرر آي التوحيد خصوصا قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي على أحد التفسيرين بقوله وما أرسلنا الآية ثم رد على

باتت تناجي الفلك الدوارا * حتى الصباح تعمل الافنارا

*وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل في فلك يسبحون أي في فلك السماء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كل في فلك يسبحون قال يجري في فلك السماء كما رأيت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كل في فلك يسبحون قال الفلك الذي بين السماء والارض من مجاري النجوم والشمس والقمر وقرأ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيه سراجا وقمرا منيرا وقال ثالث البروج بين السماء والارض وليست في الارض كل في فلك يسبحون قال فيما بين السماء والارض النجوم والشمس والقمر وذكر عن الحسن انه كان يقول الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل * والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل كل في فلك يسبحون وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى وجائز أن يكون موجا مكفوفا وأن يكون قطب السماء وذلك ان الفلك في كلام العرب هو كل شئ دائر فمعه أفلاك وقد ذكرت قول الراجز * باتت تناجي الفلك الدوارا * واذ كان كل ما ورد في كلامها فلكا ولم يكن في كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن يقطع بقوله العذر دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال وأسكت عما لا علم لنا فيه فاذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا فتأويل الكلام والشمس والقمر كل ذلك في دائر يسبحون وأما قوله يسبحون فان معناه يجرون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل في فلك يسبحون قال يجرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يسبحون قال يجرون وقيل كل في فلك يسبحون فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون ولم يقل يسبحن أو يسبح كما قيل والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين لان المسجود من أفعال بني آدم فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليناترجعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا أفان مت فهم الخالدون يقول فهؤلاء المشركون برجمهم الخالدون في الدنيا بعدك لا ما ذلك كذلك بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت فادخلت الفاء في ان وهي جزاء وفي جوابه لان الجزاء متصل بكلام قبله ودخلت أيضا في قوله فهم لانه جواب للجزاء ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين أحدهما أن تكون محذوفة وهي مرادة والآخر أن يكون مرادا تقديمها الى الجزاء فكانه قال أفهم الخالدون ان مت وقوله كل نفس ذائقة الموت يقول تعالى ذكره كل نفس منفوسة من خلقه معالجة غصص الموت ومتجرعة كاسها وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول تعالى ذكره

ونختبركم

خزاعة وأمثالهم القائلين بان الملائكة بنات الله بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ثم نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه ثم أخبر عما هم عليه في الواقع وهو ان الملائكة عباد الله مكرمون مقربون لا يسبقونه بالقول أي بقولهم أي يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله وهم بامره يعملون فهم التابعون لامر الله في أقوالهم وأفعالهم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم قدم تفسيره في طه وفي آية الكرسي ولا يشفعون الا لمن ارتضى كقوله في طه لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا (١٧) وقدم البحث فيه قال في الكشاف وهم من

ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها وبالخير وهو الرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال بالرخاء والشدة وكلاهما بلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونبلوكم بالشر والخير فتنة يقول نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة والينا ترجعون حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قال نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون وكيف صبرهم فيما يكرهون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونبلوكم بالشر والخير يقول نبتليكم بالشدة والرخاء والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله والينا ترجعون يقول والينا يردون فيجازون بأعمالهم حسنها وسيئها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك يا محمد الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا سخريا يقول بعضهم لبعض أهذا الذي يذكر آلهتكم يعني بقوله يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها تعجبا منهم من ذلك يقول الله تعالى ذكره فيجوز من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء وهم بذكر الرحمن الذي خلقهم وأنعم عليهم ومنه نفعهم وبيده ضرهم واليه مرجعهم بما هو أهله منهم أن يذكروه به كافرون والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم فيقولون سمعنا فلانا يذكر فلانا وهم يريدون سمعنا يذكره بقبيح ويعيبه ومن ذلك قول عنترة

لا تذكري مهري وما أطعمته * فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

يعني بذلك لا تعيبي مهري وسمعناه يذكره بخير ۞ القول في تأويل قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره خلق الانسان يعني آدم من عجل * واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه من عجل في سنه وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله خلق الانسان من عجل قال لما نفخ فيه الروح في ركبتيه ذهب لينهض فقال الله خلق الانسان من عجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما نفخ فيه يعني في آدم الروح فدخل في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله له رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل يقول خلق الانسان عجولا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خلق الانسان من عجل قال خلق عجولا * وقال آخرون معناه خلق الانسان من عجل أي من تعجيل في خلق الله اياه ومن سرعة فيه وعلى عجل وقالوا خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل

خشيته مشفقون أي متوقعون من امارة ضعيفة قلت له لعله أراد انهم يتوقعون ما هو سبب لخشيته وهو العقاب من أدنى أمارة بخلاف البشر فانهم لا يتوقعون ذلك الا من أمارة قوية ويحتمل أن يقال انهم يخشون الله ومع ذلك يحذرون من أن تلك الخشية يقع فيها تقصير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله عز وجل ثم نبه على غاية عظمته ونهاية جبروته بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فيحتمل أن يدعي الالهية لنفسه دون الله أو يدعي انه اله مع الله أي بعد مجاوزة الهيته وهذا على سبيل الفرض والتقدير كقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وفي قوله ذلك دون أن يقول فهو تبعيد للمشرك الجاحد عن ساحة عزته وفيه تغليظ لامر الشرك وتهديد عظيم لمن أشرك أو أراد بالظلم ههنا الشرك والمعتزلة عموه والاول أظهر ثم عدل في أدلة التوحيد الى منهج آخر من البيان وهو الاستدلال بالآفاق والانفس قائلا أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض أي جماعة السموات وجماعة الارض كانتا رتقا ففتقناهما الرتق بالسكون

(٣ - (ابن جرير) - السابع عشر) الشدر تقت الشئ فارتتق أي التام ومنه امرأة رتقاء ومصدرها الرتق بالتحريك والفتقاء ضدها أي كانتا مرتوقتين ففتقناهما مفتوقتين عن ابن عباس في رواية عكرمة وهو قول الحسن وقتادة ان المراد كانتا شيأ واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هي وأقر الارض ومثله قول كعب خلق الله السموات والارض كانتا ملتصقتين ثم خلق ريحا بوسطهما ففصل الفتق وقال أبو صالح ومجاهد كانت السموات سبعا مغلقات لا فرج بينهم ففتقها الله بان جعلها سبعا وكذلك

الارضون وعن ابن عباس فى رواية أخرى وعليه كثير من المفسرين ان السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر ويشبه أن يراد بالسموات على هذا التفسير السحب نظيره قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ويؤيده قوله عقيبه وجعلنا من الماء كل شئ حى وقيل انما جمع السموات وان كان نزول المطر من السماء الدنيا فقط باعتبار الجهة لان جهتها هى جهتهن أو باعتبار أن كل قطعة منها سماء فيكون كقولهم ثوب أخلاق وبرمة أعشار وقريب من هذا قول من قال المعنى ان السموات والارض كانتا مظلمة ففتقهما الله تعالى باظهار النور فيهما كقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال أبو مسلم الاصفهانى الرتق حالة العدم اذ ليس فيها ذوات متميزة فكانها أمر واحد متصل متشابه والفتق الايجاد لحصول التمييز وانفصال بعض الحقائق عن البعض فيكون كقوله فاطر السموات والارض والفطر الشق وعن بعض علماء الاسلام ان الرتق انطباق منطقى الحزكتين الاولى والثانية الموجب لبطلان العمارات وفصول السنة والفتق افتراقهما المقتضى لامكان العمارة ولتغير الفصول وفيه بعد وههنا سؤال وهو ان الكفار متى رأوهما رتقا حتى صح هذا الاستفهام للتقرير كيف وقد قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض والجواب على الاقوال الاخيرة ظاهر فان فتق السماء بالمطر والارض بالنبات أو فتقهما بتنفيذ النور فيهما واظهاره عليهما أمور محسوسة وكذا ادخالهما من العدم الى الوجود مما يشهد به الحس السليم والعقل المستقيم وأما على القولين الاولين فلعلهم علموا ذلك من أهل الكتاب وكانوا يقبلون قولهم لما بينهما من التوافق فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقال صاحب الكشاف فى الجواب انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد أو ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى قال السكاكى صاحب المفتاح أى جعلنا مبدأ كل حى هذا الجنس الذى هو جنس الماء واعترض عليه بانه كيف يصح ذلك وآدم من تراب والجن من نار والمشهور ان الملائكة ليست أجساما مائية وأجاب بانه يأتى فى الروايات انه جل وعز خلق الملائكة

غروب الشمس على عجل فى خلقه اياه قبل مغيبها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خلق الانسان من عجل قال قول آدم حين خلق بعد كل شئ آخر النهار من يوم خلق الخلق فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم تبلغ أسفله قال يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال مجاهد خلق الانسان من عجل قال آدم حين خلق بعد كل شئ ثم ذكر نحوه غير انه قال فى حديثه استعجل بخلقى فقد غربت الشمس **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خلق الانسان من عجل قال على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذلك اليومين يريد يوم الجمعة وخلقه على عجل وجعله عجولا * وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة انما قال خلق الانسان من عجل وهو يعنى انه خلقه من تعجيل من الامر لانه قال انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون قال فهذا العجل وقوله فلا تستعجلون انى سأريكم آياتى وعلى قول صاحب هذه المقالة يجب أن يكون كل خلق الله على عجل لان كل ذلك خلق بان قيل له كن فكان فاذا كان ذلك كذلك فما وجه خصوص الانسان اذا ذكر انه خلق من عجل دون الاشياء كلها وكلها مخلوق من عجل وفى خصوص الله تعالى ذكره الانسان بذلك الدليل الواضح على أن القول فى ذلك غير الذى قاله صاحب هذه المقالة * وقال آخرون منهم هذا من المقلوب وانما خلق العجل من الانسان وخلقت العجلة من الانسان وقالوا ذلك مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة انما هو لتنوء العصبة بها متثاقلة وقالوا هذا وما أشبهه فى كلام العرب كثير مشهور وقالوا وانما كلام القوم بما يعقلون قالوا وذلك مثل قولهم عرضت الناقة وكقولهم اذا طلعت الشعرا واستوت العود على الحربا أى استوت الحربا على العود كقول الشاعر

وتركت خيلا لاهواده بينها * وسقى الرماح السباطرة الحمر

(وكقول ابن مقبل)

حسرت كفى عن السربال آخذه * فردا يجر على أيدى المفدينا

يريد حسرت السربال عن كفى ونحو ذلك من المقلوب وفى اجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تاويل ذلك عندنا الذى ذكرناه عمن قال معناه خلق الانسان من عجل فى خلقه أى على عجل وسرعة فى ذلك وانما قيل ذلك كذلك لانه يود بخلقه مغيب الشمس فى آخر ساعة من نهار يوم الجمعة وفى ذلك الوقت نفخ فيه الروح وانما قلنا أولى الاقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب لدلالة قوله تعالى سأريكم آياتى فلا تستعجلون على ذلك وان أبا كريب **حدثنا** قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا آتاه الله اياه فقال عبد الله بن سلام قد علمت

من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه وقال صاحب الكشاف انما قال خلقنا كل شئ حي من الماء لتفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وجوز أن لا يكون الجعل بمعنى الخلق بل يكون بمعنى التصيير متعديا الى مفعولين فالمعنى صيرنا كل شئ حي بسبب من الماء لا بدله منه وقال في التفسير الكبير اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة قائمة بان الدليل لابد أن يكون مشاهدا محسوسا ليكون أقرب الى المقصود فبهذا الطريق تخرج الملائكة (١٩) والجن وآدم لان الكفار لم يروا شيأ من

علمت أي ساعة هي هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة قال الله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي وعبدة بن سليمان وأسيد بن عمرو عن محمد ابن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وذكر كلام عبد الله ابن سلام بنحوه فتأويل الكلام اذا كان الصواب في تأويل ذلك بما قلنا بما به استشهدنا خلق الانسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب سأريكم آياتي فلا تستعجلون أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل هو شاعر فلنأتنا بآية كما أرسل الاولون آياتي كما أريتها من قبلكم من الامم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل اذا أتتها الآيات فلا تستعجلون يقول فلا تستعجلوا ربكم فانا سنأتيكم بها ونريكموها * واختلفت القراء في قراءة قوله خلق الانسان من عجل فقرأته عامة قراء الامصار خلق الانسان من عجل بضم الخاء على مذهب ما لم يسم فاعله وقرأه حميد الاعرج خلق بفتحها بمعنى خلق الله الانسان والقراءة التي عليها قراء الامصار هي القراءة التي لا أستجيز خلافها وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد الذي تعدنا من العذاب ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك وقيل هذا الوعيد والمعنى الموعود لمعرفة السامعين معناه وقيل ان كنتم صادقين كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ومتى في موضع نصب لان معناه أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لانه وقت ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) يقول تعالى ذكره لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بانفسهم ولا هم ينصرون يقول ولا لهم ناصر ينصرهم فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ولسارعوا الى التوبة منه والايمان بالله ولما استعجلوا لانفسهم البلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يقول تعالى ذكره لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم من علم منهم بوقتها ولكنها تأتيهم مفاجاة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم يقول فتغشاهم فجأة وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشئ حتى يبقى المبهوت كالحيران منه فلا يستطيعون ردها يقول فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ولا هم ينظرون يقول ولا هم وان لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها وانابة ينيبون لانها ليست حين عمل وساعة توبة وانابة بل هي ساعة مجازاة وانابة ۞ القول في تأويل قوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يتخذ يا محمد هؤلاء القائلون لك هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون اذا رأوك هزوا ويقولون هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله واجتراء عليه ولقد استهزئ برسل من رسلنا

ذلك قلت فعلى هذا يكون قوله وجعلنا داخلا في حيز الاستفهام كأنه قيل ألم يروا انا فتقنا السموات والارض بعد رتقهما وجعلنا من الماء كل حيوان ومن المفسرين من جعل الحي شاملا للنبات أيضا كقوله فأحيا به الارض بعد موتها قوله وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم قد مر تفسيره في أول النحل وباقي الآية كقوله في طه وسلك لكم فيها سبلا والفجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع وهي صفة سبلا قدمت عليه فصارت حالا عنه أراد انه حين خلقها على تلك الصفة فهذا كالبيان لما أبهم في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاء والاهتداء اما حسي أي تهتدون الى البلاد واما عقلي وهو الاهتداء الى وحدانية الله تعالى ومنهم من زعم ان الضمير في قوله وجعل فيها عائد الى الجبال وهذا قول مقاتل والضحاك وروى عطاء عن ابن عباس وروى عن ابن عمر انه قال كانت الجبال منضمة فلما أغرق قوم نوح غرقها فجاء وجعل فيها طرقا قال علماء الاسلام ليس في قوله وجعلنا السماء سقفا ان السماء للارض كالسقف للبيت لانها فوق لا يقابله مثله ولكنه أطلق عليها اسم السقف لانها كذلك في النظر بالنسبة الى سكان كل بقعة وفي

المحفوظ وجهان أي محفوظا بقدرته من أن يقع على الارض أو يحفوظ بالشهب عن الشياطين وهم عن آياتها معرضون فلا يتدبرون في ترتيبها ومسيرتها وطلوع اجرامها وغروبها واتصالاتها وانصرافاتها وتأثيراتها فيما دونها باذن خالقها ومبدعها قوله كل في فلك من مقلوب الكل والفلك في اللغة كل شئ دائر وجمعه أفلاك وزعم الضحاك انه ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم والاكثرون على ان الفلك جسم تدور النجوم عليه ثم اختلفوا في حقيقته فقال الكلبي ماء مكفوف أي مجموع تجري فيه الكواكب

الشئ جذا قطعته وكسرته والجذاذ والجذاذا الكسر مثله وضمه افصح من كسره قلت فعلى هذا هو اسم جمع لا جمع الا كبير لهم أى فى الخلقة كما رو ينا وقيل فى التعظيم ويحتمل أن يكون جامعا للامرين أما الضمير الواحد فى قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل عوده الى ابراهيم أى جعلهم جذاذا واستبقى الكبير رجاء انهم يرجعون الى دينه أو الى السؤال عنه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيكفهم بقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ويحتمل (٣٢) عوده الى الكبير كما ذهب اليه الكلبى والمعنى لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم فى حل المشكلات فيقولون ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك وهذا بناء على ظنهم ان الاصنام قد تتكلم وتجيب هلى أن نفس ذلك الكبير كان دليلا على فساد مذهبهم لان الاله يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ لانهم كانوا يعظمونها و يقولون ان المستخف بها يلحقه ضرر عظيم فى كسرها ابراهيم ولم ينله ضرر من تلك الجهة بطل ما اعتقدوه فلما انكشفت لهم جلية الحال وقالوا من فعل هذا الكسر والحطم والاستخفاف بآلهتنا انه لمن الظالمين المتعدين فى جملة من وضع الشئ فى غير موضعه لانه وضع الاهانة مكان التعظيم قالوا سمعنا احتمل أن يكون القائل واحدا ونسب القول الى الجماعة لانه منهم واحتمل أن يكون جمعا على الوجهين اللذين رويناهما أولانهم سمعوا منه قوله على وجه الاستهزاء باهذه التماثيل والفعلان بعد فتى صفتان له الا أن الاول ضرورى ذكره لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما يسمع والثانى ليس كذلك والاصح ان قوله ابراهيم فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أو منادى قالوا أى فيما بينهم فاتوا به على أعين الناس الجار والمجرور فى محل الحال أى بمرأى منهم ومنظر او معاينا ومشاهدا قال فى الكشاف معنى الاستعلاء فى على انه يثبت اتيانه فى الاعين و يتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه و بما فعله فيكون حجة عليه قاله الحسن وقتادة والسدى وعطاء عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق معناه لعلهم يحضرون عقوبته ليكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله وههنا اضمار أى فاتوا به ثم قالوا أأنت فعلت هذا الظلم والاستخفاف بآلهتنا يا ابراهيم طلبوا منه الاعتراف ليقدموا على ايذائه فقال بل فعله كبيرهم وقوله هذا

من ذلك فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال نجاه من أرض العراق الى أرض الشام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية انه قال فى هذه الآية باركنا فيها للعالمين قال ليس ماء عذب الا يهبط الى الصخرة التى بيت المقدس قال ثم يتفرق فى الارض **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال الى الشام * وقال آخرون بل يعنى مكة وهى الارض التى قال الله تعالى التى باركنا فيها للعالمين ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى مكة ونزول اسمعيل البيت ألا ترى انه يقول ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين * قال أبو جعفر وانما اخترنا ما اخترنا من القول فى ذلك لانه لا خلاف بين جميع أهل العلم ان هجرة ابراهيم من العراق كانت الى الشام وبها كان مقامه أيام حياته وان كان قد كان قدم مكة و بنى بها البيت وأسكنها اسمعيل ابنه مع أمه هاجر غير انه لم يقم بها ولم يتخذها وطنا لنفسه ولا لوط والله انما أخبر عن ابراهيم ولوط انهما أنجاهما الى الارض التى بارك فيها للعالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) يقول تعالى ذكره ووهبنا لابراهيم اسحق ولدا و يعقوب ولد ولده نافلة له * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله نافلة فقال بعضهم عنى به يعقوب خاصة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة يقول ووهبنا له اسحق ولدا و يعقوب ابن ابن نافلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله و وهبنا له اسحق و يعقوب نافلة والنافلة ابن ابنه يعقوب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله و وهبنا له اسحق و يعقوب نافلة قال سأل واحدا فقال رب هب لى من الصالحين فاعطاه واحدا وزاده يعقوب و يعقوب ولد ولده * وقال آخرون بل عنى بذلك اسحق و يعقوب قالوا وانما معنى النافلة العطية وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما اياه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء فى قوله و وهبنا له اسحق و يعقوب نافلة قال عطية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اسحق و يعقوب نافلة قال عطاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى قبل ان النافلة الفضل من الشئ يصير الى الرجل من أى شئ كان ذلك وكلا ولديه اسحق و يعقوب كان فضلا من الله تفضل به على ابراهيم وهبة منه له وجائز أن يكون عنى به انه أنا هما اياه جميعا نافلة منه له وأن يكون عنى انه أنا ه نافلة يعقوب ولا برهان يدل على أى ذلك المراد من الكلام فلا شئ أولى أن يقال فى ذلك مما قال الله

صفة كبيرهم زعم الطاعنون فى عصمة الانبياء ان هذا القول من ابراهيم كذب وأكدوا قولهم بما جاء فى الحديث ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات وللعلماء فى جوابهم طريقان أحدهما تسليم انه كذب ولكنهم قالوا الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب اذا اشتمل على مصلحة كتخليص نبى ونحوه وزيف هذا الطريق بانا لو جوزنا أن يكذب النبى لمصلحة لبطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء أخبروا عما أخبروا لمصلحة المكلفين فى باب المعاش مع انه (٣٣) ليس للمخبر عنه وجود كما فى الواقع الطريق الثانى وعليه جمهور المحققين المنع من انه كذب وبيانه من وجوه الاول انه من المعاريض التى يقصد بها الحق وهو الزام الخصم وتبكيته كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط فى غاية الحسن أنت كتبت هذا وصاحبك أمى لا يحسن الخط فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقرير ذلك مع استهزاءه به لا نفيه عنك وأثباته للامى الثانى ان ابراهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها الثالث أن يكون ذلك حكاية لما يؤل اليه مذهبهم كأنه قال ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على أمثال هذه الافعال ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار الرابع ما روى عن الكسائى انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا أى فعله من فعله الخامس عن بعضهم انه يقف عند قوله كبيرهم هذا فاسألوهم وأراد بالكبير نفسه لان الانسان أكبر من كل صنم السادس أن فى الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم فيكون اضافة الفعل الى

ووهب الله لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة وقوله وكلا جعلنا صالحين يعنى عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه وعنى بقوله كلا ابراهيم واسحق ويعقوب وقوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا يقول تعالى ذكره وجعلنا ابراهيم واسحق ويعقوب أئمة يؤتم بهم فى الخير فى طاعة الله فى اتباع أمره ونهيه ويقتدى بهم ويتبعون عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا جعلهم الله أئمة يقتدى بهم فى أمر الله وقوله يهدون بامرنا يقول يهدون الناس بامر الله اياهم بذلك ويدعونهم الى الله والى عبادته وقوله وأوحينا اليهم فعل الخيرات يقول تعالى ذكره وأوحينا فيما أوحينا ان افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة بامرنا بذلك وكانوا لنا عابدين يقول كانوا لنا خاشعين لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) يقول تعالى ذكره وآتينا لوطا حكما وهو فصل القضاء بين الخصوم وعلما يقول وآتيناه أيضا علما بامر دينه وما يجب عليه لله فى فرائضه وفى نصب لوط وجهان أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا وآتينا لوطا والآخر بمضمر بمعنى واذكر لوطا وقوله ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث يقول ونجيناه من عذابنا الذى أحللناه باهل القرية التى كانت تعمل الخبائث وهى قرية سدوم التى كان لوط بعث الى أهلها وكانت الخبائث التى كانوا يعملونها اتيان الذكران فى أدبارهم وحذفهم الناس وتضارطهم فى أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر فاخرجه الله حين أراد اهلاكهم الى الشام كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخرجهم الله يعنى لوطا وابنتيه زيتا وزعرتا الى الشام حين أراد اهلاك قومه وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين مخالفين أمر الله خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأدخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين) يقول ان لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا وينتهون الى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله وأدخلناه فى رحمتنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدخلناه فى رحمتنا قال فى الاسلام ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد نوحا اذ نادى ربه من قبلك ومن قبل ابراهيم ولوط وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده وكذبوا نوحا فيما آتاهم به من الحق من عند ربه وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له دعاءه ونجيناه وأهله يعنى باهله أهل الايمان به من ولده وحلائلهم من الكرب العظيم يعنى بالكرب العظيم العذاب الذى أحل بالمكذبين من الطوفان والغرق والكرب شدة الغم يقال منه قد كربنى هذا الامر فهو يكربنى كربا وقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحجتنا وأدلتنا فانجيناه منهم فاغرقناهم أجمعين انهم كانوا قوم سوء يقول تعالى ذكره ان قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء يسيؤن الاعمال فيعصون الله ويخالفون أمره ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وداود

يكونوا فاعلين السابع قراءة محمد بن السميفع فعله كبيرهم بالتشديد أى فلعل الفاعل كبيرهم وفيه تعسف وأما قول ابراهيم عليه السلام انى سقيم فلعله كان به سقم قليل وسوف يجىء تمام البحث فيه وأما قوله فى سارة انها أختى فالمراد انها أخته فى الدين فلم يكن وقتئذ على وجه الارض مسلم سواهما فرجعوا الى أنفسهم حين نبههم على قبح طريقتهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لانكم تعبدون من لا يستحق العبادة وقال

مقاتل معناه فلاموا أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون انه كسرها مع أن الفأس بين يدي الصنم الكبير وقيل أنتم الظالمون لانفسكم اذ سألتم منه ذلك حتى أخذ يستهزئ بكم في الجواب يقال نكسته أي قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس القلب وانتكاس الانسان هو أن يكون رأسه من تحت فلهذا قال ثم نكسوا على رؤسهم والمراد انهم استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة (٣٤) قائلين لقد علمت ماهؤلاء ينطقون وفيه انهم رضوا بالهتهم مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق وقال ابن حربر المعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم وبيان انتكاس الحجة قولهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فان هذه حجة عليهم لالهم وقيل المراد بانتكاس رؤسهم اطراقهم خجلا وانكسارا ثم زاد ابراهيم في توبيخهم قائلا أفتعبدون الآية وقد مر في سورة سبحان ان أف صوت يدل على التضجر واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف وذلك انه أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم قالوا حرقوه المشهور ان الذي أشار بتحريقه هو نمرود بن كنعان بن سحاريب بن نمرود بن كوس بن حام من نوح وقال مجاهد سمعت ابن عمر يقول انه رجل من أعراب العجم يريد الاكراد وعن ابن جريج عن وهب ان الذي قال هذا القول قد خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة روى مقاتل ان نمرود وقومه أجمعوا على احراقه فبنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وهي من قرى الانبار طول ذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير أربعين يوما حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فضجت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين ضجة واحدة أي ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استعان بأحد منكم فاعينوه وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه ملازم الرياح وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليك ثم رفع رأسه الى السماء فقال أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الارض

وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر داود وسليمان يا محمد اذ يحكمان في الحرث * واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان فقال بعضهم كان نبتا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة في قوله اذ يحكمان في الحرث قال كان الحرث نبتا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان غنم القوم وقعت في زرع ليلا * وقال آخرون بل كان ذلك الحرث كرما ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي عن أشعث عن أبي اسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال كرم قد أنبت عناقيده **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن مسروق عن شريح قال كان الحرث كرما * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى اذ يحكمان في الحرث والحرث انما هو حرث الارض وجائز أن يكون ذلك كان زرعا وجائز أن يكون غرسا وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان وقوله اذ نفشت فيه غنم القوم يقول حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته وكنا لحكمهم شاهدين يقول وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب عنا علمه وقوله ففهمناها يقول ففهمنا القضية في ذلك سليمان دون داود وكلا آتينا حكما وعلما يقول وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة وعلما يعني وعلما بأحكام الله وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وهرون بن ادريس الاصم قالا ثنا المحاربي عن أشعث عن أبي اسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كرم قد أنبت عناقيده فافسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمان **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين يقول كنا لما حكما شاهدين وذلك ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم كلها لك فقضى بذلك داود ومر صاحب الغنم بسليمان فاخبره بالذي قضى به داود فدخل سليمان على داود فقال يا نبي الله القضاء سوى الذي قضيت فقال كيف قال سليمان ان الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث فان الغنم لها نسل في كل عام فقال داود قد أصبت القضاء كما قضيت ففهمها الله سليمان

حدثنا

ليس في الارض أحد بعدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى انه قال لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم أتاه جبرائيل في الهواء فقال يا ابراهيم هل لك من حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فارسل الله ملائكة أخذوا بضبعيه وأقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونمر جس ولم تحترق النار منه الا ونافه وأتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر أحبائي قال المنهال بن عمرو أخبرت ان ابراهيم مكث في النار أربعين

يوما أو خمسين وقال ما كنت أيام أطيب عيشا مني اذ كنت بها قلت وذلك لاستغراقه في بحر الفيوض والآثار الربانية ولو لم يكن فيه الا القرب من لطف خليله والبعد من قهر عدوه لكفى ثم نظر نمرود من صرح له مشرف على ابراهيم فرآه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة والحطب يحترق حواليه فناداه يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم فقام يمشي حتى خرج فقال نمرود اني مقرب الى ربك قربانا فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة قال العلماء اختاروا العقاب بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولهذا جاء في الحديث لا يعذب في النار الا خالقها ومن ثم قالوا وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا قويا فاختار والله أشد العقاب وهو الاحراق والا كنتم مقصرين في نصرتها قلنا عن السدي ان القائل هو جبرائيل عليه السلام والاكثرون على انه سحابة وذهب أبو مسلم الاصفهاني الى أنه لا قول هناك بل أراد به الجيل لان النار جماد فلا فائدة في خطابه ويمكن أن يجاب بان الله قادر على أن يخلق لها فهما يصح به التخاطب ولو سلم فلعل في ذلك الخطاب مصلحة

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن علي بن زيد قال ثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لاصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال سليمان كيف قضى بينهم فاخبروه فقال لو وافيت أمرهم لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم قال أدفع الغنم العام الى أصحاب الحرث فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذ أصحاب الحرث الحرث ورد والغنم الى أصحابها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ نفشت فيه غنم القوم قال أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لاهل الحرث وعليهم رعايتها على أهل الحرث ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون لهم الحرث كهيئته يوم أكل ثم يدفعونه الى أهله ويأخذون غنمهم **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثني ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج بنحوه الا أنه قال وعليهم رعيها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن مرة في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان الحرث نبتا فنفشت فيه ليلا فاختصموا فيه الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الحرث فمر واعلى سليمان فذكر واذلك له فقال لا تدفع الغنم فيصيبون منها يعني أصحاب الحرث ويقوم هؤلاء على حرثهم فاذا كان كما كان ردوا عليهم فنزلت ففهمناها سليمان **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن مسروق عن شريح في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا وكان الحرث كرما قال فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال فقال سليمان ان صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال فهو قول الله ففهمناها سليمان **حدثنا** ابن أبي زياد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل عن عامر قال جاء رجلان الى شريح فقال أحدهما ان شاة هذا قطعت عنزا لي فقال شريح نهارا أم ليلا قال ان كان نهارا فقد برئ صاحب الشاة وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم قال كان النفش ليلا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن عامر عن شريح بنحوه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن شريح مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية النفش بالليل والهمل بالنهار ذكر لنا ان غنم القوم وقعت في زرع ليلا فرفع ذلك الى داود فقضى بالغنم لاصحاب الزرع فقال سليمان ليس كذلك ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها حتى اذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه فقال الله ففهمناها سليمان **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والزهري اذ نفشت فيه غنم القوم قال نفشت غنم في حرث قوم قال الزهري والنفش لا يكون الا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم ففهمنا سليمان قال فلما أخبر بقضاء داود قال لا ولكن خذوا الغنم ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها الى الحول **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله

للملائكة والظاهر أن قوله يا نار خطاب لتلك النار المخصوصة فان الغرض يتعلق ببردها فقط وفي النار منافع للخلائق فلا يحسن من الكريم ابطالها وقيل المذكور اسم الماهية فلا بد من حصول البرد في تلك الماهية أينما وجدت وينا سبه رواية مجاهد عن ابن عباس انهم لم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفئت واختلفوا في أن النار كيف بردت فقيل انه تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شئ قدير وقيل خلق في جسد ابراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار كما يفعل بخزنة جهنم وكذلك في النعامة لا يضرها

ابتلاع الحديدة المحماة والسمند ولا يؤذيه المقام في النار وقيل جعل بينه وبين النار حائلا منع من وصول أثر النار اليه والمحققون على القول الاول لان النص دل ظاهره على أن نفس النار صارت باردة وليست الحرارة جزأ من مسمى النار حتى يمتنع كونها نارا وهي بارده وأما على القولين الآخرين فيلزم أن لا يحصل البرد فيها وهو خلاف النص قوله وسلاما أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد والمعنى ابردي حتى يسلم منك ابراهيم (٣٦) أو ابردي برد اغير ضار وينا سبه ما روى عن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها

وقوله على ابراهيم حال من فاعل الكون أو متعلق بالبرد والسلام ولولا هذا القيد لكانت النار بردا على كافة الخلق قوله فجعلناهم الاخسرين وفي الصافات فجعلناهم الاسفلين لان في هذه السورة كادهم ابراهيم لقوله لاكيدن أصنامكم وكادوه لقوله وأرادوا به كيدا فغلبهم ابراهيم لانه كسر أصنامهم وسلم من نارهم فكانوا هم الاخسرين وفي الصافات قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فاجحوا نارا عظيمة وبنوا بناء عاليا ورفعوه اليه ورموا به الى أسفل فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من السافلين وفي العقبى في السافلين ويروى انهم بنوا لابراهيم بنيانا وألقوه فيه ثم أوقدوا عليه النار سبعة أيام ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عنه فاذا هو غير محترق يعرق عرقا فقال لهم حارث أبو لوط ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شئ وأوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر وأوقدوا تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية أبي لوط فاحرقته فآمن له لوط كما يجئ في العنكبوت وهاجر الى أرض الشام فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها أي بالخصب وسعة الارزاق أو بالمنافع الدينية لان أكثر الانبياء بعثوا فيها وقيل ما من ماء أرض عذب الا وينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس يروى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة كله

وقيل الارض مكة وهبناله أي لابراهيم اسحق ويعقوب نافلة هي ولد الولد وهي حال من يعقوب فقط وقيل النافلة العطية الزائدة ومنه الصلاة النافلة ونوفل للرجل الكثير العطاء وعلى هذا احتمل أن يكون حالا من يعقوب فقط أي سأل اسحق فاعطيه وأعطى يعقوب زيادة وفضلا من غير سؤال واحتمل أن يكون حالا من كليهما أي وهبنا هما له عطية منا والاول قول مجاهد وعطاء والثاني وهو أن النافلة العطية قول ابن

أذنفشت فيه غنم القوم قال في حرث قوم قال معمر قال الزهري النفش لا يكون الا بالليل والهمل بالنهار قال قتادة فقضى أن يأخذوا الغنم ففهمها الله سليمان ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث ابن عبد الاعلى **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الآيتين قال انفلتت غنم رجل على حرث رجل فاكلته فجاء الى داود فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت وكانه رأى انه وجه ذلك فمروا بسليمان فقال ما قضى بينكم نبي الله فاخبروه فقال الا أقضي بينكم عسى أن ترضيه فقال نعم فقال أما أنت يا صاحب الحرث فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا مما كان يصيب واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل حتى اذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فاعطه حرثه وخذ غنمك فذلك قول الله تبارك وتعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وقرأ حتى بلغ قوله وكلا آتينا حكما وعلما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله اذ نفشت فيه غنم القوم قال رعت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال النفش الرعية تحت الليل قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن حرام عن محيصة بن مسعود قال دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الانصار ففسدته فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذ نفشت فيه غنم القوم فقضى على البراء بما أفسدت الناقة وقال على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار قال الزهري وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرع الرجل فافسدته ولا يكون النفوش الا بالليل فارتفعا الى داود فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع فانصرفا فمرا بسليمان فقال بماذا قضى بينكما نبي الله فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع فقال ان الحكم لعلي غير هذا انصرفا معي فاتى أباه داود فقال يا نبي الله قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع قال نعم قال يا نبي الله ان الحكم لعلي غير هذا قال وكيف يا بني قال تدفع الغنم الى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها وتدفع الزرع الى صاحب الغنم يقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التي أصابته الغنم عليها دردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع الى صاحب الزرع فقال داود لا يقطع الله فلك فقضى بما قضى سليمان قال الزهري فذلك قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله حكما وعلما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة وعلي بن مجاهد عن محمد بن اسحق قال فحدثني من سمع الحسن يقول كان الحكم بما قضى به سليمان ولم ينعف الله داود في حكمه وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح وكان قتادة يقول في معنى قوله يسبحن في هذا الموضع **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أي يصلين مع داود اذا صلى وقوله وكنا فاعلين يقول وكنا قد قضينا انا فاعلو ذلك ومسخروا الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) يقول تعالى ذكره وعلمنا داود صنعة لبوس لكم واللبوس عند العرب السلاح

عباس وأبي بن كعب وقتادة والفراء والزجاج وكذا من ابراهيم واسحق ويعقوب جعلناصالحين قال الضحاك أي مرسلين وقال غيره عاملين وفي قوله جعلنا صالحين وكذا في قوله وجعلناهم أئمة دلالة الاشاعرة على أن الصلاح بجعل الله وكذا الامامة وغيرها من الافعال أجاب الجبائي بانه أراد تسميتهم بذلك ومدحهم وانه حكم به لهم كما يقال ان الحاكم عدل فلانا وجرحه اذا حكم بالعدالة والجرح وضعف بانه خلاف الظاهر وقوله يهدون بامرنا أي يدعون الناس الى دين الله بامرنا وارادتنا قال أهل (٣٧) السنة فيه ان الدعوة الى الحق والمنع من الباطل لا يجوز الا بامر الله تعالى وقالت المعتزلة فيه ان من صلح لان يقتدى به في الدين فالهداية واجبة عليه ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها ولا خلاف في أن الهادي اذا كان مهتديا بنفسه كان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء به أميل فلذلك قال وأوحينا اليهم فعل الخيرات أي ان يفعلوها لان المراد هو ايجاد أن يحدثوا الخيرات من أنفسهم ونفس الفعل الخير لا يمكن ايجاده فردا الى فعل الخيرات تخفيفا فان المقصود معلوم ثم أضيف المصدر الى المفعول لافادة تخفيف آخر في اللفظ وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة أي أوحينا اليهم أن يقيموا ويؤتوا قال الزجاج حذف الهاء من اقامة لان المضاف اليه عوض منها وقال غيره الاقام والاقامة مصدران ولا ريب ان تخصيص هاتين الخصلتين بالذكر دليل على شرفهما والاولى أصل التعظيم لامر الله والثانية أصل الشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين فيه انه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية فأناهم النبوة والدرجات العالية فهم أيضا وفوا بعهد العبودية فلم يغفلوا عنها طرفة عين قوله ولوطا عن الزجاج انه معطوف على أوحينا وعن أبي مسلم انه معطوف على قوله ولقد آتينا ابراهيم والحكم الحكمة

كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا يدل على ذلك قول الهذلي

ومعي لبوس للبيس كأنه * روق بجبهة ذي نعاج محفل

وانما يصف بذلك رمحا وأما في هذا الموضع فان أهل التأويل قالوا عنى الدروع ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية قال كانت قبل داود صفائح ثم قال وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وعلمناه صنعة لبوس لكم قال كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود عليه السلام * واختلفت القراء في قراءة قوله لتحصنكم فقرأ ذلك أكثر قراء الامصار لتحصنكم بالياء بمعنى ليحصنكم اللبوس من بأسكم ذكروه لتذكير اللبوس وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنى لتحصنكم الصنعة فاث لتأنيث الصنعة وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النجود لتحصنكم بالنون بمعنى لنحصنكم نحن من بأسكم * قال أبو جعفر وأولى القراآت في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بالياء لانها القراءة التي عليها الحجة من قراء الامصار وان كانت القراآت الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني وذلك ان الصنعة هي اللبوس واللبوس هي الصنعة والله هو المحصن به من البأس وهو المحصن بتصييره اياه كذلك ومعنى قوله ليحصنكم ليحرزكم وهو من قوله قد أحصن فلان جاريته وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل والبأس القتال وعلمناه داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم اذا لبستموه ولقيتم فيه أعداءكم من القتل وقوله فهل أنتم شاكرون يقول فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم يقول فاشكروني على ذلك ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين) يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمان بن داود الريح عاصفة وعصوفها شدة هبوبها تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها يقول تجري الريح بامر سليمان الى الارض التي باركنا فيها يعني الى الشام وذلك انها كانت تجري بسليمان وأصحابه الى حيث شاء سليمان ثم تعود به الى مستقره بالشام فلذلك قيل الى الارض التي باركنا فيها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمان اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس الى سريره وكان امرأ غزاء قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصبه على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت أمر الرخاء فدنته شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد يقول الله عز وجل فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب قال ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال فذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدنا غدونا من اصطخر فقلنا ونحن راحلون منه ان شاء الله قائلون الشام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

وقيل الفصل بين الخصوم وقيل النبوة والقرية سدوم والمراد أهلها وخباثتهم مشهورة قد عددت في الاعراف وفي هود وقوم سوء نقيض رجل صدق وأدخلناه في رحمتنا أي أهل رحمتنا أو في الجنة والثواب عن ابن عباس والضحاك وقال مقاتل هي النبوة أي انه لما كان من الصالحين آتيناه النبوة كي يقوم بحقها وقال أهل التحقيق حين آتاه الحكم والعلم وتخلص من جلساء السوء فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الذات والصفات وانها هي الرحمة والحقيقة قوله ونوحا وكذا نظائره معطوف على قوله ولقد آتينا أو المراد واذكر نوحا اذ

نادى بدل منه أى اذكر وقت ندائه من قبل هؤلاء المذكورين والنداء هو دعاؤه على قومه نحو قوله رب انى مغلوب فانتصر وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بدليل قوله فاستجبنا له فنجيناه وأهله أى أهل دينه وهم من معه فى الفلك من الكرب العظيم وهو الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وايذائهم وفى لفظ الكرب وهو الغم الذى يأخذ بالنفس ثم وصفه بالعظم اشعارا بانه عليه السلام لقى من قومه أذى شديدا لا يكتنه كنهه ثم (٣٨) زاده بيانا بقوله ونصرناه الآية تقول نصرته منه فانتصر اذا جعلته منتصرا منه أى

سعيد عن قتادة قوله ولسليمان الريح عاصفة الى قوله وكنا لهم حافظين قال ورث الله سليمان داود فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك ان سخر له الريح والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره قال عاصفة شديدة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها قال الشام واختلفت القراء فى قراءة قوله ولسليمان الريح فقرأته عامة قراء الامصار بالنصب على المعنى الذى ذكرناه وقرأ ذلك عبد الرحمن الاعرج الريح رفعا باللام فى سليمان على ابتداء الخبر عن ان لسليمان الريح * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة بغيرها فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وكنا بكل شئ عالمين يقول وكنا عالمين بان فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخير ناله واعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا ونحن عالمون بكل شئ لا يخفى علينا منه شئ ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) يقول تعالى ذكره وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فى البحر ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب وكنا لهم حافظين يقول وكنا لاعمالهم ولاعدادهم حافظين لا يؤدنا حفظ ذلك كله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيوب يا محمد اذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له يقول تعالى ذكره فاستجبنا لايوب دعاءه اذ نادانا فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد وكان الضر الذى أصابه والبلاء الذى نزل به امتحانا من الله له واختبارا وكان سبب ذلك كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم بن هشام قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه انه كان صابرا نعم العبد قال وهب ان لجبريل بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة فى القربة من الله والفضيلة عنده وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله عبدا بخير تلقاه جبرائيل منه ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش وشاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب بشئ من السموات وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد فى السموات حتى رفع الله عيسى ابن مريم فحجب من أربع وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا والشهب قال وهب فلم يرع ابليس الا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فلما سمع ابليس صلاة الملائكة أدركه البغى والحسد وصعد سريعا حتى وقف من الله مكانا كان يقفه فقال

منتقما داود وسليمان اذ يحكمان فى شأن الحرث اذ نفشت ظرف ليحكمان وهو حكاية حال ماضية قال ابن السكيت النفش بالتحريك ان ينتشر الغنم بالليل من غير راع وعليه جمهور المفسرين وعن الحسن انه يكون ليلا ونهارا وليس فى قوله وكنا لحكمهم دلالة على ان أقل الجمع اثنان لاحتمال انه أراد هما وانما ثنى الضمير فى فهمناها للحكومة أو الفتوى وروى انه دخل رجلان على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث أى زرع وقيل كرم والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان غنم هذا دخلت حرثى وأكلت منه شيأ فقال داود اذهب فان الغنم لك فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك أبوه فدعاه وقال كيف كنت تقضى بينهما قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فتكون له منافعها من الدر والنسل والوبر حتى اذا عاد الحرث من العام القابل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه قال أبو بكر الاصم الحكمان واحد لان الثانى بيان للاول والمشهور عن الصحابة ومن بعدهم انهما متغايران لقوله وكنا لحكمهم ولقوله ففهمناها والفاء للتعقيب فدل على انه فهم حكما خلاف الاول وعلى تقدير الاختلاف فهما

بالوحى أو بالاجتهاد فيه خلاف بين العلماء فمنهم من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء أصلا كالجبائى لقوله وما ينطق عن الهوى ان أتبع الا ما يوحى الى ولان النبى قادر على تحصيل حكم الواقعة بالنص ولان عند تقضى الاجتهاد مظنون وخلاف المظنون لا يوجب الكفر وخلاف الرسول يوجب الكفر ولما ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقف فى بعض الاحكام انتظارا للوحى ولو جاز الاجتهاد لم يتوقف ولانه لو جاز

على النبي بالجواز على جبرائيل أيضا وحينئذ يرتفع الامان عن الوحي فلعل هذه الشرائع من مجتهدات جبرائيل وأجيب بانه اذا أوحى اليه جواز الاجتهاد له صح قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبان الحكم الحاصل عن الاجتهاد مقطوع لا مظنون لانه تعالى اذا قال له مهما غلب على ظنك كون الحكم في الاصل معللا بكذا ثم غلب على ظنك قيام ذلك المعنى في صورة أخرى فاحكم بذلك فهذا الحكم مقطوع به والظن واقع في طريقه سلمنا جواز المخالفة لكنه مشروط بصدوره عن غير معصوم ولهذا لو اجتمعت الامة على مسئلة اجتهادية امتنع خلافهم وكان الرسول أو كدو بان التوقف لعله وجد منه حين لم يظهر له وجه الاجتهاد وبان الامة أجمعوا على عدم جواز اجتهاد جبرائيل ومما يدل على جواز الاجتهاد لنا انه اذا غلب على ظن المجتهد أحد الطرفين فان عمل بهما كان جمعا بين النقيضين وان أهملهما لزم ارتفاع النقيضين وان عمل بالمرجوح دون الراجح فذلك باطل بالاتفاق فلم يبق الا العمل بالراجح قال الجبائي ولئن سلمنا ان الاجتهاد على الانبياء جائز لكن هذه المسئلة غير اجتهادية لان الذي أتلفه صاحب الماشية مجهول المقدار فكيف يجعل الغنم في مقابلة ذلك وأيضا ان اجتهاد داود ان كان صوابا فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وان كان خطأ فكيف لم يذكر الله توبته بل مدحه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما وأيضا لو حكم بالاجتهاد لم يسم ذلك علما وأيضا قوله ففهمناها يدل على أنه من الله لا من سليمان وأجيب بان الجهالة بعد تسليمها قد تكون معفوا عنها كما في حكم المصراة ولعل الخطأ في اجتهاده كان من الصغائر فلهذا أهمل ذكره والاجتهاد من باب العلوم والظن في الطريق كالعلم والذي يحصل في نظر المجتهد مستند الى الله أما الذين منعوا من الاجتهاد مطلقا أو في هذه المسئلة فذهبوا الى أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان ولا استبعاد في أن يوحى الناسخ الى غير من أوحى اليه المنسوخ قال الفقهاء مثال حكومة داود في شرعنا قول أبي حنيفة في العبد اذا جنى على النفس خطأ يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك ويفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ومثال حكومة سليمان قول الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده فانه يضمن القيمة فينتفع به المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد يرد ويقال له ضمان الحيلولة هذا ولو وقعت هذه القضية في شرعنا فلا ضمان عند أبي حنيفة

يا الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولم تجربه ببلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك وليسبنك وليعبدن غيرك قال الله تبارك وتعالى له انطلق فقد سلطتك على ماله فانه الامر الذي تزعم انه من أجله يشكرني ليس لك سلطان على جسده ولا على عقله فانفض عدو الله حتى وقع الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم وكان لايوب الثنية من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها وكان له ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وعمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك فلما جمع ابليس الشياطين قال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فما حرقت من شيء أتى عليه فقال له ابليس فأت الابل ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت ورقمها ونبتت في مراعيها فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها براعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال يا أيوب قال لبيك قال هل تدري ما الذي صنع بك الذي اخترت وعبدت ووحدت بابلك ورعاتها قال أيوب انها ماله أعارنيه وهو أولى به اذا شاء نزعه وقد يماما وطنت نفسي ومالي على الفناء قال ابليس وان ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها فتركت الناس مبهوتين وهم وقوف عليها يتعجبون منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان الله أيوب يقدر على أن يصنع من ذلك شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو فعل الذي فعل ليشمت به عدوه وليفجع به صديقه قال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النقل ورحل مع مالك الارواح فاجرى فيك وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك من أجله فعرالك الله من المصيبة وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص ثم رجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت من عظمائهم عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقي شيأ قال له ابليس فات الغداد بن والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين قروا الغداد بن وأنشوا في الحرث والاتن وأولادها رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك

وأصحابه لا بالليل ولا بالنهار لان جرح العجماء جبار الا أن يكون معها راع والشافعي يوجب الضمان بالليل دون النهار لان الليل وقت المبيت وجميع الماشية فتسريحها تقصير من صاحبها بخلاف النهار وعن البراء بن عازب انه كانت له ناقة ضارية فافتقها ٧ر به فدخلت حائطا فافسدت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها وان حفظ الماشية بالليل على أهلها الا ان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل قال (٤٠) بعض الاصوليين كل مجتهد مصيب لقوله وكلا آتينا حكما وعلما وقال بعضهم المصيب واحد لقوله ففهمناها سليمان ولو كان كل هما مصيبا لم يكن لتخصيص سليمان بالفهم فائدة وضعف بعضهم كلا الاستدلالين من بعد تسليمهما بان ما ثبت في شرعهم لا يلزم أن يكون ثابتا في شرعنا والمدح داود على سبيل الاشتراك ذكر ما يختص بكل منهما فبد داود قائلا وسخرنا مع داود الجبال يسبحن أي حال كونهن مسبحات أو هو استئناف كأنه قيل كيف سخرهن فقال يسبحن والطير وهو معطوف على الجبال أو مفعول معه وتسبيح الجبال اما حقيقة أو مجاز وعلى الاول قال مقاتل كان اذا سبح داود سبح الجبال والطير معه وقال الكلبي اذا سبح داود أجابته الجبال وقال سليمان بن جناب كان داود اذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا وعلى الثاني قيل كانت الجبال تسير معه حيث سار فكل من رآها كان يسبح الله تعالى فلما جلت على التسبيح وصفت به وهذا القول اختيار كثير من أصحاب المعاني والمعتزلة لان الجماد غير قابل للحياة والفهم عندهم ولان المتكلم هو الذي يفعل الكلام لا الذي يكون محلا للكلام ولهذا يقال ان المتكلم هو الله حين كلم موسى لا الشجرة وانما قدم تسبيح الجبال على الطير لان ذلك أدل على القدرة وأدخل في الاعجاز فان الطير أقرب الى الحيوان الناطق من الجماد ولا يلزم من نطق الطير

حتى كانه لم يكن ثم خرج ابليس متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل رده الاول فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح صعد سريعا حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه فقال يا الهي ان أيوب ري انك ما متعته بنفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المذلة والمصيبة التي لا تقوم لها قاوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل يناطح الجدر بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى اذا متل بهم كل مثلة رفع بهم القصر حتى اذا أقله بهم فصار وافيه منكسين وانطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه متغيرا لا يكاد يعرف من شدة التغير والمثلة التي جاء متمثلا فيها فلما نظر اليه أيوب هاله وحزن ودمعت عيناه وقال له يا أيوب قد رأيت كيف أفلت من حيث أفلت والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا ولو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف مثل بهم وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم ويقطر من أشفارهم ولو رأيت كيف غمغمت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم ولو رأيت كيف قذفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم وكيف دق بالخشب عظامهم وخرق جلودهم وقطع عصبهم ولو رأيت العصب عريانا ولو رأيت العظام متهشمة في الاجواف ولو رأيت الوجوه مشدوخة ولو رأيت الجدر تناطح عليهم ولو رأيت ما رأيت فظع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه ولم يزل يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس عند ذلك فصعد سريعا بالذي كان من خزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا ابليس الى الله فوجدوه قد علم بالذي رفع اليه من توبة أيوب فوقف ابليس خازيا ذليلا فقال يا الهي انما هون علي أيوب خطر المال والولد انه ري انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فانا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك قال الله انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وعلى قلبه ولا على عقله فانقض عدو الله جوادا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل الارض في موضع وجهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فتحول فنبت ثوليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حك بالعظام وحك بالجارة الخشنة وبقطع المسوح الخشنة فلم يزل يحكه حتى نفد لحمه وتقطع والتفعل جلد أيوب وتغير وأنتن أخرجه أهل القرية فجعلوه على تل وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله غير امرأته فكانت تختلف اليه بما يصلحه ويلزمه وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه بقال لاحدهم بلدد واليفر وظافر فقال فانطلق اليه الثلاثة وهو في بلائه فبكتوه فلما سمع منهم أقبل على ربه فقال أيوب صلى الله عليه وسلم رب لاي شئ خلقتني لو كنت اذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي وياليتني مت في بطنها فلم

أو الجبل أن يكونا مكلفين فليس كل ناطق مكلفا كالاطفال والمجانين وكنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل أمثال هذه الخوارق على أيدي الانبياء لاجلهم وان كانت عجيبة عندكم واللبوس اللباس يقال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع عن قتادة انها كانت صفائح فسردها وحلقها داود فجمعت الجفة والتحصين وتوارث الناس منه وعمت النعمة بها لكل المحاربين فلذلك قال فهل أنتم شاكرون قال علماء المعاني

اعرف

هذا التركيب أدخل في الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل أنتم تشكرون اذ المختار فيه أن يقدر مفسر محذوف أي هل تشكرون تشكرون ومن قولنا أفأنتم ساكرون لانه وان كان ينبئ عن عدم التجدد لكان الجملة الاسمية الا أنه دون المذكور في القرآن فان هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الانباء عن استدعاء المقام عدم التجدد لان تخلف المعلول عن العلة القوية يدل على وجود مانع أقوى منه اذا تخلف عن العلة الضعيفة ثم حكى ما أنعم به على سليمان فقال ولسليمان أي وسخرنا له (٤١) الريح حال كونها عاصفة ولا ينافي هذا

أعرف شيأ ولم تعرفي ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري وما العمل الذي عملت صرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي فاسوة لي بالسلاطين الذين صفت من دونهم الجيوش يضربون عنهم بالسيوف بخلابهم عن الموت وحرصا على بقائهم أصبحوا في القبور رهائين حتى ظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز وطمروا المطامير وجمعوا الجموع وظنوا أنهم سيخلدون وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون وعاشوا فيها المئين من السنين ثم أصبحت خرابا ماوى للوحوش ومثنى للشياطين قال اليغر اليماني فدأعيانا أمرك يا أيوب ان كاهنك فانري للحديث منك موضعا وان نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء فذلك علينا قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا فانما يحصد امرؤ ما زرع ويجزى بما عمل أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته ولا يحصى عدد نعمه الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت ويرفع به الخافض ويقوي به الضعيف الذي تضل حكمة الحكماء عند حكمته وعلم العلماء عند علمه حتى تراهم من البلى في ظلمة يموجون ان من رجا معونة الله هو القوي وان من توكل عليه هو المكفي هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويداوي قال أيوب لذلك سكت فغضضت على لساني ووضعت لسوء الخدمة رأسي لاني علمت ان عقوبته غيرت نور وجهي وان قوته نزعت قوة جسدي فانا عبده ماقضى علي أصابني ولا قوة لي الا ما حمل علي لو كانت عظامي من حديد وجسدي من نحاس وقلبي من حجارة لم أطق هذا الامر ولكن هو ابتلاني وهو يحمله عني أتيته وفي غضارهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم من قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت لكم تصدقوا عني باموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله مني ويرضى عني اذا استيقظت تمنيت النوم رجاء ان أستريح فاذا نمت كادت تحود نفسي تقطعت أصابعي فاني لارفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا فما يبلغان في الاعلى الجهد مني تساقطت القوائي وتخرر أسي فما بين اذني من سداد حتى ان احداهما لترى من الاخرى وان دماغي ليسيل به من في تساقط شعري عني فكأنما حرق بالنار وجهي وحدقتاي هما متدليتان على خدي ورم لساني حتى يتكفني فما أدخل فيه طعاما الا غصني ودمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني تقطعت أمعائي في بطني فاني لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني ذهبت قوة رجلي فكأنما هما قربتا ملئتا لا أطيق حملهما أحمل لحافي بيدي وأسافي فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني هلك بني وبناتي ولو بقي منهم أحد عابني على بلائي وعنفني وليس العذاب بعذاب الدنيا انه يزول عن أهلها ويموتون عنه ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها ولا يتحولون عن منازلهم السعيد من سعد هنالك والشقي من شقي فيها قال بلدد كيف يقوم لسانك بهذا القول وكيف تفصح به أتقول ان العدل يجور أم تقول ان القوي يضعف ابدك على خطيئتك وتضرع اليربك عسى أن يرحمك ويتجاوز عن ذنبك وعسى ان كنت بريا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك وان كان قلبك قد قسا فان قولنا لن ينفعك ولكن يأخذ فيك هيهات ان تنبت الآجام في المفاوز وهيهات ان تنبت البردي في الفلاة من

قوله في ص فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب لان المراد انها مع كونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم كانت في عملها عاصفة تحمل كرسيه من اصطخر الى الشام أو انها كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حسب ارادته وأمره وكنا بكل شئ عالمين اشارة انه فعل كل ما فعل بالانبياء المذكورين عن حكمة بالغة وتدبير محكم واحاطة باحوالهم وعلم باستئهالهم قوله ومن الشياطين أي سخرنا من الشياطين من يغوصون له ويجوز أن يكون الكلام خبرا ومبتدأ ومن موصولة أو موصوفة كانوا يغوصون لاجله في البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا دون ذلك أي منجاوزا ما ذكر من بناء المدائن والقصور وسائر الصنائع العجيبة قالت العلماء الظاهران التسخير لكفارهم دون المؤمنين منهم لاطلاق الشياطين ولقوله وكنا لهم حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجدمنهم فساد في الجملة اذ كان من دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار والحفظ اما بسبب الملائكة أو مؤمني الجن الموكلين بهم أو بان نجب اليهم طاعته ونخوفهم مخالفته قال ابن عباس في تفسيره

ويدان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء قال الجبائي كيف تتهيأ منهم هذه الاعمال وأجسامهم رقيقة وانما تمكنهم الوسوسة فقط فاعلم الله تعالى كشف أجسامهم خاصة وقواهم على تلك الاعمال الشاقة وزاد في عظمهم معجزة لسليمان فلما مات سليمان ردهم الى الخلقة الاولى اذ لو أبقاهم على الخلقة الثانية لكان شبهة على الناس فلعل بعض الناس يدعي النبوة ويجعله دلالة عليها واعترض عليه الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه بانك لم قلت ان الجن أجسام فلعلهم من الموجودات

التي ليست متحيزة ولا حالة في المتحيز ولا يلزم منه الاشتراك مع الباري فان الاشتراك في اللوازم البعيدة لا يدل على الاشتراك في الملزومات فضلا عن اللوازم السلبية - بلمنا أن الجن أجسام لكن لم قلت ان البنية شرط للقدرة وليس في يدكم الا الاستقراء الضعيف سلمنا انه لا يمكن تكثيف أجسامهم فمن أين يلزم ردهم الى الخلقة الاولى قوله يفضي الى التلبيس قلنا اذا ثبت ان ذلك كان معجزا لنبي قبله لم يمكن المتنبي من الاستدلال ومن عجيب قدرة الله سبحانه (٤٢) ان أصلب الاجسام في هذا العالم الحجارة والحديد وقد سخرهما الله تعالى لداود فانطق الحجر ولين الحديد وفي ذلك دلالة باهرة على انه تعالى قادر على احياء العظام الرميمة ومن الغرائب ان الشياطين مخلوقة من النار وكان يأمرهم بالغوص في الماء وفيه اظهار الضد بالضد فتبارك الله رب العالمين ومن عجائب القصص والاخبار حكاية أيوب عليه السلام وصبره على بلائه حتى صار مثلا عن وهب بن منبه انه كان من الروم من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط اصطفاه الله وجعله نبيا ومع ذلك بسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبع بنين وسبع بنات وله أصناف المواشي وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل وكان ابليس لا يحجب عن السموات حين أخرجه الله من الجنة حتى رفع عيسى عليه السلام فحجب عن أربع حتى اذا ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجب عن جميع السموات الا من استرق السمع قال فسمع ابليس تحاور الملائكة في شأن أيوب فادركه الحسد فقال يا رب انك أنعمت على عبدك أيوب فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تجربه بشدة ولا بلاء وأنا زعيم ان ضربته بالبلاء ليكفرن ربك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت عصارا من النار فاحرقت كل شئ فقال ابليس فات الابل ورعاتها فذهب ولم يشعر الناس حتى ظهر من تحت الارض اعصار لا يدنو منها شئ الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فذهب ابليس على شكل أولئك الرعاة الى أيوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا أيوب هل يدري ما الذي صنع ربك وأخبره بحال الابل ورعاتها فقال أيوب انها ماله اذا شاء نزعه فقال ابليس ان الناس منهم من يقول كان أيوب يعبد

شيأ وما كان الا في غرورومنهم من يقول لو كان الله يقدر على شئ لمنع مرة من دوابه ومنهم من يقول بل هو الذي تعمل ما فعل ليثبت به أعداءه ويفحم به اصدقاءه فقال أيوب الحمد لله خير أعطاني وحين نزع مني خرجت من بطن أمي عريانا وأصحو في التراب عريانا وأحشر الى الله عريانا ولو علم الله فيك أيها العبد حين قبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا وأوجر فيك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت (٤٣) روحه فقال ابليس فات الغنم ورعاها فانطلق فصاح بها فماتت ومات رعاؤها فرجع ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب فقال له القول الاول ورد عليه أيوب الرد الاول فرجع ابليس صاغرا فقال له عفريت آخر عندي من القوة ما اذا شئت تحولت رياحا عاصفة أقلع كل شئ أتت عليه قال فاذهب الى الحرث والثيران فاتاهم فاهلكوهم وأخبر ابليس به أيوب فرد عليه مثل الرد الاول فعمل ابليس بصيب أمواله شأ فشيأ حتى أتى على جميعها فلما رأى ابليس صبره على ذلك صعد الى السماء وقال يا الهي هل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة الكاملة فقال الله انطلق فقد سلطتك فاتى أولاد أيوب في قصره فقلب القصر عليهم ثم جاء الى أيوب متمثلا بالمعلم وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه ودماغه فقال لو رأيت بنيك كيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم يسيل جميع أدمغتهم من أنوفهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويرققه حتى رق أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فحثاها على رأسه فاغتنم ذلك ابليس ثم لبث أيوب حتى استغفر واسترجع فصعد ابليس ووقف موقفه وقال الهي انما هون أيوب خطب المال والولد لعلمه انك تعيدله المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده واني لك

تفسد عمل يديك وان كنت غنيا عني ليس ينبغي في حكمك ظلم ولا في نقمتك عجل وانما يحتاج الى الظلم الضعيف واغا يعجل من يخاف الفوت ولا تذكرني خطئي وذنوبي اذ كركيف خلقتني من طين فجعلت مضغة ثم خلقت المضغة عظاما وكسوت العظام لحما وجلدا وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشددته وربيتني صغيرا ورزقتني كبيرا ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك فان أخطأت فبيني لي ولا تهلكني بخطاياي وذنبي فان لم أرضك فانا أهل ان تعذبني وان كنت من بين خلقك تحصي على عملي واستغفرك فلا تغفر لي ان أحسنت لم أرفع رأسي وان أسأت لم تبلغني ريقي ولم تقلني عثرتي وقد ترى ضعفي تحتك وتضرعي لك فلم خلقتني أولم أخرجتني من بطن أمي لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي فليست الدنيا عندي تخطر لغضبك وليس جسدي يقوم بعذابك فارحمني وأذقني طعم العافية من قبل ان أصير الى ضيق القبر وظلمة الارض وغم الموت قال فاضر قد تكلمت يا أيوب وما يطيق أحد ان يحبس فلك تزعم انك بريء فهل ينفعك ان كنت بريئا وعليك من يحصي عملك وتزعم انك تعلم ان الله يغفر لك ذنوبك هل تعلم سمك السماء كم بعده أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده أم هل تعلم أي الارض أعرضها أم هل عندك من مقدار تقدرها به أم هل تعلم أي البحر أعمقه أم هل تعلم باي شئ تحبسه فان كنت تعلم هذا العلم وان كنت لا تعلمه فان الله خلقه وهو يحصيه لو تركت كثرة الحديث وطلبت الى ربك رجوت أن يرحمك فبذلك تستخرج رحمته وان كنت تقيم على خطيئتك وترفع الى الله يديك عند الحاجة وأنت مصر على ذنبك اصرار الماء الجاري في صبب لا يستطاع احباسه فعند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوه الاشرار وتظلم عيونهم وعند ذلك يسر بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات تزينا بذلك عند ربهم وتقدموا في التضرع ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون اليها وهم الذين كابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار قال أيوب أنتم قوم قد أعجبتكم أنفسكم وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا معروف حتى منتصف من خصمي قاهرا ان هو اليوم يقهرني يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسئلني فلعمري ما نصح الاخ لاخيه حين نزل به البلاء كذلك ولكنه يبلى معه وان كنت جادا فان عقلي يقصر عن الذي يسألني عنه فسل طير السماء هل تخبرك وسل وحوش الارض هل ترجع اليك وسل سباع البرية هل تجيبك وسل حيتان البحر هل تصف لك كلها عدد ت تعلم ان الله صنع هذا بحكمته وهيأه بلطفه اما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع باذنيه وما طعم بفيه وما شم بانفه وان العلم الذي سألت عنه لا يعلمه الا الله الذي خلقه له الحكمة والجبروت وله العظمة واللطف وله الجلال والقدرة ان أفسد فمن ذا الذي يصلح وان أجم فمن ذا الذي يفصح ان نظر الى البحار يبست من خوفه وان أذن لها ابتلعت الارض فانما يحملها بقدرته هو الذي تهبت الملوك عند ملكه وتطيش العلماء عند علمه وتعيي الحكماء عند حكمته ويخسأ المبطلون عند سلطانه هو الذي يذكر المذنبين وينسى المذكورين ويجري الظلمات والنور وهذا على وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي قال بلدد ان المنافق يجزى بما أسر من نفاقه وتضل عنه العلانية التي خادع بها وتوكل على الجزاء بها على الذي عملها ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة ويوحش سبيله وتوقعه في الاحبولة سريرته وينقطع اسمه من الارض

زعيم لو ابتليته في جسده ليكفرن بك فقال تعالى انطلق فقد سلطتك على جسده وليس لك سلطان على عقله وقلبه ولسانه فاتاه أيوب فنفخ في منخره حين هو ساجد فاشتعل منه جسده وخرج من فرقه الى قدمه نارا ليل وقد وقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى كشطت أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وتغير وأنتن فاخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وفضه الناس كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه السلام فكانت تصلح أموره ثم ان وهبا طول في

الحكاية الى أن قال ان أيوب عليه السلام اقبل على الله تعالى مستغيثا متضرعا اليه قائلا يارب لاى شئ خلقتنى بالينى كنت حيضة ألقتنى أمى بالينى كنت عرفت الذى أذنبته والعمل الذى عملت حتى صرفت وجهك الكريم عنى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرابة وللبتيم وليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل فان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وسلطت على ما وسلطته على جبل لضعف من جهله الهى تقطعت أصابعى وسقطت لهوانى وتناثر شعرى وذهب المال وصرت أسأل اللقمة فيطعمنى من يمن بها على ويعيرنى بفقرى وهلاك أولادى قال الامام أبو القاسم الانصارى فى جملة هذا الكلام ليتك لو كرهتنى لم تخلقنى ثم قال ولو كان ذلك صحيحا لافتتنا بابليس فان قصده أن يحمله على الشكوى وأن يخرجه من زمرة الصابرين قلت ان غرض ابليس لا يحصل بمجرد الشكوى وانما كان غرضه أن يرتد أيوب عليه السلام ولهذا قال سفيان بن عيينة من شكا الى الله تعالى فانه لا يعد ذلك جزعا اذا كان فى شكواه راضيا بقضاء الله تعالى اذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله ومما حكاه الله سبحانه من شكوى أيوب قوله انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحين الضر بالفتح الضرر فى كل شئ وبالضم الضرر فى النفس من مرض وهزال قال جار الله ألطف فى السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة عليه وذكر ربه بما يجب أن يصدر دعاء الرحمة عنه ولم يصرح بالمطلوب وحسن الطلب * باب من أبواب الادب * يحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت حزذان بنتى على العصا فقال لها ألطفت فى السؤال لاجرم لاردنها تثب وثبة الفهود وملأ بيتها حبا وفى

فلا ذكر له فيها ولا عمران لا يرثه ولد مصلحون من بعده ولا يبقى له أصل يعرف به ويهتدى به من يراه وتقف الاشعار عند ذكره قال أيوب ان أكن غويا فعلى غوايى وان أكن برا فالى منعة عندى ان صرحت فمن ذا الذى يصرحنى وان سكت فمن ذا الذى يعذرنى ذهب رجائى وأنقطت أحلامى وتنكرت لى معارفى دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لامتى فلم ترحمنى وقع على البلاء فرفضونى أنتم كنتم أشد على من مصيبتى انظروا بهتوا من العجائب التى فى جسدى اما سمعتم بما أصابنى وما شغلكم عنى مار أيتم بلى لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن انقلب عند الحكم ولكن لى وباجبار اتعالى فوق سمواته وألقانى ههنا وهنت عليه لاهو عذرنى بعذرى ولاهو أدنانى فاخاصم عن نفسى يسمعنى ولا أسمعه ويرانى ولا أراه وهو محيط بى ولو تجلى لى لذابت كليتاى وصعق روحى ولو نفسنى فاتكلم بملء فمى وفرغ الهيبة منى علمت بأى ذنب عذبتنى نودى فقيل يا أيوب قال لبيك قال أنا هذا قد دنوت منك فقم فاشدد ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى لى ان يخاصمنى الا جبار مثلى ولا ينبغى ان يخاصمنى الا من يجعل الزنار فى فم الاسد والسخال فى فم العنقاء واللجام فى فم التنين ويكيل مكيالا من النور وزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لغد لقد منتك نفسك أمرا ما تبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت اى مرام رمت بك أردت ان تخاصمنى بغيك أم أردت ان تحاجنى بخطابك أم أردت ان تكاثرنى بضعفك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على أسامها هل علمت باى مقدار قدرتها أم كنت معى فى مباطرافها أم تعلم ما يبدو وايا ها أم على أى شئ وضعت أكنافها أبطاعتك جعل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء عطاء أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا يلائق ثبتت من فوقها ولا يحملها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها أين أنت منى يوم سخرت البحار ونبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بانت منها أين أنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك من ذراع يطيق حملها أم هل تدرى كم من مثقال فيها أم أين الماء الذى أنزل من السماء هل تدرى أم تلده أو أب ولده أحكمتك أحصت القطر وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء هل تدرى ما أصوات الرعود أم من أى شئ لهب البروق هل رأيت عمق البحور أم هل تدرى ما بعد الهواء أم هل خزنت أرواح الاموات أم هل تدرى أين خزانة الثلج أو أين خزان البرد أم أين جبال البرد أم تدرى أين خزانة الليل بالنهار وأين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأى لغة تتكلم الاشجار وأين خزانة الريح وكيف تحبسه الاغلاق ومن جعل العقول فى أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة الملكه وقهر الجبابرة بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرف الطير معايشها وعطفها على أفراخها من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالصوات ولا تهاب المسلطين أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير وأولاد الدواب لامهاتها أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم من حكمتك يبصر العقاب الصيد فاصيح فى أماكن

قوله وأنت أرحم الراحين رمز الى أنه جواد مطلق لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه ولا يطلب شيأ القتلى ويجلب مدحا وكل رحيم سواه فامارحمته لغرض من الاغراض أو لرقة طبع ونحو ذلك على ان تلك الرحمة أيضا تتوقف على داعية يخلقها الله فيه والآفات والآلام التى نراها فى هذا العالم كلها مستندة الى صفة قهره التى لا بد لكل ملك منه أو مستتبعة لصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية فى الوجود لاشتمالها على خيرات أكثر من الشرور واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله دعا الله أيوب فعن أنس

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أيوب عليه السلام بقي في البلاء ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فتخلا عليه ذات يوم فوجدا ريحا فقالا لو كان لايوب عند الله خير ما بلغ الى هذه الحالة قال فما شق على أيوب شئ مما ابتلي به مثل ما سمع منهما فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت شبعان وأنا أعلم بمكان جائع فصدق وهما يسمعان ثم خر أيوب ساجدا وقال اللهم اني لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي فكشف الله ما به وقال الحسن مكث أيوب بعد ما ألقي على الكناسة سبع سنين وأشهرا ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق غير امرأته صبرت معه وكانت تأتيه بالطعام وكان أيوب مواظبا على حمد الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جزع من ضر أيوب فاجتمع جنوده من اقطار الارض وقالوا له ما خبرك قال أعياني هذا العبد الذي سألت أنه أن يسلطني عليه وعلى ماله وولده فانه لا يزيد بالبلاء الا صبرا وحمدا لله تعالى فقالوا له أين مكرك أين حيلك الذي أهلكت به من مضى من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها لانه لا يقربه أحد غيرها قال أصبتم فانطلق حتى اذا أتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو هذا يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فظن ابليس انها جزعت فطمع فيها ووسوس اليها وذكر لها ما كان بها من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال لتذبح هذه باسم أيوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال وأين الماشية أين الولد أين الصديق أين اللون أين الحسن أين جسمك الذي قد بلي وقد صار مثل الرماد ويتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال أيوب أتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من أعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فنذكرا بتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله وحرام علي ان أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتيني به فطردها فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خرسا جدا وقال اني

القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت مكانه في منقطع التراب والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤسها كأنها آكام الجبال وعروق أنفاذهما كأنها أوتاد الحديد وكان جلودهما فلق الصخور وعظامها كأنها عمد النحاس هما رأساخلق الذين خلقت للقتال أأنت ملأت جلودهما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا أم هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي عملتها يداوهل تبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدهما من قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين رزقه في البحر ومسكنه في السحاب عيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لوب كأنه اعصار المجاج جوفه يحترق ونفسه تلتهب وزبده كامثال الصخور وكأن صريف أسنانها صوت الصواعق وكان نظر عينيه لهب البرق أسراره لا تدخله الهموم تربه الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويضحك من النيازك ويسير في الهواء كانه عصفور ويهلك كل شئ بمر به ملك الوحوش واياه آثرت بالقوة على خلقي هل أنت آخذه باحبولتك فرابطه بلسانه أو واضع اللجام في شدقه أتظنه يوفي بعهدك أو يسبح من خوفك هل تحصي عمره أم هل تدري أجله أو تفوت رزقه أم هل تدوي ماذا يخرب من الارض أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره أتطيق غضبه حين يغضب أم تامره فيطيعك تبارك الله وتعالى قال أيوب صلى الله عليه وسلم قصرت عن هذا الامر الذي تعرض لي ليت الارض انشقت بي فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشئ يسخط ربي اجتمع علي البلاء الهي جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تكرمني وتعرفني نصحي وقد علمت ان الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا ما شئت علمت لا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يستر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف انما كنت اسمع بسطوتك سمعا فاما الآن فهو يبصر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت التراب بخدي ودست وجهي لصغاري وسكت كما أسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه مني قال الله تبارك وتعالى يا أيوب نفذ فيك علمي ويحلمي صرفت عنك غضبي اذ خطئت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاء لك وقرب عن صاحبتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني وغيره من أهل الكتب الاول انه كان من حديث أيوب انه كان رجلا من الروم وكان الله قد اصطفاه ونباه وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال وبسط عليه من الدنيا فوسع عليه في الرزق وكانت له الثنية من أرض الشام أعلاها واسفلها وسهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون للرجل افضل منه في العدة والكثرة وكان الله قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان براتقيا رحيما بالمساكين يطعم

وقد صاروا مثل الرماد ويتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال أيوب أتاك عدو الله ونفخ فيك ويلك من أعطانا الذي تذكرين من المال والولد والصحة قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فنذكر ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله وحرام علي ان أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتيني به فطردها فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده لا طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خرسا جدا وقال اني

مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقال ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ثم ضرب برجله مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن مما كان حتى ذكر أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه طردني أفاتركه حتى يموت وتأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأته في تلك الكناسة ولا تلك الحالة فجعلت تطوف وتبكي فدعاها أيوب وقال ما تريدين يا أمة الله فقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد يراه فتبسم قائلا أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتني ان أذبح لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان فعافاني الله ببركة ذلك الرواية الثالثة قال الضحاك ومقاتل بقي في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما غاب أيوب ابليس ذهب ابليس الى امرأته على غير هيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس كمراكب الناس وقال لها أنت صاحبة أيوب قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا اله الارض أنا صنعت بأيوب ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك جميع ماله كما من مال وولد فان ذلك عندي قال وهب وسمعت انه قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم الله تعالى اعوفي مما فيه من البلاء وأدنى ما قال لها لو شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته فقال أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم لئن عافاني الله لاجلدنك مائة

المساكين ويحمل الارامل ويكفل الايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله عليه مؤديا لحق الله في الغنى قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما أصاب من اهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضل ما اعطاه الله على من سواه منهم رجل من اهل اليمن يقال له اليفروز وجلان من اهل بلاده يقال لاحدهما صوفر وللآخر بلدد وكانوا من بلاده كهولا وكان لابليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه فصعد الى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه فقال الله له أوقبل له عن الله هل قدرت من ايوب عبدي على شئ قال اي رب وكيف أقدر منه على شئ انما بتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية واعطيته الاهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده واهله وماله فماله لا يشكرك ويعبدك ويطيعك وقد صنعت بماله وابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما كان عليه من شكرك واتركك عبادتك وخرج من طاعتك الى غيرها أو كما قال عدو الله فقال قد سلطتك على اهله وماله وكان الله هو اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء وليجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به ويرجوا من عاقبة الصبر في عرض من الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بايوب فانحط عدو الله سريعا فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين من جنوده فقال اني قد سلطت على اهل ايوب وماله فماذا عليكم فقال قائل منهم اكون اعصارا فيه نارا فلا امر بشئ من ماله الا اهلكته قال انت وذاك فخرج حتى اتى اليه فاحرقها ورعاتها جميعا ثم جاء عدو الله الى ايوب في صورة قيم عليها وهو في مصلى فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فجئتك اخبرك بذلك فعرفه ايوب فقال الحمد لله الذي هو اعطاها وهو اخذها الذي اخرجك منها كما يخرج الزلال من الحب النقي ثم انصرف عنه فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلك مال من ماله حمدا لله واحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى اذا لم يبق له مال أتى أهله وولده وهم في قصر لهم معهم محظيانهم وخدامهم فتمثل ريحا عاصفا فاحتمل القصر من نواحيه فالقاه على أهله وولده فشدخهم تحته ثم أتاه في صورة قهرمانه عليهم قد شدخ وجهه فقال يا أيوب قد أتت ريح عاصف فاحتملت القصر من نواحيه ثم ألقته على أهلك وولدك فشدخهم غيري فجئتك أخبرك ذلك فلم يجزع على شئ أصابه جزعه على أهله وولده وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ثم قال ليت أمي لم تلدني ولم أك شيأ وسربها عدو الله منه فاصعد الى السماء جذلا وراجع أيوب التوبة مما قال فحمد الله فسبقت توبته عدو الله فلما جاء وذكر ما صنع قيل له قد سبقتك توبته الى الله ومراجعته قال أي رب فسلطني على جسده قال قد سلطتك على جسده الا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره فاقبل اليه عدو الله وهو ساجد فنفخ في جسده نفخة أشعل ما بين قرنه الى قدمه كمر يق النار ثم خرج في جسده ثآليل كالبا الغنم فحك باظفاره حتى ذهبت ثم بالفخار والحجارة حتى تساقط لحمه فلم يبق منه الا العروق والعصب والعظام عيناه يجولان في رأسه للنظر وقلبه للعقل ولم يخلص الى شئ من حشو البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو يأكل ويشرب على التواء

من جلدة وقال عند ذلك مسني الضر يعني من طمع ابليس في مودتي وسجود زوجتي له الرواية الرابعة قال اسمعيل السدي ان ابليس تمثل للقوم في صورة بشر وقال لئن تركتم أيوب في قريتكم أعدى اليكم ما به من العلة فاخرجوه الى باب البلد ثم قال لهم ان امرأته تدخل عليكم وتعمل وتبيع لزوجها أما تخافون أن يعدي اليكم علته فحينئذ لم يستعملها أحد فتحيرت وكان لها ثلاث ذوائب فعمدت الى احداهن فقطعتها وباعتها

فاعطوها بذلك خبزا ولما قال أيوب من أين هذا قالت كل فانه حلال فلما كان من الغد لم تجد شيأ فباعت الذؤابة وكذلك فعلت في اليوم الثالث وقالت كل فانه حلال فقال لا آكل أو تخبريني فاخبرته فبلغ ذلك من أيوب ما الله به عليم فقال لئن عافاني الله لاضربنك مائة ضربة فلما عافاه الله وطهر من بلائه أخذ عثكالا فيه مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فبرت يمينه وهذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبي ان الله تعالى أحيا له أهله بعينهم وأولاده بأعيانهم والثاني قال الليث أرسل مجاهد الى عكرمة وسئل عن الآية فقال أراد أهلك له في الآخرة وآتيناه مثلهم في الدنيا فقد روي ان زوجته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا له ثم بين الحكمة في ذلك الابتلاء ثم الاستجابة بقوله

رحمة من عندنا لايوب وذكرى لغيره من العابدين للرحمن أو الرحمة والذكرى كلاهما للعابدين لكي يتفكروا فيصبروا كما صبر حتى يثابوا في الدارين كما أثيب وانما خص الرحمة والتذكرة بالعابدين لانهم هم المنتفعون بذلك لا الذين يعبدون الهوى والشيطان قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة رحمة من عندنا وقال في ص رحمة منا لانه بالغ ههنا في الدعاء بزيادة قوله وأنت أرحم الراحمين فبالغ في الاستجابة لان لفظ عند يدل على مزيد التخصيص وانه سبحانه تولى ذلك من غير واسطة وحين ذكر صبر أيوب وانقطاعه اليه ذكر غيره من الانبياء

من حشوته فمكث كذلك ماشاء الله أن يمكث فحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن ابن دينار عن الحسن أنه كان يقول مكث أيوب في ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكانسة في جانب القرية قال وهب بن منبه ولم يبق من أهله الا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له ولا يقدر عدو الله منه على قليل ولا كثير مما يريد فلما طال البلاء عليه وعلمها وسئمها الناس وكانت تكسب عليه ما تطعمه وتسقيه قال وهب بن منبه فحدثت انها التمست له يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ حتى جزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فاتته به فعجنته اياه فلبث في ذلك البلاء ثلاث السنين حتى ان كان المار ليرى فيقول لو كان لهذا عند الله خير لاراحه مما هو فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال فحدثني محمد بن اسحق قال وكان وهب بن منبه يقول لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيأ اعترض لامرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ليس لها فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرينني قالت لا قال فانا الله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد الله السماء وتركني فاغضبني ولو يجدني سجدة واحدة ترددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها اياهم فيما ترى ببطن الوادي الذي لقيها فيه قال وقد سمعت انه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراها قال أوقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة ضربة فلما طال عليه البلاء جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدقوه معهم فتى حديث السن قد كان آمن به وصدقه فجلسوا وانظروا الى ما به من البلاء فاعظموا ذلك وفظعوا به وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده وذلك حين أراد الله أن يفرج عنه ما به فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه قال أي رب لاي شيء خلقتني ولو كنت اذ قضيت علي البلاء تركتني فلم تخلقني ليتني كنت دما ألقتني أمي ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر عن اسمعيل بن عبد الكريم الى وكابدوا الليل واعتزلوا الفرش وانتظروا الاسحار ثم زاد فيه أولئك الآمنون الذي لا يخافون ولا يهتمون ولا يحزنون فان عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم قال فتى حضرهم وسمع قولهم ولم يفطنوا له ولم يأبهوا لمجلسه وانما قيضه الله لهم لما كان من جورهم في المنطق وشططهم فاراد الله أن يصغر به الهم أنفسهم وان يسفه بصغره لهم أحلامهم فلما تكلم تمادى في الكلام فلم يزدد الا حكما وكان القوم من شأنهم الاستماع والخشوع اذا وعظوا أو ذكروا فقال انكم تكلمتم قبلي أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام وأولى به مني لحق أسنانكم ولانكم جربتم قبلي ورأيتم وعلمتم مالم أعلم وعرفتم مالم أعرف ومع ذلك فقد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم ومن الموعظة أحكم من الذي وصفتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم هل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم وانتهرتم ولم تعلموا أيها الكهول ان أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الارض يومكم هذا اختاره الله لوحيه

الشيطان بنصب وعذاب فصح أن يكون سندا لهذه الروايات الا أن الجبائي طعن فيها بان الشيطان كيف يقدر على احداث الامراض والاسقام والقادر على ذلك قادر على خلق الاجسام وحينئذ يكون الها وأيضا ان هذه التأثيرات تنافي قوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاجبتموني انه كان باذن من الله كما حكيناه فلا محذور ولا تنافي قال ومن البعيد انه لم يسأل الله الا عند أمور مخصوصة والجواب ان الامور مرهونة بأوقاتها قال انتهاء أمراض الانبياء الى حد التنفير من القبول غير جائز والجواب المنع ولا سيما بشرط العافية في العاقبة قوله سبحانه فكشفنا ما به من ضر يحمل بمقتضى اعادته الى ما كان في بدنه وأحواله وقوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم تفصيل لذلك المجمل وفيه قولان الاول قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والكلبي ان الله تعالى أحيا له أهله بعينهم وأولاده

المشهور بن بالصبر منهم اسمعيل عليه السلام صبر على الانقياد للذبح وعلى الاقامة واد لا زرع فيه ولا ضرع وصبر على بناء البيت ورفع قواعده فلا جرم أخرج الله ببركة ذلك من صلبه خاتم النبيين ومنهم ادريس وقد مر ذكره في سورة مريم قال ابن عمر بعث الى قومه داعيا لهم الى الله فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس الى السماء ومنهم ذوالكفل قيل هو زكريا وعلى هذا فقد تقدمت قصته أيضا وفي هذا القول نظر لان قصة زكريا تجيء عن عقيب فيلزم التكرار (٤٨) وقيل هو الياس وكان خمسة من الانبياء ذوي اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذوالكفل وعيسى والمسيح ويونس وذوالنون محمد وأحمد وقيل يوشع ابن نون سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله دينا ودنيا أولانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقال أبو موسى الاشعري ومجاهد انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا وقال الحسن والاكثرون انه من الانبياء وهذا أقرب لانه معطوف عليهم معدود فيما بينهم يروى عن ابن عباس ان اليسع أو نبيا آخر في بني اسرائيل قربت وفاته فاراد أن يستخلف رجلا على الناس فقال من يقبل مني خلافتي على أن يصلي بالليل ويصوم بالنهار ويقضي بين الناس فلا يغضب فقام رجل وقال أنا أتكفل لك هذه الثلاثة فدفع اليه ملكه وفي بما ضمن فحسده ابليس فاتاه وقت القيلولة فقال ان لي غريما قد ظلمني حقي وقد دعوته اليك فابى فارسل معي من ياتيك به فارسل معه وقعد حتى فاتته القيلولة وعاد الى صلاته وصلى ليله الى الصباح ثم أتاه من الغد وقال مثل ذلك حتى شغله عن القيلولة وهكذا في اليوم الثالث وقيل انه في اليوم الثالث قال للبواب قد غلب علي النعاس فجاء ابليس فلم يأذن له البواب فدخل من كوة البيت ودق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وعاتب البواب فقال أما من قبلي فلم يؤت فقام الى الباب فاذا هو مغلق وابليس على صورة شيخ في البيت فقال له أتنام والخصوم على الباب فعرفه وقال ابليس وخاصم

واصطفاه لنفسه وأتمنه على نبوته ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه حفظ شيأ من أمره مذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع عنه شيأ من الكرامة التي أكرمه بها مذ أتاه ما أتاه الى يومكم هذا ولا ان أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ليس بلاؤه لاولئك بدليل سخطه عليهم ولا لانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة ولا في النبوة ولا في الاثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة الا انه أخ أحببتموه على وجه الصحابة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكن يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول في أنفسكم قال ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع لسانك ويكسر قلبك وينسيك حجتك ألم تعلم يا أيوب ان لله عبادا أسكنتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الالباء العالمون بالله وبآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم وافتضحت جاودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لالله واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم لانزاه برآء ومع المقصرين والمفرطين وانهم لا كياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مرعوون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون متى مارأيتهم يا أيوب قال أيوب ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا الشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حليما في الصبا لم يسقط منزله عند الحكماء وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ولكنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظني انكم وقيتم بأحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم أنفسكم لوجدتم لكم عيوبا تستركم الله بالعافية التي ألبسكم ولكن قد أصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي مغرورا فاحتي منتصفا من خصمي قاهرا لمن هو اليوم يقهرني مهيبا مكاني والرجال مع ذلك ينصتون الي ويوقرونني فاصبحت اليوم قد انقطع رجائي ورفع حذري وملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وكفرني أهل بيتي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخ وني وأعتذر فلا يعذرني وان قضاه هو الذي أذلني وأقماني وأخسأني وان سلطانه هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج لنفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا تظر الى فرحي ولا دنامتي ولا أدناني فادلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي منه ثم قيل له يا أيوب ان الله يقول ها أنا ذا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك الذي زعمت وتكلم ببراءتك

قال نعم أعيذني في كل شيء فعلت هذه الافعال لاغضبنك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه قد وفى بالكفالة ولا خلاف ان ذا النون هو يونس لان النون هو السمكة والاسم اذا دار بين أن يكون لقبا محضا وبين أن يكون مقيدا فحمله على المقيد أولى واختلفوا في أن وقوعه في بطن الحوت كان قبل اشتغاله باداء الرسالة أو بعده أما القول الاول فعن ابن عباس ان يونس وقومه كانوا من فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم

تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب عليه السلام أن اذهب الى جزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني ألقي في قلوب أوليائك أن يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك من ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوي أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله بإخراجي قال لا قال فههنا أنبياء غيري فاخرج أنت اليهم فخرج مغاضبا للملك وقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هناك وسفينة فركب معهم فاضطربت السفينة (٤٩) حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون

ههنا رجل عاص أو عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص ومن عادتنا في مثل هذا البلاء أن يقرع فمن خرجت له القرعة ألقيناه في البحر حتى تسلم السفينة فاقرعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه في البحر فابتلعه حوت فاوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنا له ولم أجعله طعاما لك ثم نجاه الله من بطن الحوت فنبذه بالعراء كالفرخ المنبوث ليس عليه شعر ولا جلد فانبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرتها حتى اشتد فلما يبست الشجرة حزن عليها يونس فقال له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطالب سلامتهم وتوجه يونس نحوهم حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فقال لملكهم ان الله أرسلني اليك لترسل معي بني اسرائيل فقالوا ما نعرف ما تقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا ولقد أتينا كم في ديارهم وحيينا كم فلو كان كما تقول لمنعنا الله منكم فطاف فيهم ثلاثة أيام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه فاوحى الله اليه قل لهم ان لم تؤمنوا جاءكم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم

وخاصم عن نفسك واشدد ازارك ثم ذكر نحو حديث ابن عساكر عن اسمعيل الى آخره وزاد فيه ورحتى سبقت غضبي فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبتك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه وزعموا ومثله معه لتكون لمن خلفك آية ولتكون عبرة لاهل البلاء وعزا للصابرين فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فلبس وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة متلددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال لا ثم تبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما خذلت عبد الله بن عباس حديثه واعتناقها اياه فقال عبد الله فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه انه دعاها حين سألت عنه فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيته قالت نعم ومالي لا أعرفه فتبسم ثم قال ها أنا هو وقد فرج الله عني ما كنت فيه فعند ذلك اعتنقته قال وهب فاوحى الله اليه في قسمه ليضربنها في الذي كلمته ان خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث أي قد برت يمينك يقول الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب يقول الله ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب **حدثنا** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال لقد مكث أيوب مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا ما يسأل الله أن يكشف ما به قال وما على وجه الارض خلق أكرم على الله من أيوب فيزعمون ان بعض الناس قال لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا فعند ذلك دعا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال بقي أيوب على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف عليه الدواب **حدثني** محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه قال لم يكن بأيوب أكلة انما كان يخرج به مثل ثدي النساء ثم ينفقه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن وحجاج عن مبارك عن الحسن زاد أحدهما على الآخر قال ان أيوب آتاه الله مالا وأوسع عليه وله من النساء والبقر والغنم والابل وان عدو الله ابليس قيل له هل تقدر أن تفتن أيوب قال رب ان أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ولا يستطيع أن لا يشكرك ولكن سلطني على ماله وولده فسترى كيف يطيعني ويعصيك قال فسلطه على ماله وولده قال فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب وهو يصلي متشبها براعي الغنم فيقول يا أيوب تصلي لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيأ من الغنم الا أحرقها بالنيران وكنت ناحية فجئت لاخبرك قال فيقول أيوب اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت مهما تبقي نفسي أحمدك على حسن بلائك فلا يقدر منه على شيء مما يريد ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ويرد عليه أيوب مثل ذلك قال وكذلك فعل بالابل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده فقال يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت حتى هلكوا فيقول أيوب مثل ذلك قال ورب هذا حين أحببت الى الاحسان كله قد كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار ويشغلني

(٧ - (ابن جرير) - السابع عشر)

فلما قدموه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه فقال علماؤهم اطلبوا فان كان في المدينة فليس ما ذكره بشيء وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فلم يجدوه فلما أيسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم وغنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات فلما طلع الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان ورفعت الوالدة فرفع الله عنهم فبعثوا الى يونس وآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل الى

الثاني وعليه أكثر المفسرين ان قصة الحوت كانت بعد دعائه أهل نينوى وتبليغه رسالة الله اليهم كما مر في سورة يونس واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه القصة من وجوه الاول انه ذهب مغاضبا لربه هكذا فسره ابن عباس وابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد بن جرير ومن المعلوم ان مغاضبة الله من أعظم الذنوب ولئن سلم انه كان مغاضبا لقومه فذلك أيضا محظور لانه كان يجب أن يصبر معهم الثاني قوله فظن أن لن نقدر عليه وهو شك في قدرة الله الثالث اعترافه بانه من الظالمين والظلم من صفات الذم الرابع اخبار الله تعالى في موضع آخر بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم ذو الملامة الخامس قوله للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال في موضع آخر فاصبر كما صبر أولوا العزم والجواب انه عليه السلام غضب لاجل ربه الغفلة دينه وبغضا للكفر وأهله وغاضب قومه بمفارقته كي يخوفهم حلول العقاب عليهم عندها فغايته ما في الباب ان تلك المغاضبة ترك الاولى وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها الى أن يأذن الله له في المهاجرة وعن الثاني ان معنى لن نقدر عليه لن نضيق كقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فهو من القدر لا من القدرة ويجوز أن يكون من القدر بمعنى القضاء قال الزجاج يقال قدر الله الشيء قدرا وقدره تقديرا والمعنى فظن أن لن نقضي عليه بشدة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وابن عباس في رواية واختاره الفراء والزجاج يقال قدر الله عليه الضراء وقدره السراء كما يقال قدر القاضي على فلان أوله ولئن سلمنا انه من القدرة فالمراد القدرة بالفعل أي فظن أن لن نعمل فيه قدرتنا فالقدرة غير وأعمالها غير فظن انتفاء الاول الكفر دون الثاني أو هو وارد على سبيل التمثيل والاستعارة أي كانت حاله مثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله أو هو استفهام بمعنى التوبيخ بمعناه أفظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله عن ابن زيد سلمنا الكل لكن هذه الواقعة لعلها قبل رسالته كما حكينا ومثل هذا الظن في حق غير الانبياء لا يبعد بوسوسة الشيطان ولكن المؤمن يرده بعد ذلك بالبرهان وعن البواقي ان الكل راجع الى ترك الاولى ونحن لا ننكر ذلك وكفى بذكر

حب الولد بالليل شفقة عليهم فالآن افرغ همي لك وبصري وليلي ونهاري بالذكر والحمد والتقديس والتهليل فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيأ مما يريد قال ثم ان الله تبارك وتعالى قال كيف رأيت ايوب قال ابليس ايوب قد علم انك سترد عليه ماله وولده ولكن سلطني على جسده فان اصابه الضر فيه اطاعني وعصاك قال فسلط على جسده فاتاه فنفخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه الى قدمه قال فاصابه البلاء بعد البلاء حتى حمل فوضع على مزبلة كناسة لبني اسرائيل فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق وكانت تاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا جاع وايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والتحميد والثناء على الله والصبر على ما ابتلاه الله قال الحسن فصرخ ابليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر ايوب فاجتمعوا اليه وقالوا له جعلنا ما نجبرك ما أعياك قال أعياني هذا العبد الذي سألت ربي ان يسلطني على ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله وتحميدا له ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني اسرائيل لا يقربه الا امرأته فقد افتضحت بي فاستعنت بكم فاعينوني عليه قال فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك ارأيت آدم حين اخرجته من الجنة من أين اتيته قال من قبل امرأته قالوا فانك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذا يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوقع في صدرها فوسوس اليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنهم ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد صرخت وجزعت اتاها بسخلة فقال ليذبح هذا الى ايوب ويبرأ قال فجاءت تصرخ يا ايوب يا ايوب حتى متى يعذبك ربك ألا يرحمك ان المال أتى الولد أين الصديق ابن اولئك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد ابن جسمك الحسن الذي قد بلى وتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقا وأجبته ويلك اريت ما تبكين عليه مما ذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنانيه قالت ثمانين سنة قال فذكرها بتلاناه الله بهذا البلاء الذي ابتلانا الله به قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفتيني ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة هيه امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تاتيني به علي حرام وان اذوق ما تاتيني به بعد اذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا ارالك فطردها فذهبت فقال الشيطان هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه فباء بالغلبة ورفضه ونظر ايوب الى امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق قال الحسن ومر به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله ما على ظهر الارض يومئذ اكرم على الله من ايوب فقال احد الرجلين لصاحبه لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا فلم يسمع أيوب شيأ كان أشد عليه من هذه الكلمة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين

يونس في عدد الانبياء الصابرين الصالحين دليلا على أنه لم يصدر عنه شئ يناقي عصمته والله تعالى أعلم أما قوله فنادى في الظلمات فمعنى الجمع راجع الى شدة الظلمة وتكاثفها أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله يخرجكم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر وقيل ان الحوت اذا عظم غوصه في البحر كان ما فوقه من البحر ظلمة في ظلمة ومعنى أن لا اله الا أنت أي لا اله الا أنت أو بانه لا اله الا أنت سبحانك تنزيها له عن كل النقائص

الحسين قال ثنى حجاج عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لايوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى قال فما جزع أيوب من شئ أصابه جزعه من كلمة الرجل فقال أيوب اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعان قط وانا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم اتخذ قميصين قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق وهما يسمعان قال ثم خر ساجدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال فقال رب اني مسني الضر ثم رد ذلك الى ربه فقال وأنت أرحم الراحمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن جرير عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن ومخلد بن هشام عن الحسن دخل حديث أحدهما في الآخر قالا فقيل له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط فاذهب الله كل ألم وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يتلفت ولا يرى شيأ مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل به تطاير على صدره جرادا من ذهب قال فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردني الى من أكله أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع لارجعن اليه فرجعت فلا كناسة تراى ولا من تلك الحال التي كانت واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب قالت وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل عنه فارسل اليها أيوب فدعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل قال لها أيوب ما كان منك فبكت وقالت يعلى فعل رأيته وهي تبكي انه قد كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانا أيوب الذي أمرتيني ان أذبح للشيطان واني أطعت الله وعصيت الشيطان فدعوت الله فرد علي ما ترين قال الحسن ثم ان الله رحمها بصبرها معه على البلاء ان أمره تخفيفا عنها ان يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر الى آخر الآيتين فانه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب انساه الله الدعاء ان يدعوه فيكشف ما به من ضر غير انه كان يذكر الله كثيرا ولا يزيده البلاء في الله الا رغبة وحسن ايمان فلما انتهى الاجل وقضى الله انه كاشف ما به من ضر اذن له في الدعاء وسره له وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى لا ينبغي لعبدي أيوب ان يدعوني ثم لا أستجيب له فلما دعا استجاب له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم وأثنى عليه فقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب * واختلف أهل التأويل في

منها الفان المذكور على أي وجه فرض ومنها العجز عن تخليصه ومنها خلو ذلك الفعل عن حكمة كاملة اني كنت من الظالمين بالفرار من غير اذن وأنا الآن من التائبين وفيه من حسن الطلب ما فيه فلذلك قال فاستجبنا له ثم بين الاستجابة بقوله ونجيناه من الغم أي من غمه بسبب كونه في بطن الحوت وبسبب خطيئته وكما أنجينا يونس عن كرب الحبس اذ دعانا كذلك ننجي المؤمنين من كل كرب اذا استغاثوا بنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وقد بقي في الآية بحث لفظي وهو ان بعض أهل العربية غلطوا عاصما في قراءته نجي بالتشديد والنون لاتدغم في الجيم واستخرج بعضهم له وجها وهو أن يكون نجي فعلا ماضيا بجهولا من التنجية لكنه أرسل الياء وأسند الفعل الى المصدر المضمر ونصب المؤمنين بذلك المصدر أي نجي نجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم ضرب بزيدا على اضمار المصدر وأنشد ابن قتيبة حجة لهذه القراءة

ولو ولدت فقيرة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا

وقال أبو علي الفارسي وغيره من الأئمة المحققين ان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر وانما الوجه الصحيح في قراءة عاصم أن يحمل ذلك على الاخفاء فلعل الراوي التبس عليه فظنه ادغاما ثم بين انقطاع ذكر ايوب وتبتله اليه ورغبة فيمن يؤنسه ويعينه في أمر دينه ودنياه وان انتهى الحال به وبزوجته في الكبر الى حد اليأس من ذلك عادة وفي قوله وأنت خير الوارثين وجهان أحدهما انه ثناء على الرب بان قال كل الامور اليه فيكون موكدا لما فوض اليه من أمر الولد والثاني انه أراد ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث وفي اصلاح زوجه وجوه منها جعلت صالحة للولادة بعد

الاهل الذى ذكر الله فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم أهم أهله الذين أوتيهم فى الدنيا أم ذلك وعدوعده الله أيوب ان يفعل به فى الآخرة فقال بعضهم انما آتى الله أيوب فى الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعده الله أيوب ان يؤتيه اياهم فى الآخرة **حدثنى** أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قول الله لايوب وآتيناه أهله ومثلهم معهم فقال قيل له ان أهلك لك فى الآخرة فان شئت جعلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم فى الدنيا قال فرجع الى مجاهد فقال أصاب * وقال آخرون بل ردهم اليه باعيانهم وأعطاه مثلهم معهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك عن ابن مسعود وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال أهله باعيانهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما دعا أيوب استجاب الله له وأبدله بكل شئ ذهب له ضعفين رد اليه أهله ومثلهم معهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال أحياهم باعيانهم ورد اليه مثلهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال قيل له ان شئت أحييناهم لك وان شئت كانوا لك فى الآخرة وتعطى مثلهم فى الدنيا فاختار ان يكونوا فى الآخرة ومثلهم فى الدنيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه أهله ومثلهم معهم قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله باعيانهم وزاده اليهم مثلهم * وقال آخرون بل أتاه المثل من نسل ماله الذى رده عليه وأهله فاما الاهل والمال فانه ردهما عليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن رجل عن الحسن ومثلهم معهم قال من نسلهم وقوله رحمة نصبت بمعنى فعلنا بهم ذلك رحمة منا له وقوله وذكرى للعابدين يقول وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ويعلموا ان الله قد يبتلى أولياءه ومن أحب من عباده فى الدنيا بضروب من البلاء فى نفسه وأهله وماله من غير هوان به عليه ولكن اختيارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه اياه وحسن يقينه منزلته التى أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى فى قوله رحمة من عندنا وذكرى للعابدين قال أعماه من أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل قد أصاب من هو خير منا نبيا من الانبياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين) يعنى تعالى ذكره باسمعيل اسمعيل بن ابراهيم صادق الوعد وبادريس خنوخ وبذى الكفل رجلا تكفل من بعض الناس اما من نبى واما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الاعمال فقام به فاثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين فى عباده مع من جد صبره على طاعة الله وبالذى قلنا فى أمره جاءت الاخبار عن سلف العلماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ان نبيا من

أجل ما تمدح به المؤمن لانه يدل على الجد والرغبة فى الطاعة ويدعو ننا رغبا فى ثوابنا ورهبا عن عقابنا ومعنى خاشعين قال الحسن ذلالا لامر الله وقيل متواضعين وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم فى القلب وفى تقديم الجار والمجرور على خاشعين اشارة الى انهم لا يخشون أحدا الا الله وروى الاعمش عن ابراهيم النخعى انه الذى اذا رمى ستر وأغلق بابه رأى الله منه خيرا ليس هو الذى يأكل خشبا أى علقا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولما فرغ من ذكر الرجال الكاملين ذكر من هى سيدة نساء العالمين فمدحها باحصان فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا حتى انها منعت جبرائيل جيب درعها قبل ان عرفته والنفخ فيها عبارة عن احياء عيسى فى بطنها أى فنفخنا الروح فى عيسى فيها كقول الزمر ففخت فى بيت فلان أى نفخت فى المزمار فى بيته أو المراد وفعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا وهو جبرائيل لانه نفخ فى جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وهذا البيان هو المراد فى سورة التحريم فلذلك فنفخنا فيه أراد فرج الجيب أو غيره وانما قال وجعلناها وابنها آية للعالمين لانه أراد ان مجموعهما آية واحدة وهى ولادتها اياه من غير أب * التأويل الاشارات المفهومة من قصص الانبياء أكثرها مر فلنذكر ما يختص بمقام الانبياء

منها قوله بل فعله كبيرهم أى الله الكبير لان كسر الاصنام ليس من طبيعة الانسانية بل من طبيعتها أن تتخذها فان صدر من أحدهم كسرها فانما ذلك بتوفيق الله وتأييده فقوله هذا بدل الكل من الضمير فى فعله فالوا حرقوه اذا أراد الله أن يكمل عبدا من عباده المخلصين قداه خلقا عظيما كما أراد استكمال حوت فى البحر فداه كثيرا من الحيتان الصغار فلما أراد تخليص جسد الخلة من غش البشرية جعل نمرود وقومه

فداه الله حتى أجمعوا على تحريقه ولم يعلموا ان تلك النار له نور وذلك العذاب له روح وريحان لان نار العشق قد أحرقت أنانيته حتى لم يرغير الله بل لم يبق الا هو فلم يمكن للنار أن تتصرف فيه فوقع قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم تمثيلا لهذا المعنى بالنار حوفني فوعى فقلت لهم النار ترحم من قلبه نار ونجينا ابراهيم الروح ولوط القلب من أرض البشرية الى أرض الروحانية المتبركة من غير داعي العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف المشرفة المجلي الذات والصفات ونجيناه (٥٣) من قرية القلب التي كانت تعمل الخبائث

بالاوصاف البهيمية والسبعية وداود الروح وسليمان القلب اذ يحكمان في شأن حرث الدنيا اذ نفشت أي دخلت فيه في ظلمة ليل البشرية غنم القوم أي الصفات البشرية من غير راعي العقل فافسدت الحرث بالافراط والاسراف فحكم الروح بانجذابه الى عالمه بالكلية أن يمنع الاوصاف عن التصرف فيها مطلقا فهمناها سليمان القلب لكونه متقلبا في طودي الروح والجسد أن يحكم بمنع التصرف فيها الى أن يعود الحرث من حالة الاسراف فيه المؤدي الى الفساد الى حالة التوسط والاعتدال الذي هو المعتبر في باب الكمال والاكمال جمعا بين المصلحتين ورعاية للجانبين وسخرنا مع داود الجبال وهي الاعضاء والجوارح التي فيها ثقل وكثافة يسبحن بتسبيحه والطير وهن القوى الحيوانية السيارة بل الطيارة بين فضاء القلب والقالب هذا في الباطن وأما في الظاهر فاذا استولى سلطان الذكر على أجزاء البدن انعكس نوره في مرآة القلب الى ما يجاذبها من الجذابات والحيوانات فيذكر ما يذكره كالحصاة سبحت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة انه قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه وعلماء صنعة ليوس لكم ان الله تعالى

الانبياء قال من تكفل لي ان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لي ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال اجلس ثم عاد فقال من تكفل لي ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام ذلك الشاب فقال انا فقال تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل معه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا أرضى بهذا فخرج اليه فاخذ بيده فانطلق معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب فسمي ذا الكفل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا وهيب قال ثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم قال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير فاتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا فجعل يطول عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال اذا رحت فائتني أخذ ذلك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فجعل يبتغيه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس ويلتفت فلا يراه فلما رجع الى القائلة فاخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال أم أقل لك اذا قعدت فائتني فقال انهم أنجبت قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني قال فجاءته القائلة فراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فاني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراءك فقال اني قد أتيته أمس فذكرت له أمري فوالله لقد أمر نا ان لا ندع أحدا يقرب به فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم آمرك ألم آمرك اما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا هو معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني في كل شيء فعلت ما تريد لاغضبك فسماه ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وذا الكفل قال رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه ان يكفيه أمر قومه ويقيمه لهم ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه الا انه قال ويقضي بينهم بالحق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

ألهم داود الروح كيفية الآلة القلب الذي هو في القساوة بمنزلة الحديد حتى يتولد من ذلك القلب أوصاف جيدة تحصن الانسان من بأس الاعداء التي هي النفس والهوى والشيطان وسخرنا لسليمان القلب بريح الروح الحيواني فانه مركب الروح الانساني به يتهيأ له السير الى مقام يرضاه فيه ومن الشياطين وهم الاوصاف النفسية من يغوصون له في بحر الحديد فيستخرجون درر الفضائل الانسية ويعملون عملا دون ذلك من الوسائط والوسائل الى تلك الفضائل وكنا لهم حافظين من أن يزيغوا عن سواء السبيل ويعدلوا عن جادة الشريعة وقوانين الطريقة

قال أهل التحقيق اذا بلغ الانسان مبلغ الرجال البالغين سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات كما سخرنا لسليمان الريح والجن والشياطين والطير ومن العلويات الشمس حبسن ردت لاجل صلاته وسخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والاحجار التي قتل بها جالوت وسخر لنبينا جميع السفليات والعلويات حتى قال زويت لي الارض وقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال (٥٤) نصرت بالصبا وكانت الاشجار تسلم عليه وتسجد له وتنقلع باشارته

من مكانها وترجع الحيوانات تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال أسلم شيطاني على يدي، وأما من العلويات فقد انشق القمر باشارته وسخر له البراق وجبرائيل وصار السموات والجنة والنار والعرش والكرسي الى مقام قاب قوسين أو أدنى وأيوب القلب المبتلى بدوان الهواجس والوساوس الذي فارقه أوصافه الحميدة وأخلاقه الشريفة لشدة تأله بالعلائق البدنية وعوائق الامور الدنيوية فكشفنا ما به من ضر بان قلنا اركض برجلك نظيره وألق ما في يمينك لينبع ماء حياة العلم والمعرفة فتسلم من تعلقات الكونين المؤذية للقلب والروح وذا النون الروح اذ ذهب من عالمه مغاضبا لغيره من المجردات فالق في بحر الدنيا فالتقمه حوت النفس الامارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القالب فنادى في ظلمات جب النفس والقالب والدنيا وزكريا الروح وهبنا له يحيى القلب وأصلحنا له زوج القالب ويدعوننا رغبا في الفناء فينا ورهبا من البقاء بانانيتهم وكانوا لنا خاشعين أما القالب فبأعمال الشريعة وأما النفس فبتهذيب الاخلاق وأما القلب فبالاطمئنان بذكر الله وأما السر فباجتهاده في كشف الاسرار وأما الروح حين فبذل الوجود في طلب المعبود وأما الخفي فبافنائه في الله وبقائه بالله ومريم النفس التي أحصنت قلبها عن تصرفات الكونين فحبلنا بها بالهام الايدية (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون

عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال كان في بني اسرائيل ملك صالح فكبر فجمع قومه فقال أيكم تكفل لي بملكي هذا على أن يصوم النهار ويقوم الليل ويحكم بين بني اسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب قال فلم يقم أحد الا فتى شاب فازدراه لحداثة سنه فقال أيكم تكفل لي بملكي هذا على ان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب ويحكم بين بني اسرائيل بما أنزل الله فلم يقم الا ذلك الفتى قال فازدراه فلما كانت الثالثة قال مثل ذلك فلم يقم الا ذلك الفتى فقال تعال فخلى بينه وبين ملكه فقام الفتى ليلة فلما أصبح جعل يحكم بين بني اسرائيل فلما انتصف النهار دخل ليقيل فاتاه الشيطان في صورة رجل من بني آدم فجذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال اذا كان العشية فاتني قال فانتظره بالعشي فلم يأته فلما انتصف النهار ودخل ليقيل جذب ثوبه وقال أتنام والخصوم على بابك قال قلت لك ائتني العشي فلم تأتني بالعشية فلما كان بالعشي انتظره فلم يأت فلما دخل ليقيل جذب ثوبه فقال أتنام والخصوم ببابك قال أخبرني من أنت لو كنت من الانس سمعت ما قلت قال هو الشيطان جئت لافتنك فعصمك الله مني فقضى بين بني اسرائيل بما أنزل الله زمانا طويلا وهو ذو الكفل سمي ذا الكفل لانه تكفل بالملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي موسى الاشعري قال وهو يخطب الناس ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء في كفالته اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو قال أما ذو الكفل فانه كان على بني اسرائيل ملك فلما حضره الموت قال من يكفل لي ان يكفيني بني اسرائيل ولا يغضب ويصلي كل يوم مائة صلاة فقال ذو الكفل أنا فجعل ذو الكفل يقضي بين الناس فاذا فرغ صلى مائة صلاة فكاده الشيطان فامهله حتى اذا قضى بين الناس وفرغ من صلاته وأخذ مضجعه فنام أتى الشيطان بابه فجعل يدقه فخرج اليه فقال ظلمت وصنعت بي وصنع فاعطاه خاتمه وقال اذهب فاتني بصاحبك وانتظره فاتاه على الآخر حتى اذا عرف انه قد نام وأخذ مضجعه أتى الباب أيضا كي يغضبه فجعل يدقه ويخدش وجه نفسه فسألت الدماء فخرج اليه فقال ما لك فقال لم تبعني وضربت وفعل فاخذه ذو الكفل وأنكر أمره فقال أخبرني من أنت وأنذه أخذا شديدا قال فاخبره من هو حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وذا الكفل قال قال أبو موسى الاشعري لم يكن ذو الكفل نبيا ولكنه كفل لصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة فوفى فكفل بصلاته فلذلك سمي ذا الكفل ونصب اسمعيل وادريس وذا الكفل عطفا على أيوب ثم استؤنف بقوله كل من الصابرين ومعنى الكلام كانهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله وقوله وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين يقول تعالى ذكره وأدخلنا اسمعيل وادريس وذا الكفل والهاء والميم عائدتان عليهم في رحمتنا انهم من الصالحين يقول انهم ممن صلح فاطاع الله وعمل بما أمره ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد ذا النون يعني صاحب النون والنون الحوت وانما عني بذي النون يونس بن متى وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع وقوله اذ ذهب مغاضبا يقول

واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا (٥٥) علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور

من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) القراآت وحرم بكسر الراء حمزة وعلي وعاصم غير حفص وأبي زيد عن المفضل فتحت بالتشديد ابن عامر ويزيد ويعقوب لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاء يزيد تطوى بضم التاء الغرقانية وفتح الواو والسماء بالرفع يزيد للكتب على الجمع حمزة وعلي وخلف وحفص بدأنا مثل أنشأنا قال بالالف على حكاية قول الرسول رب بحذف الياء اكتفاء بالكسرة حفص غير الخزاز رب بضم الباء على انه مبتدأ أحكم على صيغة التفضيل يزيد عن يعقوب الباقون رب احكم يصفون على الغيبة المفضل وابن ذكوان في رواية * الوقوف واحدة ز لان المقصود من قوله وأنا ربكم قوله فاعبدون وكان الكلام متصلا فاعبدون ه بينهم ط راجعون ه لسعيه ج لاختلاف الجملتين كاتبون ه

حين ذهب مغاضبا * واختلف أهل التاويل في معنى ذهابه مغاضبا وعمن كان ذهابه وعلى من كان غضبه فقال بعضهم كان ذهابه عن قومه واياهم غاضب ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا يقول غضب على قومه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ ذهب مغاضبا اما غضبه فكان على قومه * وقال آخرون ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه ذكر من قال ذلك وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبي سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعثه الله يعني يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه اني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهرهم فاعلم قومه الذي وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبحها أدلج وراءه القوم فخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله فاستقالوه فاقالهم وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال فعلوا ان نبيهم خرج من بين أظهرهم عرفوا انه صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من قريتهم الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها وعجوا الى الله وتابوا اليه فقبل منهم وأخر عنهم العذاب قال فقال يونس عند ذلك وغضب والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا وعدتهم العذاب في يوم ثم رددتهم ومضى على وجهه مغاضبا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن قال بلغني ان يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد بن سعيد عن الشعبي في قوله اذ ذهب مغاضبا قال مغاضبا لربه **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير فذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وزاد فيه قال فخرج يونس ينظر العذاب فلم يرشيأ قال جربوا على كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن وهب بن منبه اليماني قال سمعته يقول ان يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة ولها أثقال لا يحملها الا القليل تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت أي لا تلق أمري كما ألقاه وهذا القول أعني قول من قال ذهب عن قومه مغاضبا لربه أشبه بتأويل الآية وذلك لدلالة قوله فظن أن لن نقدر عليه على ذلك على ان الذين وجهوا تاويل ذلك الى انه ذهب مغاضبا لقومه انما زعموا انهم فعلوا ذلك استنكارا منهم ان يغاضب نبي من الانبياء ربه واستعظاما له وهم يقبلهم انه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا وذلك ان الذين قالوا ذهب مغاضبا لربه اختلفوا في سبب ذهابه كذلك فقال بعضهم انما فعل

لا يرجعون ه ينسلون ه كفروا ط لاضمار القول ظالمين ه جهنم ط واردون ه ما وردوها ط خالدون ه فيها ط لا يسمعون ه الحسنى لان ما بعده خبران مبعدون ه لان ما بعده خبر بعد خبر حسيسها ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف خالدون ه لاحتمال الجملة بعده أن تكون صفة أو استئنافا للملائكة ط لان التقدير قائلين هذا يومكم توعدون ه للكتاب ط لان الجار يتعلق بما بعده نعيده ط حق المصدر أي وعدا وعدناه علينا ط فاعلين ه الصالحون ه عابدين ه لاختلاف الجملتين للعالمين ه

واحد ج للاستفهام مع الفاء مسلمون * على سواء ط لابتداء النفي توعدون * تكذبون * حين * باطل ط لان ما بعده مبتدأ خارج عن المقول ومن قرأ بالحكم فوقفه يجوز لنوع عدول من الواحد إلى صفوف نصف الجزء * التفسير لما فرغ من قصص الانبياء أراد أن يذكر ما استقر عليه أمر الشرائع في آخر الزمان فقال ان هذه أمتكم وسيرتكم فالامة الدين والطريقة لانه أصل وقانون يرجع اليه والتركيب دلالة على ذلك وهذا اشارة الى ملة (٥٦) الاسلام أي ان هذه الملة هي طريقتكم وسيرتكم التي يجب أن تكونوا عليها حال كونها طريقة واحدة غير مختلفة وأنا ربكم لا غيري فاعبدون والخطاب للناس كافة وكان الظاهر أن يقال بعده وتقطعتم أمركم بينكم أي جعلتم أمر دينكم بينكم قطعا كما يقسم الشئ بين الجماعة فيطير لهذا نصيب فصرتم فرقا مختلفة وأخرجا شئ الالانه عدل من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه يقبح أمرهم الى غيرهم فيقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة وان أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة فهذا الحديث مفسر للآية من حيث ان هذه الامة يجب أن يكونوا على كلمة واحدة طعن بعضهم في الحديث انه ان أراد بالاثنين والسبعين فرقة أصول الاديان فانها لا يبلغ هذا العدد وان أراد الفروع فانها أضعاف هذا العدد وأجيب بانه أراد ستفترق أمتي هذا العدد في حال ما وهذا لا ينافي كون العدد في بعض الاحوال أنقص أو أزيد قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة فاعبدون وتقطعوا بالواو وفي المؤمنين فتقطعوا بالفاء لان الخطاب ههنا أعم والعبادة أعم من التقوى وأيضا الخطاب يتناول الكفار وقد وجد منهم التقطع قبل هذا القول وفي سورة المؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بدليل قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ثم قال فتقطعوا أي ظهر منهم أي من أمتهم التقطع بعد هذا القول ولان التقطع منهم أغرب أكده هنالك بقوله زبرا وفي قوله كل الينا راجعون وعيد عظيم للفرق المختلفة ثم فصل ما لهم بقوله فمن يعمل الآية والكفران يدخل في حرمان الثواب كما أن الشكر مدخل في

ما فعل من ذلك كراهة ان يكون بين قوم قد جروا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيى منهم ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء وقال بعض من قال هذا القول كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جروا عليها الكذب عسى ان يقتلوه من أجل انه وعدهم العذاب فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس فكرهنا اعادته في هذا الموضع * وقال آخرون بل انما غاضب ربه من أجل انه أمر بالمصير الى قوم لينذرهم باسه ويدعوهم اليه فسأل ربه ان ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقيل له الامر أسرع من ذلك ولم ينظر حتى شاء ان ينظر الى أن يأخذ نعلا ليلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي ان آخذ نعلا فذهب مغاضبا وممن ذكر هذا القول عنه الحسن البصري **حدثني** بذلك الحرث قال ثنا الحسن بن موسى عن أبي هلال عن مهر بن حوشب عنه * قال أبو جعفر وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شئ الا وهو دون ما وصفه به ما وصفه الذين قالوا ذهب مغاضبا لقومه لان ذهابه عن قومه مغاضبا لهم وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ليبلغهم رسالته ويحذرهم باسه وعقوبته على تركهم الايمان به والعمل بطاعته لاشك ان فيه ما فيه ولولا انه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه باتيان الخطيئة لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ويصفه بالصفة التي وصفه بها فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ويقول فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين اللبث في بطنه الى يوم يبعثون وقوله فظن أن لن نقدر عليه * اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه من قولهم قدرت على فلان اذا ضيقت عليه كما قال الله جل ثناؤه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه اذ غضب عليهم وفراره وعقوبته أخذ النون اياه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد انه قال في هذه الآية فظن أن لن نقدر عليه قال فظن أن لن نعاقبه بذنبه **حدثني** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن حباب قال ثني شعبة عن مجاهد ولم يذكر فيه الحكم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فظن أن لن نقدر عليه قال يقول ظن أن لن نعاقبه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والكلبي فظن أن لن نقدر عليه قالا ظن أن لن نقضي عليه العقوبة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فظن أن لن نقدر عليه يقول ظن ان الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه اياهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابن عباس في قوله فظن أن لن نقدر عليه قال البلاء الذي أصابه * وقال آخرون بل معنى ذلك فظن

اعطائه فى قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وانما لم يقل فلا يكفر سعيه لان نفى الجنس أبلغ فان نفى الماهية يستلزم نفى جميع أفرادها وفى قوله وانا له أى لذلك السعى كاتبون مبالغة أخرى فان المثبت فى الصحيفة أبعد من النسيان والغلط كما قيل قيدوا العلم بالكتابة ولا سيما اذا كان الكاتب ممن لا يجوز عليه السهو والنسيان قال المفسرون معناه حافظون لجازى عليه وقيل مثبتون فى أم الكتاب أو فى صحف الاعمال هذا حال السعداء وأما أحوال اضدادهم فذلك قوله وحرام ومن قرأ حرم فانه فعل بمعنى (٥٧) مفعول والتركيب يدور على المنع أى

ممتنع أو ممنوع وهذا خبر لا بد له من مبتدأ وذلك قوله انهم لا يرجعون أو غير ذلك والرجوع اما الرجوع عن الشرك الى الاسلام أو الرجوع الى الدنيا أو الى الآخرة وعلى الاول اما أن تكون لا زائدة أقحمت للتأكيد ومعنى الآية ممتنع على أهل قرية عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها أن يرجعوا أو يتوبوا الى أن تقوم الساعة والمراد تصميمهم على الكفر واما أن تكون معبدة ولكن الحرام بمعنى الواجب تسمية لاحد الضدين باسم الآخر باشتراكهما فى المنع الا أن الوجوب منع عن الترك والحرمة منع عن الفعل وقد ورد فى الاستعمال مثل ذلك قال سبحانه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا وترك الشرك واجب وليس بمحرم وقالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا
على شجوه الا بكيت على عمرو

وعلى الثانى فالاهلاك على أصله والمعنى ان رجوعهم الى الدنيا ممتنع أو عدم رجوعهم واجب الى قيام الساعة نظيره قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون وعلى الثالث فقوله حتى غاية لقوله لا يرجعون أى يمتنع عدم رجوع المهلكين الى عذاب الآخرة حتى الساعة وذلك ان

فظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن قال بلغنى ان يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه قال وكان له سلف وعبادة وتسبيح فابى الله أن يدعه للشيطان فاخذه فقذفه فى بطن الحوت فمكث فى بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم فامسك الله نفسه فلم يقتله هناك فتاب الى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه قال فقال سبحانك انى كنت من الظالمين قال فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته بما كان سلف من العبادة والتسبيح فجعله من الصالحين قال عوف وبلغنى انه قال فى دعائه وبنيت لك مسجدا فى مكان لم يبنه أحد قبلى **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف من عبادة وتسبيح فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث عن اياس بن معاوية المدنى انه كان اذا ذكر عنده يونس وقوله فظن أن لن نقدر عليه يقول اياس فلم فر * وقال آخرون بل ذلك بمعنى الاستفهام وانما ناويله أفظن أن لن نقدر عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظن أن لن نقدر عليه قال هذا استفهام وفى قوله فما تغنى النذر قال استفهام أيضا * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال فى تاويل ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى به فظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه عقوبة له على مغاضبته ربه وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الكلمة لانه لا يجوز ان ينسب الى الكفر وقد اختاره لنبوته ووصفه بان ظن ان ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه وصفه بانه جهل قدرة الله وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لاحد وصفه بذلك وأما ما قاله ابن زيد فانه قول لو كان فى الكلام دليل على أنه استفهام حسن ولكنه لا دلالة فيه على ان ذلك كذلك والعرب لا تحذف من الكلام شيأ لهم اليه حاجة الا وقد أبقت دليلا على أنه مراد فى الكلام فاذ لم يكن فى قوله فظن أن لن نقدر عليه دلالة على ان المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد كان معلوما انه ليس به واذ فسد هذان الوجهان صح الثالث وهو ما قلنا وقوله فنادى فى الظلمات فاختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الظلمات فقال بعضهم عنى بها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذلك قال أيضا ابن جريج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين **حدثنى** محمد بن ابراهيم السلمى قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا محمد بن رفاعة قال سمعت محمد بن كعب يقول فى هذه الآية فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فنادى فى الظلمات قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فنادى فى الظلمات قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل

رجوعهم الى عذاب النار قبل الساعة واجب بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال أبو مسلم أراد ان رجوعهم الى الآخرة واجب الى هذه الغاية أى انهم يكونون أول الناس حضورا فى محفل القيامة وعلى الرابع فالمعنى وحرام عليهم ذلك وهو الذكور من السبى المشكور وغير المكفور لانهم لا يرجعون عن الكفر الى أن تقوم الساعة قوله تعالى حتى اذا فتحت حتى هى التى يقع بعدها الجمل وهى ههنا مجموع الشرط والجزاء واذا للمفاجأة تسد مسد فاء الجزاء وقد يجمع بينهما

للتعاون على وصل الجزاء بالشرط فهيأ كدوا نما احتيج الى هذا التأكيد لان الشرط يحصل فى آخر أيام الدنيا والجزاء اعنى حصول يوم القيامة والعامل بينهما فاصلة بالزمان الا أن التعاون القليل كالمعدوم والمضاف محذوف أى سد يأجوج ومأجوج وتأنيث الفعل لانهم قبيلتان وهما من جنس الانس كما مر فى آخر الكهف يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وفى الحديث ان منكم واحدا ومن يأجوج ومأجوج ألف وهم من كل حدب ينسلون قال أكثر المفسرين الضمير لياجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد وعن مجاهد انه لجميع المكلفين الذين يساقون الى المحشر والحدب ما ارتفع من الارض والنسل الاسراع واقترب عطف على فتحت وهو داخل فى الشرط والوعد الحق القيامة وقوله فاذا هى شاخصة كقوله فى سورة ابراهيم ليوم تشخص فيه الابصار وقال فى الكشاف هى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره قلت فعلى هذا هى مبتدأ وشاخصة خبره وأبصار بدل هى ولو قيل هى ضمير القصة مبتدأ والجملة التى هى أبصار الذين كفروا شاخصة خبره جاز وهو قول سيبويه ثم ههنا اضمار أى يقولون يا ويلنا وهو فى موضع الحال من الذين كفروا والعامل شاخصة قد كنا فى غفلة من هذا الوعد أو الامر بل كنا ظالمين أنفسنا بتلك الغفلة وبتكذيب الرسل وعبادة الاوثان ثم بين حال معبوديهم يوم القيامة فقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى محصوب بها يعنى محصوب فيها والحصب الرمى ومنه الحصباء لانه يرمى بها الشئ وقرئ حطب واللام فى قوله أنتم لها واردون كاللام فى قوله هو لزيد ضارب وذلك لضعف عمل اسم الفاعل فيما تقدم عليه والمعنى لا بد لكم ان تردوها ولا معدل لكم عن دخولها ثم ألزمهم الحجة بقوله لو كان هؤلاء المعبودون آلهة فى الحقيقة ما وردوها لكنهم واردوها لكنهم واردوها لكنهم واردوها والخبر الصادق الذى ينبه لصدقه من يتامل فى اعجازه فينتج ان هؤلاء ليسوا بآلهة وانهم لا يستحقون تعظيما أصلا ثم أخبر انهم بعد ورودهم النار لا يخلصون منها ابدا فقال وكل أى من العابدين والمعبودين فيها خالدون لهم فيها زفير قد سبق معانيه فى آخر سورة هود وهم فيها لا يسمعون شيأ مما لائهم يجعلون فى توابيت من نار عن ابن مسعود وانما لا نه

* وقال آخرون انما عنى بذلك انه نادى فى ظلمة جوف حوت فى جوف حوت آخر فى البحر قالوا فذلك هو الظلمات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد فنادى فى الظلمات قال أوحى الله الى الحوت ان لا تضره لحما ولا عظما ثم ابتلع الحوت حوت آخر قال فنادى فى الظلمات قال ظلمة حوت ثم حوت ثم ظلمة البحر * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن يونس انه ناداه فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا شك انه قد عنى بأحدى الظلمات بطن الحوت وبالاخرى ظلمة البحر وفى الثالثة اختلاف وجائز ان تكون تلك الثالثة ظلمة الليل وجائز ان تكون كون الحوت فى جوف حوت آخر ولا دليل يدل على أى ذلك من أى فلا قول فى ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل وقوله لا اله الا أنت سبحانك يقول نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائبا من خطيئته انى كنت من الظالمين فى معصيتى اياك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله بن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نادى فى الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين معترفا بذنبه من خطيئته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال أبو معشر قال محمد بن قيس قوله لا اله الا أنت سبحانك ما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك انى كنت من الظالمين حين عصيتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عوف الاعرابى قال لما صار يونس فى بطن الحوت ظن انه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا فى موضع ما اتخذه أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا قال فاوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذاك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد لك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تبارك وتعالى وهو سقيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) يقول تعالى ذكره فاستجبنا ليونس دعاءه ايانا اذ دعانا فى بطن الحوت ونجيناه من الغم الذى كان فيه بحبسناه فى بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه وكذلك ننجى المؤمنين يقول جل ثناؤه وكما أنجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت فى البحر اذ دعانا كذلك ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الاثر ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن قال ثنى بشر بن منصور عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

تعالى بهم كما بعدهم والصم في بعض الاوقات لا ينافي كونهم سامعين أقوال أهل الجنة في غير ذلك الوقت أو المراد انهم لا يسمعون ما يسرهم أو الضمير للمعبودين والسماع سماع اجابة وعلى هذا فالضمير في لهم للجماد غير العابدين وجاز اعتمادا على فهم السامع حيث يرد كلا من الضميرين الى ما يناسبهما كانه قيل العابد يدعو والمعبود لا يجيب ويجوز أن يكون للمعبودين أيضا لان فيهم من يتأتى منه الزفير كالشياطين فغلب أولو الجماد ينفقه الله وقتئذ والزفير بمعنى اللبث والله أعلم يروى (٥٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فاخبره الوليد ابن المغيرة بما جرى فقال معترضا أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك وأنزل الله تعالى ان الذين سبقت الآية تخرج من الحديث والآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كانه قيل أولا ان الآية باقية على عمومها لان الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم في الحقيقة وانما عبدوا الشياطين التي دعتهم الى ذلك ولئن سلم انهم عبدوهم في الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهي السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيق الطاعة وكل ميسر لما خلق له ومن المفسرين من أجاب عن اعتراض ابن الزبعرى بوجوه أخر منها ان قوله انكم خطاب لمشركي قريش وانهم لم يعبدوا سوى الاصنام ولقائل أن يقول حمل الآية على العموم أتم فائدة ومنها ان قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض ولقائل أن يقول ما أعم لا مبالاة فيشمل ذوي العقول وغيرهم ولهذا جاء والسماء وما بناها سبحان ما سخركن لنا ومنها انه تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه وضعف بان القوم لم يعبدوا تلك الصورة وبان الملك لا يتعذب بالنار لكرامته عند الله تعالى واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله ان الذين لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روى أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وزعم متبتو الغوان الحسنى في الآية هي الوعد بالعتو

اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فهو شرط لمن دعا بها * واختلفت القراء في قراءة قوله ننجي المؤمنين فقرأ ذلك قراء الامصار سوى عاصم بنونين الثانية منهما ساكنة من أنجيناه فنحن ننجيه وانما قرؤا ذلك كذلك وكتابته في المصاحف بنون واحدة لانه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم بمعنى ما لم يسم فاعله كان المؤمنون رفعا وهم في المصاحف منصوبون ولو قرئ بنون واحدة وتخفيف الجيم كان الفعل للمؤمنين وكانوا رفعا ووجب مع ذلك أن يكون قوله ننجي مكتوبا بالالف لانه من ذوات الواو وهو في المصاحف بالياء فان قال قائل فكيف كتب ذلك بنون واحدة وقد علمت ان حكم ذلك اذا قرئ ننجي ان يكتب بنونين قيل لان النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعلوا ذلك بالاخفاء النون من ان لخفائها اذ كانت مندغمة في اللام من لا وقرأ ذلك عاصم نجي المؤمنين بنون واحدة وتثقيل الجيم وتسكين الياء فان يكن عاصم وجه قراءته ذلك الى قول العرب ضرب الضرب زيدا فكني عن المصدر الذي هو النجاء وجعل الخبر عنه خبرا لما لم يسم فاعله المؤمنين كانه أراد وكذلك نجي النجاء المؤمنين مكنى عن النجاء فهو وجه وان كان غيره أصوب والاقان الذي قرأ من ذلك على ما قرأه نحن لان المؤمنين اسم على القراءة التي قرأها بما لم يسم فاعله والعرب ترفع ما كان من الاسماء كذلك وانما حمل عاصما على هذه القراءة انه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته اياه على ما عليه قراءة القراء الحاق نون أخرى ليست في المصحف فظن ان ذلك زيادة ما ليس في المصحف ولم يعرف لحذفها وجها يصرفه اليه * قال أبو جعفر والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراءة الامصار من قراءته بنونين وتخفيف الجيم لاجماع الحجة من القراء عليه وتخطئتها خلافه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه رب لا تذرني وحيدا فردا لا ولد لي ولا عقب وأنت خير الوارثين يقول فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني ثم رد الامر الى الله فقال وأنت خير الوارثين يقول الله جل ثناؤه فاستجبنا لزكريا دعاءه ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه وأصلحنا له زوجه * واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله وأصلحنا له زوجه فقال بعضهم كانت عقيما فاصلحها بان جعلها ولودا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا حاتم بن اسمعيل عن حميد بن صخر عن عمار عن سعيد في قوله وأصلحنا له زوجه قال كانت لا تلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله وأصلحنا له زوجه قال وهبنا له ولدها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأصلحنا له زوجه كانت عاقرا فجعلها الله ولودا ووهب له منها يحيى * وقال

لانه قال أولئك عنها مبعدون بازاء قوله أنتم لها واردون والورود الدخول فالابعاد الاخراج من النار بعد ان كانوا فيها وأيضا بعد البعيد محال وقوله لا يسمعون حسيسها اذ الصوت الذى يحس به مخصوص بما بعد الاخراج وأيضا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يفهم منه انه يحزنهم الفزع الاصغر فالاكبر عذاب الكفار والاصغر عذاب صاحب الكبيرة والاكثرون على أن المراد من قوله مبعدون انهم لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة

لان ما جعل بعيدا عن شئ ابتداء يحسن أن يقال انه أبعد عنه وهؤلاء لم يفسروا الورود فى قوله وان منكم الا واردها بالدخول كما مر فى سورة مريم وفى قوله لا يسمعون حسيسها تأكيد للابعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها ثم بين انهم مع البعد عن المنافى منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التابيد فقال وهم فيما اشتهت به أنفسهم أى فيما تطلبه الا لتذاذ به خالدون هذا نصيب أهل الجنة وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم خالدون والفزع الاكبر قبل النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن هو الانصراف الى النار فانه لافزع أكبر مما اذا شاهدوا النار وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جميعا ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين هذا يومكم أى وقت ثوابكم الذى كنتم توعدون ذلك قال الضحاك هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم والعامل فى يوم نطوى السماء لا يحزنهم أو تتلقاهم

معنى السجل اسم للطومار الذى يكتب فيه وعن ابن عباس انه ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وهو مروى أيضا عن على رضى الله عنه وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس انه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف قال الزجاج هو الرجل بلغة الحبش فعلى هذه الوجوه فاللطى وهو المصدر مضاف الى الفاعل وعلى الوجه الاول هو مضاف الى المفعول والفاعل محذوف كطى الطاوى للسجل

آخرون كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بان رزقها حسن الخلق * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أصلح لزكريا زوجه كما أخبر تعالى ذكره بان جعلها ولودا حسنة الخلق لان كل ذلك من معانى اصلاحه اياها ولم يخصص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض فى كتابه ولا على لسان رسوله ولا وضع على خصوص ذلك دلالة فهو على العموم مالم يأت ما يجب التسليم له بان ذلك مراد به بعض دون بعض وقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات يقول الله ان الذين سميناهم يعنى زكريا وزوجه ويحيى كانوا يسارعون فى الخيرات فى طاعتنا والعمل بما يقربهم الينا وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا يقول تعالى ذكره وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا وعنى بالدعاء فى هذا الموضع العبادة كما قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ويعنى بقوله رغبا انهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ورهبا يعنى رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا قال رغبا فى رحمة الله ورهبا من عذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا قال وليس ينبغى لاحدهما ان يفارق الآخر * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء من الرغب والرهب واختلف عن الاعمش فى ذلك فروى عنه الموافقة فى ذلك للقراء وروى عنه انه قرأ رغبا ورهبا بضم الراء فى الحرفين وتسكين الغين والهاء والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك الفتح فى الحرفين كليهما وقوله وكانوا لنا خاشعين يقول وكانوا لنا متواضعين متذللين ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر التى أحصنت فرجها يعنى مريم بنت عمران ويعنى بقوله أحصنت حفظت ومنعت فرجها مما حرم الله عليها باحته فيه واختلف فى الفرج الذى عنى الله جل ثناؤه انها أحصنته فقال بعضهم عنى بذلك فرج نفسها انها حفظته من الفاحشة * وقال آخرون عنى بذلك جيب درعها انها منعت جبريل منه قبل ان تعلم انه رسول ربها وقبل ان تثبته معرفة قالوا والذى يدل على ذلك قوله فنفخنا فيها ويعقب ذلك قوله والتى أحصنت فرجها قالوا وكان معلوما بذلك ان معنى الكلام والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا * قال أبو جعفر والذى هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال أحصنت فرجها من الفاحشة لان ذلك هو الاغلب من معنييه عليه والاظهر فى ظاهر الكلام فنفخنا فيها من روحنا يقول فنفخنا فى جيب درعها من روحنا وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى قوله فنفخنا فيها فى غير هذا الموضع والاولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين يقول وجعلنا مريم وابنها عبرة للعالمين زمانهم يعتبرون بهما ويتفكرون فى أمرهما فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين لان

وهو قول الاكثرون واشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاتساع ولهذا لايسمى الدلو سجلا اذا كان فيه ماء ومنه أسجلت الحوض ملأته وقوله للكتاب أى للكتابة ومعناه ليكتب فيه أو لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وهو من جمع فمعناه للمكتوبات أى ما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وكيفية هذا الطى لا يعلمها الا من أخبر عن ذلك أما قوله كما بدأنا فان المفسرين من قال انه ابتداء كلام ومنهم من قال انه وصف قوله هذا (٦١) يوم كم الذى كنتم توعدون بقوله يوم نطوى ثم عقبه بوصف آخر فقال كما بدأنا أول خلق وهو مفعول نعيد الذى يفسره نعيده وما كافة أى نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابتداء فى تناول القدرة لهما على السواء فكما أوجده أولا عن عدم نعيده ثانيا عن عدم ومنهم من قال الاعادة انما تتعلق بالضم والتركيب بعد تفريق الاجزاء الاصلية والآية لا تطابقه كل المطابقة وأول خلق كقولك هو أول رجل أى اذا فضلت رجلا رجلا فهو أولهم وانما خص أول الخلائق بالذكر تصويرا للابتداء عن العدم ودفعا للاعتراض وجوز جار الله أن تنتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أى نعيد مثل الذى بدأنا نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أى أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ وقوله وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيد عدة للاعادة وقيل أراد حتما علينا لسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه فان وقوع ما علم الله وقوعه واجب ثم حقق ذلك بقوله انا كنا فاعلين أى سنفعل ذلك لامحالة فانا قادرون عليه عن سعيد بن جبير ومجاهد والكلبى ومقاتل وابن زيد الزبور جنس للكتب المنزلة كلها والذكر أم الكتاب يعنى اللوح ففيه كتابة كل ما سيكون

معنى الكلام جعلناهما علما للناوجة فكل واحدة منهما فى معنى الدلالة على الله وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر اذ كان أمرهما فى الدلالة على الله واحدا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) يقول تعالى ذكره ان هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والاوثان وسائر ما تعبدون من دونى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة قال دينكم دين واحد ونصبت الامة الثانية على القطع وبالنصب قرأه جماعة قراء الامصار وهو الصواب عندنا لان الامة الثانية نكرة والاولى معرفة واذا كان ذلك كذلك وكان الخبر قبل مجىء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هذا مع اجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر عن عبد الله بن أبى اسحق رفع ذلك انه قرأه أمة واحدة بنية تكرير الكلام كانه أراد ان هذه أمتكم أمة واحدة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون) يقول تعالى ذكره وتفرق الناس فى دينهم الذى أمرهم الله به ودعاهم اليه فصار وافيه أحزابا فتهودت اليهود وتنصرت النصارى وعبدت الاوثان ثم أخبر جل ثناؤه عما هم اليه صائرون وان مرجع جميع أهل الاديان اليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد وانه مجاز جميعهم جزاء المحسن باحسانه والمسىء باساءته وبنحو الذى قلنا فى تاويل قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعوا أمرهم بينهم قال تقطعوا اختلفوا فى الدين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون) يقول تعالى ذكره فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا فى دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح وأطاعه فى أمره ونهيه وهو مقر بوحدانية الله مصدق بوعده ووعيده متبرئ من الانداد والآلهة فلا كفران لسعيه يقول فان الله يشكر عمله الذى عمل له مطيعا له وهو به مؤمن فيثيبه فى الآخرة ثوابه الذى وعد أهل طاعته ان يثيبهموه ولا يكفر ذلك له فيجحده ويحرمه ثوابه على عمله الصالح وانا له كاتبون يقول ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها فلا نترك منها شيأ لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره * قال أبو جعفر والكفران مصدر من قول القائل كفرنى فلانا نعمته فانا أكفره كفرا وكفرانا ومنه قول الشاعر

من الناس ما تنام خدودهم * وخدى ولا كفران لله نائم

۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) * اختلفت القراء فى قراءة قوله وحرام فقرأته عامة قراء أهل الكوفة وحرم بكسر الحاء وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وحرام بفتح الحاء والالف والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان الحرم هو الحرام والحرام هو الحرم كالحل هو الحلال والحلال هو الحل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان ابن عباس يقرأه وحرم بتأويل وعزم **حدثنى**

اعتبار الملائكة وكتب الانبياء كلهم منتسخة منه وعن قتادة ان الزبور هو القرآن والذكر هو التوراة وعن الشعبى ان الزبور هو كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وجوز الامام فخر الدين أن يراد بالذكر العلم أى كتبنا فيه بعد ان كنا عالمين غير ساهين والمراد تحقيق وقوع المكتوب فيه والارض أرض الجنة والعباد الصالحون هم المؤمنون العاملون بما يجب عليهم نظيره قوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والسدى وأبو العالية وانما ذهبوا الى هذا القول لان أرض الدنيا

ثم الصالح وغير الصالح ولان الآية وردت بعد ذكر الاعادة وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي انها أرض الدنيا رثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار نظيره وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وقيل الارض المقدسة ورثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم ان في هذا الذي ذكر في السورة من الاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك لبلاغا لكفاية لقوم عابدين عاملين بما ينبغي عمله من الخيرات بعد ما علموا من كيفية أدائها والبلاغ ما يبلغ به المرء مطلوبه من الوسائط والوسائل والمطلوب أجل من سعادة الدارين فكل من كان وسيلة الى نيل هذا المطلوب على الوجه الاتم الاكمل كان وجوده رحمة من الله للطالب المتحير وماذا الاتمام النبيين فلهذا قال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وكونه رحمة للكل لا ينافي قتله بعض الكفرة والتعرض لاموالهم وأولادهم كما ان كي بعض أعضاء المريض بل قطعه لا ينافي حذق الطبيب واشفاقه على المريض ومن هنا قيل آخر الدواء الكي والعاقل لا ينسب التقصير الى الفاعل المقصور في القابل قالت المعتزلة لو كان كفر الكافر بخلق الله لم يكن ارسال الرسول رحمة له لانه لا يحصل له حينئذ الا لزوم الحجة عليه وأجيب بان كونه رحمة للفجار هو انهم أمنوا بسببه عذاب الاستئصال ولا يلزم أن يكون الرسول رحمة للمؤمنين من جهة كونه رحمة للكافرين والجواب المحقق ان كونه رحمة عامة بالنسبة الى أمة الدعوة لا ينافي كونه رحمة خاصة بالنسبة الى أمة الاجابة وهو قريب مما ذكرناه أولا والحجة وتبعتها لازمة على الكافرون لم يبعث النبي آيته انها بعد البعثة ألزم ٧ وفي الآية دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة لانه رحمة لهم فانهم من العالمين وعورض بقوله ويستغفرون لمن في الارض والاستغفار رحمة والجواب ان الرحمة بمعنى كونه في نفسه مكملا كاملا في الغاية غير الرحمة بمعنى الدعاء فلا يلزم ان من كون الاول سببا للافضلية كون الثاني كذلك ثم بين ان أصل تلك الرحمة وأمهاهو دعاؤه الى التوحيد والبراءة عن الشرك فقال قل انما يوحى الي ان كانت ما موصولة فمعناه ان الذي يوحى الي هو أن وصفه تعالى مقصور على استئثار الله بالوحدة وذلك ان القصر يكون ابدا لما يلي انما وفي قوله فهل أنتم مسلمون بعث لهم على قبول هذا الوحي الذي هو أصل التكاليف كلها وفيه نوع من التهديد فلذلك صرح به

يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قال فقلت لسعيد أي شئ حرم قال عزم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كان يقرؤها وحرم على قرية قلت لابي المعلى ما الحرم قال عزم عليها **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأ هذه الآية وحرم على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فلا يرجع منهم راجع ولا يتوب منهم تائب **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة قال وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون قال لم يكن ليرجع منهم راجع حرام عليهم ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد ثنا جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فكان أبا جعفر وجه تاويل ذلك الى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم ان يرجعوا الى الدنيا والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بعث به اليهم الرسل ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعته اليه رسله من الايمان به والعمل بطاعته ثم اتبع ذلك قوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون فلان يكون ذلك خبرا عن صنيعه بمن أبى اجابة رسله وعمل بمعصيته وكفر به أحرى ليكون بيانا عن حال القرية الاخرى التي لم تعمل الصالحات وكفرت به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام حرام على قرية أهلكناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم اذ صدوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا ان يتوبوا ويراجعوا الايمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا واذ كان ذلك تاويل قول الله وحرم وعزم على ما قال سعيد لم يكن لا في قوله انهم لا يرجعون صلة بل تكون بمعنى النفي ويكون معنى الكلام وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم وكذلك اذا كان معنى قوله وحرم توبته وقد زعم بعضهم انها في هذا الموضع صلة فان معنى الكلام وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون) يقول تعالى ذكره حتى اذا فتح عن ياجوج وماجوج وهما أمتان من الامم ردمهما كما **حدثني** عصام بن داود بن الجراح قال ثنى أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا وتبيت معهم اذا باتوا ثم ياجوج وماجوج قلت يا رسول الله ومايأجوج وماجوج قال أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم فيسيرون الى خراب الدنيا يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق فيمرون بانهار الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء فيرمون بالنشاب الى السماء فيرجع نشابهم مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا من في السماء وعيسى والمسلمون بجبل طور سيناء فيوحي الله جل جلاله الى عيسى

قائلا فان قولوا فقل آذنتكم أي أعلمتكم والمراد ههنا أخص من ذلك وهو الانذار على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء أي وقت أي حال كونكم مستوين في ذلك لا فرق بين القريب والاجنبي والقاصي والداني والشريف والوضيع ولهذا قال أو مسلم الايذان على سواء هو الدعاء الى الحرب مجاهرة كقوله فانبذ اليهم على سواء وقيل أراد أعلمتكم ما هو الواجب عليكم من أصول التكاليف ولا سيما التوحيد على السوية من غير فرق في الابلاغ بين مكاف ومكاف ولست أدري أقريب ما توعدون أم بعيد الموعود قيل هو عذاب الآخرة وأعترض بانه ينافي قوله واقترب الوعد الحق وقيل هو الامر بالقتال لان السورة مكية وكان الامر بالجهاد بعد الهجرة وقيل هو اعلاء شأن الاسلام وغلبة دينه فانه لابد أن يلحق للكفار حينئذ ذلة وصغار ولما أمره أن ينفي عن نفسه علم الغيب أمره أن يقول لهم ان الله سبحانه هو العالم بالسر والعلن فيعلم ما تجاهرون به من المطاعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والضغائن فيجازيكم على القبيلين وان أدري لعله أي ما أدري لعل تاخير هذا الموعد أو ابهامه وقته أو تاخير الامر بالجهاد امتحان لكم لننظر كيف تعملون وفتيلة لكم الى حين حضور وقت الموعود قال الحسن لعل ما أنتم عليه من الدنيا ونعيمها بلية لكم وقيل أراد لعل ما بنيت عليه وأعلمت وأوعدت ابتلاء لكم لان المعرض عن الايمان مع البيان حالا بعد حال يكون عذابه أشد ومعنى رب احكم بالحق اقض بيني وبين من يكذبني بالعذاب قال قتادة أمره الله تعالى أن يقتدي بالانبياء في هذه الدعوة وكانوا يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فاستجيب له فعذبوا ببدر وقال جار الله معنى بالحق لاتحاجهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وقيل معناه وافعل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع تنصر في عليهم كانه سبحانه قال له قل داعيا الى ربك احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان الذي يستعان به على ما تصفون من الشرك والكفر وما تعارضون به دعوتي من الاباطيل وكانوا يطمعون أن يكون لهم الغلبة والدولة فقلب الله الامر عليهم وفي هذا الامر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ورفع من مقداره حيث أمر بالانقطاع الى الرب في دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية العناية * التأويل ان عبادي بالطور وما يليه ثم ان عيسى يرفع رأسه الى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف تدخل من منا خرهم فيصبحون موتى من حاق الشام الى حاق العراق حتى تنتن الارض من جيفهم ويأمر الله السماء فتمطر كافواه القرب فتغسل الارض من جيفهم وتنقهم فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال ان يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الانس الضعف وان الجن يزيدون على الانس الضعف وان يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت وهب بن جابر يحدث عن عبد الله بن عمرو انه قال ان يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ويمر آخرهم فيقول قد كان في هذا مرة ماء لا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وقال من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاويل وتاريس وناسك أو منسك شك شعبة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن وهب بن جابر الحيواني قال سألت عبد الله بن عمرو عن يأجوج ومأجوج أمن بني آدم هم قال نعم ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تاوس وتاويل ومنسك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن حاتم أبو عتاب قال ثنا سعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت نافع بن جبير بن مطعم يقول قال عبد الله بن عمرو يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقون ماشاؤا ونساء يجامعون ماشاؤا وشجر يلقمون ماشاؤا ولا يموت رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا زكريا عن عامر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن سلام قال مامات أحد من يأجوج ومأجوج الا ترك ألف ذرى فصاعدا حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عطية قال قال أبو سعيد يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا الا قتلوه الا أهل الحصون فيمرون على البحيرة فيشربونها فيمر المار فيقول كانه كان ههنا ماء قال فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصير واخبالا فتقول أهل الحصون لقد هلك أعداء الله فيدلون رجلا لينظر ويشترط عليهم ان وجدهم أحياء أن يرفعوه فوجدهم قد هلكوا قال فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر فتطهر الارض منهم ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل وتخرج الارض ثمرتها كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبيد الله عن أبي يزيد قال رأى ابن عباس صبيانا يتزوبعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال بلغنا ان ملكا دون الردم يبعث خيلا كل يوم يحرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج ان تخرج عليهم قال فيسمعون جلبة وأمرا شديدا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبي اسحق ان عبد الله بن عمرو قال مايموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف وان من ورائهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم الا الله منسك وتاويل وتاريس حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن عمرو البكالي قال ان الله جزأ الملائكة والانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الكروبيون

أمتكم فيه اشارة الى أن السالك اذا عبر المقامات التي ذكرنا تصير متفرقات شملة مجتمعة في الفناء بالله والبقاء به فيكون أمة واحدة في ذاته كما ان ابراهيم كان أمة فيعرفه الله نفسه ويقول أنا ربكم الذي بلغتكم هذه الرتبة فاعبدون أي فاعرفوني وتقطعوا أمرهم فمنهم من سكن الى الدنيا ومنهم من سكن الى الجنة ومنهم من فر الى الله كل الينا راجعون أما طالب الدنيا فيرجع الى صورة قهرنا وهي جهنم وأما طالب الآخرة فيرجع الى صورة رحمتنا وهي الجنة وأما الذي يطلبنا فانه يرجع الينا بالحقيقة وانا له كاتبون في الازل من أهل السعادة حتى اذا فتح سد ياجوج النفس وماجوج الهوى والسد أحكام الشريعة وفتحها مخالفاتها وموافقات الطبع وهم أعني دواعي النفس من كل معدن شهوة من الحواس الظاهرة والباطنة ينسلون فيفسدون ما يمرون عليه من القلب والسر والروح واقترب الوعد اهلاك القلوب الغافلة فاذا هي شاخصة أبصار بصائرها بالانهماك في الاهواء اعاذنا الله منها الحسنى العناية الازلية لا يسمعون خسيسها أعني مقالات أهل البدع والاهواء وهم دعاما اشتهت أنفسهم المطمئنة الجذوبة بجذبة ارجعي في مقامات السير في الله خالدون الفزع الاكبر قوله في الازل هؤلاء في النار ولا أبالي يوم نطوي سماء وجود الانسان بتجلي صفات الجلال في افناء مراتب الوجود من الانتهاء الى الابتداء وذلك قوله كما بدأنا أول خلق نعيده يعني ان الرجوع يكون بالتدريج كما ان البدء كان بالتدريج خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر في الاعادة يجب أن يعرا السالك من الاحساس على الحيوانية ثم النباتية ثم المعدنية ثم البسائط العنصرية ثم المكتوبة ثم الروحانية ثم الى صفات الربوبية بجذبة ارجعي الى ربك ولقد كتبنا في الزبور أي في أم الكتاب من بعد الذكر أي بعد ان

وهم الملائكة الذين يحملون العرش ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال ومن بقي من الملائكة لا مر آله ووحيه ورسالته ثم جزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن ولا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن تسعة ثم جزأ الانس عشرة أجزاء فتسعة منهم ياجوج وماجوج وسائر الانس جزء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج قال أمتان من وراء ردم ذي القرنين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال سمعت اذا كان عند خروج ياجوج وماجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فوسهم فاذا كان الليل قالوا نجيء غدا فنخرج فيعيدها الله كما كانت فيجيؤن من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فوسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجيء غدا فنخرج ان شاء الله فيجيؤن من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون ثم يخرجون فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ما هاهنا ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء وتفر الناس منهم فلا يرقوم لهم ثم يرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى ابن مريم فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف فتخرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياة تطهر الارض منهم وتنبتها حتى ان الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما السكن يا كعب قال أهل البيت قال فبينا الناس كذلك اذ أتاهم الصريخ ان ذا السويقتين يريده فيبعث عيسى طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم فعليهم تقوم الساعة كمثل رجل يضيف حول فرسه ينتظرها متى تضع فمن تكلف بعد قولي هذا شيأ أو على هذا شيأ فهو المتكلف حدثنا العباس بن الوليد البيروتي قال أخبرني أبي قال سمعت ابن جابر قال ثني محمد بن جابر الطائي ثم الحمصي ثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي قال ثني أبي انه سمع النواس بن سمعان الكلابي يقول ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال وذكر أمره وان عيسى ابن مريم يقتله ثم قال فبينا هو كذلك أوحى الله اليه يا عيسى اني قد أخرجت عبادا لي لا يدي لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور فيبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أحدهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم ينزل آخرهم ثم يقول لقد كان بهذه مرة ماء مرة فيحاصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى تكون رأس الثور يومئذ خيرا لاحدهم من مائة دينار لاحدكم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موت نفس واحدة فيهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضعا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم وماؤهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وأما قوله وهم من كل حدب ينسلون فان أهل التأويل

اختلفوا

قلنا للقلم اكتب نظيره كن فيكون ان أرض جنة الوجود الحقيقي يرثها عبادي الصالحون وهم الذين طويت سماء وجودهم المجازي فالوجود المجازي لكونه غير ثابت ولا مستقر كالسماء والوجود الحقيقي لكونه ثابتا ومستقرا على حالة واحدة كالارض لقوم عابدين عارفين وما أرسلناك من كتم العدم الا رحمة للعالمين فلولاك لما خلقت الافلاك أول ما خلق الله روحي ولولا الازل لم تنته الهوية الى الآخر والله أعلم

(سورة الحج مكية الا قوله هذان خصمان الى صراط الحميد وفيها خمسة آلاف ومائة وخمسة وسبعون كلمها ألف ومائتان واحدى وتسعون آية ثمان وسبعون) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب

البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو امن دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة

اختلفوا في المعني به فقال بعضهم عني بذلك بنو آدم انهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الارض وانما عني بذلك الحشر الى موقف الناس يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من كل حدب ينسلون قال جميع الناس من كل مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وهشيم من كل حدب ينسلون قال ابن جريج قال مجاهد جميع الناس من كل حدب من مكان جاؤا منه يوم القيامة فهو حدب وقال آخرون بل عني بذلك ياجوج وماجوج وقوله وهم كناية أسمائهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله انه قال يخرج ياجوج وماجوج فيمرحون في الارض فيفسدون فيها ثم قرأ عبد الله وهم من كل حدب ينسلون قال ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف فتلج في أسماعهم ومناخرهم فيموتون منها فتتن الارض منهم فيرسل الله عز وجل ماء فتطهر الارض منهم * والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا عني بذلك ياجوج وماجوج وان قوله وهم كناية عن أسمائهم الخبر الذي **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر عن قتادة الانصاري ثم الظفري عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الاشهل عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح ياجوج وماجوج يخرجون على الناس كما قال الله من كل حدب ينسلون فيغشون الارض **حدثني** أحمد بن ابراهيم قال ثنا هشيم بن بشير قال أخبرنا العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن موبر وهو ابن عفان العبدي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى ابن مريم قال قال عيسى عهد الي ربي ان الدجال خارج وانه مهبطي اليه فذكر ان معه قصبتين فاذا رآني أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الشجر والحجر يقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله تبارك وتعالى ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم ياجوج وماجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أهلكوه ولا يمرون على ماء الا شربوه **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا المحاربي عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن موبر بن عفان عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وأما قوله من كل حدب فانه يعني من كل شرف ونشز وأكمة * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من كل حدب ينسلون يقول من كل شرف يقبلون **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من كل حدب ينسلون قال من كل أكمة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم من كل حدب ينسلون قال الحدب الشئ المشرف وقال الشاعر * على انحداب من السور * **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون قال هذا مبتدأ يوم القيامة وأما قوله ينسلون فانه يعني انهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب

وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم

فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ

فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) القراآت سكرى في الحرفين على تاويل الجماعة حمزة وعلي وخلف ونقرثم نخرجكم بالنصب فيهما المفضل وربأت بالهمزة حيث كان يزيد ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب خاسر الدنيا اسم فاعل منصوبا على الحالية روح وزيدم ليقطع ثم ليقضوا (٦٦) بكسر اللام فيهما أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وورش وافق القواس في

ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا وقرأ الاعشى وليوفوا بالتشديد وقرأ أبو بكر وحماد وليوفوا بالتشديد وسكون اللام الباقون بالتخفيف والسكون هذان بتشديد النون ابن كثير * الوقوف فربكم ج على تقدير فان عظيم * شديد * مريد * لان ما بعده صفة السعير * لنبين لكم ط لان التقدير ونحن نقر ومن قرأ بالنصب لم يقف أشدكم ج لانقطاع النظم في اتحاد المعنى شيأ ط بهيج * قدير * لا للعطف فيهما لا القبور * منير * لان ما بعده حال عن سبيل الله ط الحريق * للعبيد * حرف ج للشرط مع الفاء به لا للعطف مع الفاء مع الاستقلال على وجهه في الاولى قرأ خاسر الدنيا والآخرة ط المبين * ينفعه ط البعيد * من نفعه ط العشير * الانهار ط ما يريد * ما يغيظ * جنات ط من يريد * يوم القيامة ط شهيد * من الناس ط وقيل يوصل ويوقف على العذاب ط مكرم ط ما يشاء * سجدة في ربهم ز لعطف الجملتين المتفقتين مع أن ما بعده ابتداء بيان حال الفريقين أحدهما فالذين كفروا والثاني ان الله يدخل من تحت ط الحميم ج * لان ما بعده يصلح استئنافا وحالا أو وصفا على ان اللام للجنس كما في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * والجلود ط حديد * الحريق * ابيه

كما قال الشاعر عسلان الذئب أمسى قاربا * بردا الليل عليه فنسل ٧

القول في تاويل قوله تعالى (واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) يقول تعالى ذكره حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون اقترب الوعد الحق وذلك وعد الله الذي وعد عباده انه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو يعني ابن قيس قال ثنا حذيفة لو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واقترب الوعد الحق قال اقترب يوم القيامة منهم والواو في قوله واقترب الوعد الحق مقحمة ومعنى الكلام حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق وذلك نظير قوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه بغير واو كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل

يريد فلما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا وقوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ففي هي التي في قوله فاذا هي وجهان أحدهما أن تكون كناية عن الابصار وتكون الابصار الظاهرة بيانا عنها كما قال الشاعر

لعمر أبيها لا تقول ظعينتي * الا ترعني مالك بن أبي كعب ٧

فكنى عن الظعينة في لعمر وأبيها ثم أظهرها فيكون تاويل الكلام حينئذ فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه فانها لا تعمى الابصار كقول الشاعر

* فهل هو مرفوع بما هنا رأس * وقوله ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا يقول تعالى ذكره فاذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق باهواله وقيام الساعة بحقائقها وهم يقولون ياويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وذلك يقولون من قوله فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يقولون ياويلنا وقوله بل كنا ظالمين يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ ما كنا نعمل لهذا اليوم ما يجينا من شدائده بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا ابليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل القول في تاويل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون بالله العابدون من دونه الاوثان والاصنام وما تعبدون من دون الله من الآلهة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انكم وما تعبدون من دون الله يعني الآلهة ومن يعبدها حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حصب جهنم شجر جهنم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن

* التفسير انه قد انجز الكلام من خاتمة السورة المتقدمة الى حديث الاعادة وما قبلها أو بعدها كوراثة المؤمنين الارض وما معها كطي السماء فلا حرم بدأ الله سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثا على التقوى التي هي خير زاد الى المعاد ويدخل في التقوى فعل الواجبات وترك المنكرات ولا يكاد يدخل فيها النوافل لان المكلف لا يخاف بتركها العذاب وانما يرجو بفعلها الثواب ويمكن أن يقال ان

أبيه عن ابن عباس قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقول وقودها * وقال آخرون بل معناه حطب جهنم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حصب جهنم قال حطبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وزاد فيه وفي بعض القراءة حطب جهنم يعني في قراءة عائشة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حصب جهنم قال حطب جهنم يقذفون فيها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن الحر عن عكرمة قوله حصب جهنم قال حطب جهنم * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يرمى بهم في جهنم ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حصب جهنم يقول ان جهنم انما تحصب بهم وهو الرمي يقول يرمى بهم فيها * واختلف في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار حصب جهنم بالصاد وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة عليه وروى عن علي وعائشة انهما كانا يقرآن ذلك حطب جهنم بالطاء وروى عن ابن عباس انه قرأه حضب بالضاد حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابراهيم بن محمد عن عثمان بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس انه قرأها كذلك وكأن ابن عباس ان كان قرأ ذلك كذلك أراد انهم الذين تسجرهم جهنم ويوقد بهم فيها النار وذلك ان كل ما هيجت به النار وأوقدت به فهو عند العرب حضب لها فاذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب الرمي من قولهم حصبت الرجل اذا رميته كما قال جل ثناؤه انا أرسلنا عليهم حاصبا كان الاولى بتأويل ذلك قول من قال معناه انهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها وقد ذكر ان الحصب في لغة أهل اليمن الحطب فان يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فانه في لغة أهل نجد وأما قوله أنتم لها واردون فان معناه أنتم معذبون أنتم عليها أيها الناس أو اليها واردون يقول داخلون وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استهموه وهم يلعبون وهم مشركو قريش أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله واردو جهنم ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها بل كانت تنج من أرادان يوردكوها اذ كنتم لها في الدنيا عابدين ولكنها اذ كانت لا تنفع عندها لانفسها ولا عند هادفع ضر عنها فهي من أن يكون ذلك عندها أبعد ومن كان كذلك كان بينا بعده من الالوهة وان الاله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شئ فاما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون الها وقوله وكل فيها خالدون يعني الآلهة ومن عبدها انهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية وانما معنى الكلام كلكم فيها خالدون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون قال الآلهة التي عبد القوم قال العابد والمعبود ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون

والاضافة اضافة المصدر الى الفاعل على المجاز الحكمي العائد الى الاسناد في قوله زلزلت الساعة الارض أو الى المفعول فيه على الاتساع فلا مجاز في الحكم لان المراد حينئذ هو ان فاعلها الله في القيامة قاله الحسن وعن الشعبي هي طلوع الشمس من مغربها فتكون الاضافة بمعنى اللام كقولك اشراط الساعة قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن المعدوم شئ لان الله تعالى سمى زلزلة الساعة شيأ مع انها معدومة أجابت الاشاعرة بان المراد هو انها اذا وجدت كانت شيأ عظيما وانتصب يوم ترونها أي الزلزلة بقوله تذهل أي تغفل عن دهشة كل مرضعة وهي التي ترضع بالفعل مباشرة للارضاع وانما يقال لها المرضع من غيرها اذا أريد معنى الاعم وهو انه من شأنها الارضاع بالقوة أو بالفعل كحائض وطالق وفي هذا تصوير لهول الزلزلة كانه بلغ مبلغا لو ألقمت المرضعة الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الخوف وما في مما أرضعت مصدرية أو موصولة أي عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وانما قال كل ذات حمل دون كل حامل ليكون نصا في موضع

الجنين فان الحمل بالفتح هو ما كان في بطن أو على رأس شجرة والثاني خارج بدليل العقل فبقي الاول قال القفال ذهول المرضعة وضع ذات الحمل حمله يحتمل أن يكون على جهة التمثيل كقوله يوما يجعل الولدان شيبا وترى الناس أفرد بعد ان جمع لان الزلزلة تراها الناس جميعا وأما السكر الشامل للناس فانه براه من له أهلية الخطاب بالرؤية وقتئذ ولعله ليس الا النبي صلى الله عليه وسلم قوله سكارى وما هم بسكارى أثبت السكر أولا على وجه التشبيه فان الخوف مدهش كالمسكر ونفاه ثانيا على التحقيق اذ لم يشربوا خمرا وهذه امارة كل مجاز وروى أبو سعيد

الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من (٦٨) يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود واختلفوا في أن شدة ذلك اليوم تحصل لكل واحد أو لاهل النار خاصة فقيل ان الفزع الاكبر وغيره يختص باهل النار وان أهل الجنة يحشرون وهم آمنون وقيل تحصل للكل ولا اعتراض لاحد على الله ثم أراد أن يحتج على منكري البعث فقدم لذلك مقدمة تشمل أهل الجدال كلهم فقال ومن الناس من يجادل نظيره ومن الناس من يقول وقد مر اعرابه في أول البقرة ومعنى في الله في شان الله وفيما يجوز عليه ومالا يجوز من الصفات والافعال ويفهم من قوله بغير علم ان المعارف كلها ليست ضرورية وان المذموم من الجدال هو هذا القسم وأما الجدال الصادر عن العلم والتحقيق فمحمود مامور به في قوله وجادلهم بالتي هي أحسن والشيطان المريد العاتي سمي بذلك لخلوه عن كل خير وتمرد في قوله مردوا على النفاق والمراد ابليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم الى الكفر عن ابن عباس نزلت في النضر بن الحرث وكان مجادلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احيائهم بلى وصاروا ترابا ومعنى كتب عليه قضى على ذلك الشيطان أو علم من حاله وظهر وتبين والاول يليق باصول الاشاعرة والثاني باصول الاعتزال وقيل المراد كتب على من يتبع الشيطان الله ولا يخلو عن تعسف انه من تولى الشيطان أي جعله وليا له أضله عن طريق الجنة وهداه الى النار قال صاحب الكشاف ان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه وفيه نظر لان من يبقى بلا جواب ان جعلت شرطية وبلا خبر ان جعلت موصولة والصحيح ان قوله فانه مبتدأ أو خبر محذوف صاحبه والتقدير من تولاه فشأنه انه يضله أو انه يضله ثابت الهم الا اذا جعلت من موصوفة تقديره كتب على من يتبع الشيطان

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) يعني تعالى ذكره بقوله لهم المشركين وآلهتهم والهاء والميم في قوله لهم من ذكر كل التي في قوله وكل فيها خالدون يقول تعالى ذكره لكلهم في جهنم زفير وهم فيها لا يسمعون يقول وهم في النار لا يسمعون وكان ابن مسعود يتأول في قوله وهم فيها لا يسمعون ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المسعودي عن يونس بن حباب قال قرأ ابن مسعود هذه الآية لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون قال اذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم ان في النار أحدا يعذب غيره ثم قرأ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون وأما قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فان أهل التأويل اختلفوا في المعني به فقال بعضهم عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه انه عن النار مبعد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن سعد وايس يابن ماهك عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون قال عثمان رضي الله عنه منهم * وقال آخرون بل عني من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أولئك عنها مبعدون قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج قوله انكم وما تعبدون من دون الله ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في سورة الانبياء انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فقد عبدت الملائكة من دون الله وعزير وعيسى من دون الله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد أولئك عنها مبعدون قال عيسى حدثني اسمعيل بن سيف قال ثنا علي بن مسهر قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عيسى وأمه وعزير والملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون الى قوله وهم فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس ابن عدي السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد

انه مخصص نوك الشيطان فانه كذا أي كتب عليه ذلك وحين نبه نحو ما على فساد طريقة المجادلين بغير علم خصص المقصود من ذلك والمعنى ان ارتبتم في البعث فعلكم ما نزيل ريبكم وهو ان تنظروا في بدء خلقكم فبين التراب والنطفة والماء الصافي كما الفعل لانه يتطف نطفا أي يسيل سيلا تاما مبانية وكذا بين النطفة والعلقة وهي قطعة الدم الجامد لانها اذا لتعلق بالرحم وكذا بين العلقة والمضغة وهي قدر ما يمضغ من اللحم ولا ريب أن القادر على تقليب الانسان في هذه الاطوار المتباينة ابتداء قادر على اعادته الى أحد هذه الاطوار بل هذه أدخل في القدرة وأهون في القياس قال الجوهري الخلقة التامة الخلق وقال قتادة والضحاك أراد انه يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فلذلك يتفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصهم وقال مجاهد المخلقة الولد يخرج حيا وغير المخلقة السقط لانه لم يتوارد عليها خلق بعد خلق وقيل المخلقة المصورة وغير المخلقة ضدها وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل وينا سبه ما روى علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يارب فما صفتها أذكر أم أنثى مارزقها وأجلها أشقي أم سعيد فيقول سبحانه انطلق الى الكتاب فاستنسخ منه هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي آخر صفتها وقوله لنبين لكم غاية لقوله خلقناكم أي انما نقلبكم من حال الى حال ومن طور الى طور لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وفي ورود الفعل غير معدى للمبين اشعار بأن ذلك المبين مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط به الوصف وقيل أراد ان كنتم في

الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم فعجب الوليد ابن المغيرة ومن كان في المسجد من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا انه قد خاصم واحتج فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته فأنزل الله عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الى خالدون أي عيسى ابن مريم وعزير ومن عبد وا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله نجزي الظالمين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا أبو عبيدة قال سمعت الضحاك يقول ناس من الناس ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني من الناس أجمعين فليس كذلك انما يعني من يعبد من الآلهة وهو لله مطيع مثل عيسى وأمه وعزير والملائكة واستثنى الله هؤلاء من الآلهة المعبودة التي هي ومن يعبدها في النار حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسين الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال المشركون فان عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدان فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لعيسى وغيره * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عنى بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ما كان من معبود كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم اياه بالله كفار لان قوله تعالى ذكره ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ابتداء كلام محقق لامر كان ينكره قوم على نحو الذي ذكرنا الخبر عن ابن عباس فكان المشركين قالوا للنبي الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ما الامر كما تقول لانا نعبد الملائكة ويعبد آخرون المسيح وعزيرا فقال عز وجل ردا عليهم قولهم بل ذلك كذلك وليس الذين سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون لانهم غير معنيين بقولنا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فاما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقول لا معنى له لان الاستثناء انما هو اخراج المستثنى من المستثنى منه ولا شك ان الذين سبقت لهم منا الحسنى انما هم اما ملائكة واما انس أو جان وكل هؤلاء اذا ذكرتهم العرب فان أكثر ما تذكرهما بأن لا بما والله تعالى ذكره انما ذكر المعبودين الذين أخبر انهم حصب جهنم بما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انما أريد بهما كانوا يعبدونه من الاصنام والآلهة من الحجارة والخشب لان من الملائكة والانس فاذا كان ذلك كذلك لما وصفنا فقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ وأما الحسنى فانها الفعلى من الحسن وانما عنى بها السعادة السابقة من الله لهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين

ريب من البعث فانا خبركم انا خلقنا كم من كذا وكذا لنبين لكم ما نزيل ريبكم في أمر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن الاعادة ولما بين كيفية خلق الانسان بالتدريج الى أن تتكامل أعضاؤه أراد أن يبين ان من الابدان ما تتحجر الارحام ومنها ما تنطوي هي عليه الى كمال النضج والتربية فاسقط القسم الاول اكتفاء بالثاني فاستأنف قائلا ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره من ذلك الى أجل مسمى هو كل ستة أشهر الى أربع سنين غايتها عرفت بالاستقراء ثم نخرجكم أي كل واحد منكم طفلا أو الغرض الدلالة على الجنس فاكتفى بالواحد ثم ربيكم

شيأ بعد شئ لتبلغوا أشدكم ومن قرأ ونقر بالنصب أعناه خلقنا كم مدرجين هذا التدريج لغايتين احداهما أن نبين قدرتنا والثانية ان نقر في الارحام من نقر حتى تولدوا وتنشأوا وتبلغوا حد التكليف والاشد كمال القوة والتمييز كانه شدة في غير شئ واحد فلذلك بني على لفظ الجمع قوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقد مر في النحل شبيهه فليرجع اليه ثم أكد أمر البعث بالاستدلال من حال النبات أيضا فقال وترى أي تشاهد أيها المستحق للخطاب الارض حال (٧٠) كونها هامدة ميتة يابسة لا نبات بها والتركيب يدل على ذهاب مايه قوام الشئ

ور واؤه من ذلك همدت النار همودا وطفئت وذهبت بكليتها وهمد الثواب همودا بلى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز الا في حركة تصدر عن سرور ونشاط وربت انتفخت وزادت كما مر في قوله زبدا رابيا وذلك في الرعد والمراد كمال نمئ الارض لظهور النبات منها ومن قرأ بالهمزة فمعناه ارتفعت من قولهم ربأ القوم اذا كان لهم طليعة فوق شرف ثم أشار الى كمال حاله في الظهور بقوله وأنبتت من كل زوج أي بعض من كل صنف بهيج والبهجة النضارة وحسن الحال ولهذا قال المبرد هو الشئ المشرق الجميل واسناد الانبات الى الارض مجاز لان المنبت بالحقيقة هو الله ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع مافي تضاعيف ذلك من عجائب الصنع وغرائب الابداع حاصل بامور خمسة الاول ان الله هو الحق الثابت الذي لا يزول ملكه وملكه لاحق في الحقيقة الا هو فما سواه يكون مستندا الى خلقه وتكوينه لامحالة الثاني انه من شأنه احياء الموتى الثالث انه على كل شئ قدير وهذا كالبيان لما تقدمه فان القادر على كل شئ ممكن قادر لامحالة على احياء الموتى لانه من جملة الممكنات وبيان امكانه ظاهر فان كل ماجاز على شئ في وقت ماجاز عليه في سائر الاوقات اذ لو امتنع فاما لغيره فالاصل عدمه وامالذاته وهذا يقتضي أن لا يتصف به أولا فان ما بالذات لا يزول بالغير الرابع والخامس قوله وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور قال في الكشاف معناه انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلابد ان يفي بما وعد قلت ان هذا التفسير غير وافي فلقائل أن يقول تفاصيل الآيات يرجع الى قولنا ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقنا كم بالتدريج وأحيينا الارض بسبب انا وعدنا الساعة ووعدنا صادق

سبقت لهم منا الحسنى قال الحسن السعادة وقال سبقت السعادة لاهلها من الله وسبق الشقاء لاهله من الله ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ويعني بالحسيس الصوت والحس فان قال قائل فكيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ماروي من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه خوفا منها قيل ان الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال بل هي الحال التي **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول لا يسمع أهل الجنة حسيس النار اذا نزلوا منازلهم من الجنة وقوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون يقول وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها لا يخافون زوالا عنهم ولا انتقالا عنها ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) * اختلف أهل التاويل في الفزع الاكبر أي الفزع هو فقال بعضهم ذلك النار اذا أطبقت على أهلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير لا يحزنهم الفزع الاكبر قال النار اذا أطبقت على أهلها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر قال حين تطبق جهنم وقال حين ذبح الموت * وقال آخرون بل ذلك النفخة الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يعني النفخة الآخرة * وقال آخرون بل ذلك حين يؤمر بالعبد الى النار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن لا يحزنهم الفزع الاكبر قال انصراف العبد حين يؤمر به الى النار * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك عند النفخة الآخرة وذلك ان من لم يحزنه ذلك الفزع الاكبر وأمن منه فهو مما بعده أحرى ان لا يفزع وان من أفزعه ذلك فغير مامون عليه الفزع مما بعده وقوله وتتلقاهم الملائكة يقول وتستقبلهم الملائكة يهنونهم يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا لله في طاعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون قال هذا قبل ان يدخلوا الجنة ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) يقول تعالى ذكره لا يحزنهم الفزع الاكبر يوم نطوي السماء فيوم من صلة يحزنهم * واختلف أهل التاويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا أبو الوفاء الاشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال أكتبها فورا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان

وهذا كلام غير مستنكر في الظاهر كما ترى ولو سمع هذا الاستغنى عن التطويل بان يقال مثلا لانا شككنا في أمر البعث فانه كان لابد له والذي يسمح لي في تفسيره انه سبحانه أزال الشك في أمر البعث بقوله ان كنتم في ريب من البعث فزيل ريبكم هذان الاستدلالان ثم كان السائل أن يسأل لم خلق الانسان وما يترتب عليه معاشه فاجيب بان لهذا الشان وهو خلق الانسان أسبابا فاعلية وأسبابا غائية أما الاولى فهي انه تعالى واجب الوجود الحق وانه قادر على كل مقدور لا سيما احياء الموتى الذي استدللنا عليه لانه أهون وان قدرته لا تظهر الا اذا تعلقت بالمقدور فكمال القدرة بالفعل هو أن يتعلق بكل مقدور يصح في القسمة العقلية وهذا النوع من المقدور كان ثابتا في القسمة لانه واسطة بين العالم العلوي والعالم السفلي وله تعلق بالطرفين وانجذاب الى القبيلين فوجب في الحكمة والقدرة ايجاده ثم ايجاد ما يتوقف عليه بقاؤه واستكماله وأما علته الغائية فهي ان داره الاولى كانت دار تكليف وقد هيأ له دارا أخرى لاجل الجزاء وذلك لا يحصل الا بالبعث والنشور ولعل هذا الموضع مما لم يفسره على هذا الوجه غيري أرجو أن يكون صوابا والله تعالى أعلم بمراده قوله ومن الناس من يجادل عن ابن عباس انه أبو جهل وقيل هو النضر أيضا وكرر للتأكيد كما كرر سائر الاقاصيص وقال أبو مسلم الاول في المقلدين فانهم قد يجادلون تصويبا لتقليدهم وهذا في المقلدين المتبوعين بدليل قوله ليضل عن سبيل الله قال العلماء أراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى النظري من العلم لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير العلم السمعي المتعلق بالوحي قال

سفيان قال سمعت السدي يقول في قوله يوم نطوي السماء كطي السجل قال السجل ملك * وقال آخرون السجل رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر ابن علي قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في هذه الآية يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب قال كان ابن عباس يقول هو الرجل قال ثنا نوح ابن قيس قال ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل هو الصحيفة التي يكتب فيها ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحيفة على الكتاب **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب يقول كطي الصحف **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السجل الصحيفة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال السجل الصحيفة * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل في هذا الموضع الصحيفة لان ذلك هو المعروف في كلام العرب ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه فان قال قائل وكيف تطوى الصحيفة بالكتاب ان كان السجل صحيفة قيل ليس المعنى كذلك وانما معناه يوم نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ثم جعل نطوي مصدرا فقيل كطي السجل للكتاب واللام في قوله للكتاب بمعنى على * واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى أبي جعفر القارئ يوم نطوي السماء بالنون وقرأ ذلك أبو جعفر يوم يطوي السماء بالياء وضمها على وجه ما لم يسم فاعله * والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الامصار بالنون لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما السجل فانه في قراءة جميعهم بتشديد اللام وأما الكتاب فان قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة قرؤا بالتوحيد كطي السجل للكتاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة للكتب على الجماع * وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب لما ذكرنا من معناه فان المراد منه كطي السجل على ما فيه مكتوب فلا وجه اذ كان ذلك معناه لجميع الكتب الا وجه تتبعه من معروف كلام العرب وعند قوله كطي السجل انقضاء الخبر عن صلة قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره كما بدأنا أول خلق نعيده فالكاف التي في قوله كما من صلة نعيد تقدمت قبلها ومعنى الكلام نعيد الخلق عراة حفاة غرلا يوم القيامة كما بدأناهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك * وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك اخترت القول به على غيره ذكر من قال ذلك والاثر الذي جاء فيه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن

بعض أهل اللغة العطف المنكب وقال الجوهري عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركه ويقال فلان ثني عطفه عني أي أعرض وقيل هو عبارة عن التكبر والخيلاء كطي الجيد قال جار الله لما أدى جداله الى الضلال جعل كأنه عرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه بالباطل جعل كالخارج بالجدال وفسر الخزي ههنا بما أصابه يوم بدر ذلك الذي مني به شئ من جزي الدنيا وعذاب الآخرة هو بما قدمت يداه وباقي مباحث الآية قد سلف في آخر آل عمران ثم أخبر عن شقاق أهل النفاق بقوله ومن الناس من يعبد الله

على حرف أى على طرف من الدين لا فى وسطه فهذا مثل لكونه مضطربا فى أمر الدين غير ثابت القدم كالذى يكون على طرف العسكر ينهزم بأدنى سبب وباقى الآية تفصيل لهذا الاجمال قال الكلبى نزلت فى أعراب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى ديني هذا الا خيرا واطمأن به وقر وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (٧٢) الذى أظهره بلسانه وفر وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم منهم الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وعن أبى سعيد الخدرى ان رجلا من اليهود أسلم فاصابته مصائب كذهاب البصر والمال والولد فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام يسبك كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة والاسلام لا يقال ونزلت الآية والفتنة ههنا مخصوصة بالابتلاء بالشرور والآلام لوقوعها فى مقابلة الخير وهذا على الاستعمال الغالب والا فالخير أيضا قد يكون سببا للابتلاء كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم حكى حاله فى الدارين بقوله خسر الدنيا والآخرة أما خسران الدنيا بعد ان أصابه ما أصاب ففقدان العزة والكرامة والغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وكون عرضه وماله ودمه مصونة وأما الآخرة فخسرانه الثواب وحصول العقاب أبد الآباد ولا خسران أبين من هذا نعوذ بالله منه وفى قوله يدعو من دون الله الآية فيه بحث لفظى وبحث معنوى أما الاول فهو أن يدعو بمعنى يقول والجملة بعده محكية ومن موصولة أو موصوفة وعلى التقديرين هو مع تمامه مبتدأ أما بعده وهو لبئس المولى خبره واللام الثانية فى الخبر لنا كيد اللام الاولى وهذا حسن بخلاف قوله أم الحليس لبجور فانه أدخل لام الابتداء فى الخبر على سبيل الاستقلال ويجوز أن يكون يدعو تكرارا للاول وما بعده جملة مستانفة على الوجه المذكور وفى حرف عبد الله من ضره بغير لام ووجهه ظاهر وعلى هذا يكون قوله لبئس المولى جملة مستقلة والمولى الناصر والعشير المعاشر أى الصاحب وأما البحث المعنوى فهو انه نفى الضر والنفع عن الاصنام أولا ثم أثبتهما لها ثانيا حين قال ضره أقرب من نفعه فما وجه ذلك والجواب ان المقصود فى الآية الثانية

قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أول خلق نعيده قال حفاة عراة غرلا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أول خلق نعيده قال حفاة غلفا قال ابن جريج أخبرنى ابراهيم بن ميسرة انه سمع مجاهدا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدى نسائه ياتونه حفاة عراة غلفا قالت فاستترت بكم درعها وقالت واسوأتاه قال ابن جريج أخبرت انها عائشة قالت يا نبى الله والله لا يحشر الناس بعضهم بعضا قال لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا قال فاول من يكسى ابراهيم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فذكر نحوه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن شعبة قال ثنا المغيرة بن النعمان النخعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه **حدثنا** عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال انكم ملاقوا الله مشاة غرلا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى عجوز من بنى عامر فقال من هذه العجوز يا عائشة فقلت احدى خالاتى فقالت أدع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجز قالت فاخذ العجوز ما أخذها فقال ان الله ينشئهن خلقا غير خلقهن ثم قال يحشرون حفاة عراة غلفا فقالت حاش لله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ان الله قال كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا الى آخر الآية فاول من يكسى ابراهيم خليل الله **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عطاء عن عقبة بن عامر الجهنى قال يجمع الناس فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة عراة كما خلقوا أول يوم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا قلت يا أبا عبد الله ما الغرل قال الاغلف فقال بعض أزواجه يا رسول الله أينظر بعضنا الى بعض الى عورته فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ما يشغله عن النظر الى عورة أخيه قال هلال قال سعيد بن جبير ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة قال كيوم ولدته أمه ردد عليه كل شئ انتقص منه مثل يوم ولد * وقال آخرون بل معنى ذلك كما كنا ولا شئ غيرنا قبل أن نخلق شيأ كذلك نهلك الاشياء فنعيدها فانية حتى لا يكون شئ سوانا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس كما بدأنا أول خلق نعيده الآية قال نهلك كل شئ كما كان أول مرة وقوله وعدا علينا يقول وعدنا كذلك وعدا حقا علينا ان نوفى بما وعدنا انا

رؤساؤهم الذين كانوا يفزعون اليهم فى الشدائد مستعبو بين آراءهم لان وصف المولى والعشير لا يليق الا بالرؤساء سلنا انه أراد فى الموضعين الاصنام الا انه أثبت الضر لها جبارا لانها سبب الضلال الذى هو سبب عذاب النار تغليبا وبانها من أضلان كثيرا من الناس وأثبت لها النفع بناء على معتقدهم انها شفعاؤهم عند الله والمراد بقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ذلك أو أراد بدعو من دون الله ما لا يضره ومالا ينفعه ثم قال ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى ثم لما بين حال المنافقين والمشركين اتبعها حال المؤمنين الذين معبودهم قادر على ايصال كل المنافع فقال ان الله يدخل الآية قالت الاشاعرة فى قوله ان الله يفعل ما يريد دليل على انه خالق الايمان وفاعله لانه يزيد الايمان من العبد بالاتفاق أجاب الكعبى بانه يفعل ما يريده لاما يريد ان يفعله غيره وردبان ما يريد أعم من قولنا ما يريده من فعله وما يريد من فعل غيره قوله سبحانه من كان يظن ان لن ينصره الله فى هذا الضمير وجهان الاول وهو قول ابن عباس والكلبى ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدى واختيار الفراء والزجاج انه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم للعلم به لان ذكر الايمان يدل على الايمان بالله ورسوله وعلى هذا فالظان من هو قيل كان قوم من المسلمين اشتد غيظهم على المشركين يستبطئون النصر فنزلت وعندى فى هذا القول بعد وعن مقاتل نزلت فى نفر من أسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود والاولى العموم وكان حساده وأعداؤه يتوقعون أن لا ينصره الله وان الله لا يغلبه على أعدائه فنبى شاهدوا ان الله ينصره غاظهم

كذا فاعلى ما وعدنا كم من ذلك أيها الناس لانه قد سبق فى حكمنا وقضائنا ان نفعله على يقين بان ذلك كائن واستعدوا وتاهبوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون) * اختلف أهل التأويل فى المعنى بالزبور والذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بالزبور كتب الانبياء كلها التى أنزلها الله عليهم وعنى بالذكر أم الكتاب التى عنده فى السماء ذكر من قال ذلك **حدثنى** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال سألت سعيدا عن قول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الاعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال قرأها الاعمش الزبر قال الزبور والتوراة والانجيل والقرآن من بعد الذكر قال الذكر الذى فى السماء **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الزبور قال الكتاب من بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الزبور قال الكتب بعد الذكر قال أم الكتاب عند الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قال الزبور الكتب التى أنزلت على الانبياء والذكر أم الكتاب الذى تكتب فيه الاشياء قبل ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال كتبنا فى القرآن من بعد التوراة * وقال آخرون بل عنى بالزبور الكتب التى أنزلها الله على من بعد موسى من الانبياء وبالذكر التوراة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة والزبور الكتب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر الآية قال الذكر التوراة ويعنى بالزبور من بعد التوراة الكتب * وقال آخرون بل عنى بالزبور زبور داود وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر انه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال زبور داود من بعد الذكر ذكر موسى التوراة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى انه قال فى هذه الآية ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر قال فى زبور داود من بعد ذكر موسى * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب فى ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما فى ذلك من أن معناه ولقد كتبنا فى الكتب من بعد أم الكتاب الذى كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك ان الزبور هو الكتاب يقال منه زبرت الكتاب وزبرته اذا كتبته وان كل كتاب أنزله الله الى نبى من أنبيائه فهو ذكر فاذ كان ذلك كذلك فان فى ادخاله الالف واللام فى الذكر الدلالة البينة انه يعنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ولو كان ذلك غير أم الكتاب التى ذكرنا لم تكن التوراة باولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف ابراهيم فقد كان قبل زبور داود فتأويل

ذلك والسبب الحبل والسماء سماء البيت والقطع الاختناق لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه والمراد من كان يظن من حاسديه ان الله تعالى يفعل خلاف النصر والظفر وكان يغيظه نصرة الله اياه فليستفرغ جهده فى ازالة ما يغيظه وليس ذلك الا بان يمد حبلا الى سماء بيته ثم يشده فى عنقه ويختنق فى عنقه وليصور فى نفسه انه ان يفعل ذلك هل يذهبن كيده ما يغيظه يعنى فعله كيدا حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والحاصل ليس فى يده

الامالي بذهبيا بفيظ ومنهم من قال السماء هي المظلة لان الاختناق حينئذ أبعد عن الامكان فيكون أصعب فيصرفا الحاسد عن الذي الى طاعة الله ورسوله ومنهم من قال مع ذلك ان القطع هو قطع المسافة أي فليصعد على الجبل الى السماء والغرض تصوير مشقة من غير فائدة أو القطع قطع الوحي أو النصر أي فليصعد وليقطع الوحي أن ينزل عليه أو النصر أن يأتيه الوجه الثاني أن الضمير عائد الى من والنصر الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني بنصرة الله أي من يعطيني مما أعطاه الله ووجه النظم من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد وينقلب على وجهه كما مر فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق أو غير ذلك مما عددنا فان الله لا يغلبه مرزوق وحين بين الاحوال وضرب الامثال أشار الى هذا المذكور بلفظ البعيد اما للتعظيم واما لان كل ما دخل في حيز الذكر وحصل في حيز كان فهو في حكم البعيد فقال وكذلك أنزلناه أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات وان الله حرف التعليل وكذا معلله محذوف للعلم به أي ولان الله يهدي من يريد أنزله كذلك مبينا قالت الاشاعرة المراد بالهداية اما وضع الادلة أو خلق المعرفة والاول غير جائز لان الله تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين ولان قوله يهدي من يريد يدل على ان الهداية غير واجبة عليه بل هي معلقة بمشيئته ووضع الادلة واجب فتعين ان المراد خلق المعرفة أجاب القاضي عبد الجبار بانه أراد تكليف من يريد لان التكليف لا يخلو من وصف ما كلف به ومن بيانه أو أراد يهدي الى الجنة والاثابة من يريد ممن آمن وعمل صالحا أو يهدي به الذين يعلم منهم الايمان أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى والى هذين الوجهين أشار الحسن بقوله ان الله يهدي من قبل لامن لم يقبل واعترض بان الله سبحانه وتعالى ذكر هذا الكلام بعد بيان الادلة والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف وأما الوجوه الاخر فخلاف الظاهر مع ان ما ذكرتموه واجب عندكم على الله وقوله من يريد ينافي الوجوب ثم أراد أن يميز بين المهدي من الفرق وبين الضال عنهم فقال ان الذين آمنوا الآية قال مقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان قلت فالمؤمنون واليهود والنصارى تشتركون في القول بالله والنبي وتفترق بالاعتراف بعموم نبوة محمد صلى الله عليه

الكلام اذا كان ذلك كما وصفنا ولقد قضينا فاثبتنا قضاء نافي الكتب من بعد أم الكتاب ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني بذلك ان أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته المنتهون الى أمره ونهيه دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أرض الجنة **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والارض ان يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير في قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال كتبنا في القرآن بعد التوراة والارض أرض الجنة **حدثني** علي بن سهل قال ثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال الارض الجنة **حدثني** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال سألت سعيدا عن قول الله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال أرض الجنة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الارض قال الجنة يرثها عبادي الصالحون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال الجنة وقرأ قول الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فالجنة مبتدؤها في الارض ثم تذهب درجات علوا والنار مبتدؤها في الارض وبينهما حجاب سور مايدري أحد ما ذلك السور وقرأ باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ودرجها يذهب سفالا في الارض ودرج الجنة يذهب علوا في السموات **حدثنا** محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لانفس المؤمنين يجتمع قال فقال ان الارض التي يقول الله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال هي الارض التي تجتمع اليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث * وقال آخرون هي الارض يورثها الله المؤمنين في الدنيا * وقال آخرون عني بذلك بنو اسرائيل وذلك ان الله وعدهم ذلك فوفى لهم به واستشهد لقوله ذلك بقول الله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وقد ذكرنا قول من قال ان الارض يرثها عبادي الصالحون انها أرض الامم الكافرة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس الذي روي عنه علي بن طلحة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يقول تعالى ذكره ان في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله الى رضوانه وادراك

وسلم وبعدم الاعتراف به والصابئون قد تجعل من جنس النصارى وقد تجعل من غيرهم والمجوس قولهم في البابين مضطربان لان الاله عندهم اثنان ونبيهم ليس بنبي في الحقيقة وانما هو منتبئ والمشركون لا نبي لهم ولا كتاب قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين في أوائل البقرة لانهم أهل كتاب وعكس ههنا لان الصابئين مقدمة عليهم بالزمان وفي المائدة يحتمل الامران أي والصابئون كذلك أو هم والنصارى ان الله يفصل بينهم أي يقضي بين المؤمنين وغيرهم وتكريران في الخبر (٧٥) لزيادة التأكيد والفصل مطلق يحتمل الفصل في الاحوال وفي المواطن أيضا ان الله على كل شئ شهيد فلا يجري في قضائه ظلم ولا حيف ألم تر أي تعلم بأخبار الله والمراد ان هذه الاجسام غير ممتنعة عما يريد الله احداثه فيها من أنواع تصرفاته وتدبيراته قال العلماء قوله وكثير من الناس ليس بمعطوف على ما قبله من المفردات لان السجود بالمعنى المذكور يتناول كل الناس ولا يختص ببعضهم لدليل العقل ولان قوله ومن في الارض يتناول الثقلين جميعا والعطف يوهم التخصيص بالبعض ولا يمكن أن يكون السجود بالنسبة الى كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة وبالنسبة الى غيرهم بمعنى نفوذ مشيئة الله فيها لان اللفظ المشترك لا يصح استعماله في مفهوميه معا فهو اذن مرفوع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أي ويسجد له كثير من الناس بمعنى وضع الجبهة أيضا وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو مثاب لان الخبر دليل عليه وهو قوله حق عليه العذاب أو هو مبتدأ وخبره أي وكثير من المكلفين من الناس الذين هم الناس على الحقيقة فكأنه أخرج الذين وجب عليهم العذاب عن جملة الناس لانهم أشبه بالانعام بل هم أضل أو قوله ثانيا وكثير تكرار للاول لاجل المبالغة كأنه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وباقي الآية دليل على أن الكل بقضائه وقدره والاكراه والاهانة من عنده وبسابق علمه وسابق مشيئته فمن أهانه في الازل لم يكرمه أحد الى الابد عن ابن عباس ان قوله هذان خصمان راجع الى أهل الاديان الستة أي هما فوجان أو فريقان خصمان واختصم صفة وصف بها المحذوف وانما قيل اختصموا نظرا الى المعنى وقيل ان أقل الجمع اثنان ومعنى في ربهم أي في دينه وصفاته فقال المؤمنون في شأنه قولا وقال الكافرون قولا وروي ان أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله

وادراك الطلبة عنده * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي الورد وابن ثمامة عن أبي محمد الحضرمي قال ثنا كعب في هذا المسجد قال والذي نفس كعب بيده ان في هذا البلاغا لقوم عابدين انهم لاهل أو أصحاب الصلوات الخمس سماهم الله عابدين **حدثنا** الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا ابن علية عن سعيد بن اياس الجريري عن أبي الورد عن كعب في قوله ان في هذا البلاغا لقوم عابدين قال صوم شهر رمضان وصلاة الخمس قال هي ملء اليدين والبحر عبادة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن الحسين عن الجريري قال قال كعب الاحبار ان في هذا البلاغا لقوم عابدين لامة محمد **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان في هذا البلاغا لقوم عابدين يقول عاملين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان في هذا البلاغا لقوم عابدين قال يقولون في هذه السورة بلاغا يقول آخرون في القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغا لقوم عابدين قال عالمين **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين قال ان في هذا المنفعة وعما لقوم عابدين ذا البلاغ وقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى خلقنا الا رحمة للعالمين ان أرسلناك اليه من خلقي * ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية أجميع العالم الذين أرسل اليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم أم أريد بها أهل الايمان خاصة دون أهل الكفر فقال بعضهم عنى بها جميع العالم المؤمن والكافر ذكر من قال ذلك **حدثني** اسحق بن شاهين قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن المسعودي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله في كتابه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الامم من الخسف والقذف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن المسعودي عن أبي سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الامم قبل * وقال آخرون بل أريد بها أهل الايمان دون أهل الكفر ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال العالمون من آمن به وصدقه قال وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة وقد جاء الامر بحملا رحمة للعالمين والعالمون ههنا من آمن به وصدقه وأطاعه * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس وهو ان الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فاما مؤمنهم فان الله هداه به وأدخله الايمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة وأما كافرهم فانه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالامم المكذبة رسلها من قبله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ما يوحى الي ربي الا أنه لا اله لكم يجوز أن يعبد الا اله واحد

وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم وبجميع الكتب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تكفرون حسدا فنزلت وعن قيس بن عبادة عن أبي ذر الغفاري انه كان يحلف بالله انها نزلت في ستة نفر من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحرث ومن المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة فقال علي رضي الله عنه أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة وعن عكرمة هما الجنة (٧٦) والنار قالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة وخلقني الله لرحمته فقص الله

من خبرهما على محمد صلى الله عليه وسلم والاقرب هو الاول وقوله فالذين كفروا فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم وقوله قطعت لهم ثياب فيه انه تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة أو المراد ان تلك النيران مظاهرة عليهم كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض وعن سعيد بن جبير ان قوله من نار أي من نحاس أذيب بالنار كقوله سرابيلهم من قطران والحميم الماء الحار عن ابن عباس لو نقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ومعنى يصهر يذاب صهرت الشئ فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير أي مذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم لان ناثير الشئ من الظاهر في الباطن أبلغ من تاثيره في الباطن قال في الكشاف المقامع السياط وقال الجوهري المقمعة واحدة المقامع من حديد كالمجن يضرب على رأس الفيل وفي الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها ولا عادة لا تكون الا بعد الخروج ففي الآية اضمار أي كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فرجوا أعيدوا فيها أو المراد بالارادة المداناة والمشارفة كقوله يريد أن ينقض وهذا أقرب كقوله لا يخفف عنهم العذاب ويؤيده ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وانما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الاخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لانه يولع ههنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وانما أضمر القول ههنا قبل قوله وذوقوا بخلاف السجدة وقيل لهم ذوقوا لانه وقع الاختصار ههنا على عذاب الحريق وهناك أطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون وأيضا

لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغي ذلك لغيره فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الاوثان والاصنام بالخضوع بذلك ومتبرؤن من عبادة ما دونه من دون آلهتكم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) يقول تعالى ذكره فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الاقرار بالايمان بان لا اله لهم الا اله واحد فاعرض عنه وأبوا الاجابة اليه فقل لهم قد آذنتكم على سواء يقول أعلمهم اني وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب لاصلح بيننا ولا سلم وانما عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فان تولوا فقل آذنتكم على سواء فان تولوا يعني قريشا وقوله وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون يقول تعالى ذكره لنبيه قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون قال الاجل ۞ القول في تاويل قوله تعالى (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين ان الله يعلم الجهر الذي تجهرون به من القول ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته انه لا يخفى عليه منه شئ فان أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم لعل تاخيره ذلك عنكم مع وعده اياكم الفتنة يريدها بكم ولتمتعوا بحياتكم الى أجل قد جعله لكم تبلغونه ثم ينزل بكم حينئذ نقمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم ومتاع الى حين فيصير قولي ذلك لكم فتنة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد يا رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك ونقمتك لهم وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال رب احكم بالحق قال لا يحكم بالحق الا الله ولكن انما استعجل بذلك في الدنيا يستدل به على قومه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار قل رب احكم بكسر الباء ووصل الالف ألف أحكم على وجه الدعاء والمسألة سوى أبي جعفر فانه ضم الباء من الرب على وجه نداء المفرد وغير الضحاك بن مزاحم فانه روي عنه انه كان يقرأ ذلك رب احكم على وجه الخبر بان الله احكم بالحق

قد تقدم ذكر القول في تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم * التأويل ان زلزلة الساعة هلاك الاستعداد الفطري شيء عظيم تذهل كل مرضعة هي موادالاشياء فان لكل شيء مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات حمل وهي الهيوليات حملها وهو الصور الكمالية التي خلقت الهيوليات لاجلها وترى الناس سكارى الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وماهم بسكارى العشق والمحبة والمعرفة فانا خلقنا كم من تراب اى كنتم ترابا ميتا فبعثنا (٧٧) التراب بان خلقنا منه آدم ثم أمتنا منه النطفة ثم بعثناها بان جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقنا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ونقر في الارحام أمهات العدم ما نشاء الى أجل مسمى وهو وقت ايجاده بحسب تعلق الارادة به وفيه دليل على انه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا تتعلق ارادته بالمقدور فيقي في حيز العدم الى حين تعلق الارادة به ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيي بحصول الكمالات ومنكم من يرد الى أسفل سافلين الطبيعة وترى أرض القالب هامدة فاذا أنزلنا عليها ماء حياة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بان الله هو الحق في الالهية وانه يحيي القلوب الميتة وأن الساعة قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية وأن الله يبعث القلوب المحبوسة في قبور الصدور عذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لانه نائم بنوم الغفلة فاذا مات انتبه من كان يظن فيه ان العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله ثم ليقطع مادة تقديري في الازل ونزول أحكامي في القدر فلينظر هل ينقطع أم لا هذان خصمان يعني النفس الكافرة والروح المؤمن قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهو ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع يصب من فوق رؤسهم حميم الشهوات النفسانية وفي لفظ الفوق دلالة على انهم مغلوبون تحتها وفيه ان الخيالات الفاسدة تنصب من الدماغ الى القلب يصهر به ما في بطونهم من الاخلاق الحميدة الروحانية والجلود أي يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم وهي المقامع ايضا ولا تخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري

من كل حاكم فثبت الياء في الرب وهمز الالف من أحكم وبرفع أحكم على انه خبر للرب تبارك وتعالى * والصواب من القراءة عندنا في ذلك وصل الباء من الرب وكسرها باحكم وترك قطع الالف من أحكم على ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وأما الضحاك فان في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خط المصاحف ولا ينبغي أن يزاد ذلك فيها مع صحة معنى القراءة بتركه زيادته وقد زعم بعضهم ان معنى قول رب احكم بالحق بحكمك الحق ثم حذف الحكم الذي الحق نعته له وأقيم الحق مقامه ولذلك وجه غير ان الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل فلذلك اخترناه وقوله وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون يقول جل ثناؤه وقل يا محمد وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته الذي استعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم في فيما أتيتكم به من عند الله ان هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقوله بل افتراه بل هو شاعر وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم اتخذ الرحمن ولدا فانه هين عليه تغيير ذلك وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك * (آخر سورة الانبياء عليهم السلام) *

* (تفسير سورة الحج) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) * قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم باطاعته فاطيعوه ولا تعصوه فان عقابه لمن عقبه يوم القيامة شديد ثم وصف جل ثناؤه هول اشراط ذلك اليوم وبدوه فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم * واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة فقال بعضهم هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة في قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال قبل الساعة حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا قبل يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج في قوله ان زلزلة الساعة فقال زلزالها اشراطها الآيات يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال هذا في الدنيا من آيات الساعة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء غير ان في اسناده نظر وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطى اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى السماء ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف

فلينظر هل ينقطع أم لا هذان خصمان يعني النفس الكافرة

من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع (٧٨) لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها

وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافّ فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع

عن

وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) القراآت ولؤلؤا بهمزتين منصوبا بلا وقف وحفص بمثله ولكن بتخفيف الاولى وأوسا كنه أبو بكر وحماد وزيد وكذلك فى سورة فاطر وقرأ سهل ويعقوب بالمفتوح ههنا بالهمز والمضموم فى فاطر بالهمز

هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيامة لرب العالمين يأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول أنفخ نفخة الفزع فتفزع أهل السموات والارض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع وتولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فزعوا أمرا عظيما وأخذهم لذلك من الكرب بما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشئ من ذلك فقال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد وهذا القول الذى ذكرناه عن علقمة والشعبى ومن ذكرنا ذلك عنه قول لا يجيء الصحاح من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعانى وحى الله وتنزيله * والصواب من القول فى ذلك ما صح به الخبر عنه ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا **حدثنى** أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبى يحدث عن قتادة عن صاحب له حدثه عن عمران بن حصين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه وقد فاوت السير باصحابه اذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال فخفوا الملطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون أى يوم ذاك قالوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم قال ذلك يوم ينادى آدم ينادى ربه ابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار قال فأبلس القوم فما وضع منهم ضاحك فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا اعملوا وابشروا فان معكم خليقتين ما كانتا فى قوم الا كثرتاهما فمن هلك من بنى آدم ومن هلك من بنى ابليس ويأجوج ومأجوج قال أبشروا وأما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى جناح الدابة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا هشام بن أبى عبد الله عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى **وحدثنا** ابن أبى عدى عن هشام جميعا عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر

والخفض الباقون بالهمز والخفض في السورتين سواء بالنصب حفص وروح وزيد الآخرون بالرفع والباقي بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير وافق أبو عمرو وأبو جعفر ونافع غير قالون في الوصل بوأنا مثل أنشانا بيتي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وحفص وهشام فخففه بتشديد الطاء أبو جعفر ونافع الرياح بزيد طريق المفضل والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون عباس منسكا ونحوه بكسر السين حمزة وعلي وخلف لن تنال الله بتاء التأنيث يعقوب ولكن تناله بالتأنيث (٧٦) أيضا يدفع من الدفع ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون يدافع من المدافعة أذن مبنيا للمفعول أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم يقاتلون مبنيا للمفعول أيضا أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص الآخرون مبنيا للفاعل فيهما دفاع بالالف أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب لهدمت مخففا ابن كثير وأبو جعفر ونافع وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وسهل وحمزة وعلي وخلف مشددا مدغما الباقون مشددا * الوقوف ولؤلؤا ط من القول ج للعطف مع تكرار وهدوا الحميد ه والباد ه ط أليم ه السجود ه عميق ه لا لتعلق اللام لانعام ج للابتداء بالامر مع الفاء الفقير ه للعطف مع العدول والعتيق ه ذلك ق قد قيل لان المراد ذلك على ما ذكر أو الامر أو الشأن ذلك ثم يبتدأ بالشرط عندبه ط الزور ه لامشركين به ط سحيق ه ذلك ق القلوب ه العتيق ه الانعام ط أسلموا ط المخبتين ه لا لاتصال الوصف الصلاة ه ينفقون ج ه خبر ق والوصل أحسن للفاء صواف ج للشرط مع الفاء والمعتر ط تشكرون ه منكم ط هداكم ط المحسنين ه آمنوا ط كفور ه ظلموا ط لقدير ه لانا على ان الذين بدل من الضمير في نصرهم

عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن عمران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلكم قيل الله ورسوله أعلم فذكر نحوه الا أنه زاد وانه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وانكم بين ظهراني خليقتين لا يعاد لهما أحد من أهل الارض الا كثروهم يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكملة العدة من المنافقين **حدثني** يحيى بن أبي ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال لآدم أخرج بعث النار قال فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فلنا فان الناجي يا رسول الله قال أبشروا فان واحدا منكم وألفا من يأجوج ومأجوج ثم قال اني لاطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لاطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا وحمدنا الله ثم قال اني لاطمع أن تكونوا نصف أهل الجنة انما مثلكم في الناس كمثل الشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كمثل الشعرة السوداء في الثور الابيض **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لآدم يوم القيامة ثم ذكر نحوه **حدثني** عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحشر قال يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول ابعث بعثا الى النار ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم حتى الى عذاب الله شديد الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير فرجع بها صوته حتى ناب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وان معكم خليقتين ما كانتا في شيء قط الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن اسحق عن عمرو بن ميمون قال دخلت على ابن مسعود بيت المال فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذي نفسي بيده اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال فوالذي نفسي بيده اني لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان قلة المسلمين في الكفار يوم القيامة كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان زلزلة

ربنا الله ط كثيرا ه ينصره ط عزيز ه المذكر ط الامور ه * التغيير لما ذكر حال أحد الحصنين في الآخرة أراد أن يذكر حال الآخر وهو المؤمن ولهذا ألزم التكرار لأنه يغطن بهذه الآية فائدة أخرى هي بيان ان أهل الجنة يحلون فيها وقد مر مثله في أوائل الكهف من قرأ لؤلؤا بالنصب فعلى تقدير ويؤتون لؤلؤا لان السوار من اللؤلؤ غريب الا أن يكون شيأ منظوما منه وهدوا الى الطيب من القول عن ابن عباس هو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده لهم انهم بذلك وهدوا الى صراط الحميد أي الى طريق المتاهم المحمود وهو الجنة

ومن داناهم فقال ان الذين كفروا ويصدون انما حسن عطف المستقبل على الماضى لانه أراد به الاستمرار وانه من شأنهم الصد وكأنه قيل كفروا واستمروا على الصد وقال أبو على الفارسى كفروا فى الماضى وهم الآن يصدون عن ابن عباس انها نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معهم الحديبية عن أن يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدى ومن قرأ سواء بالنصب فعلى أنه مفعول ثان لجعلنا أى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد ومن قرأ بالرفع فعلى ان العاكف مبتدأ وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ويجوز أن يكون للناس مفعولا ثانيا أى جعلناه مستعبد الكل من وقع عليه اسم الناس وقوله سواء الى آخره الجملة بيان لذلك الجنس أى لا فرق بين الحاضر المقيم به وبين الطارئ من البدو واختلفوا فى أن المكى والآفاقى يستويان فى أى شئ فعن ابن عباس فى بعض الروايات انهما يستويان فى سكنى مكة والنزول بها الآية بناء على أن المراد بالمسجد الحرام مكة وللشافعى رضى الله عنه قول آخر وهو أن المراد بالمسجد الحرام مكة مباحة لمن سبق اليها والى هذا ذهب أبو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أيضا ولاجل ذلك زعموا ان كراء دور مكة حرام والاكثرون على انهما مستويان فى العبادة فى المسجد ليس للمقيم أن يمنع البادى وبالعكس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد مناف من ولى منكم من أمور الناس شيئا فلا يمنعن أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة

الساعة شئ عظيم قال هذا يوم القيامة والزلزلة مصدر من قول القائل زلزلت بفلان الارض أزلزله زلزلة وزلزالا بكسر الزاى من الزلزال كما قال الله اذا زلزلت الارض زلزالها وكذلك المصدر من كل سليم من الافعال اذا جاءت على فعلان فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسوسا فاذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوساوس وهو ما وسوس الى الانسان كما قال الشاعر

لعمرك الجاهل المغلل ان * الدهر فيه النكر والزلزال

وقوله تعالى ذكره يوم ترونها يقول جل ثناؤه يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت ويعنى بقوله تذهل تنسى وتترك من شدة كربها يقال ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا وهى قليلة والفصيح الفتح فى الهاء فاما فى المستقبل فالهاء مفتوحة فى اللغتين لم يسمع غير ذلك ومنه قول الشاعر

* صحا قلبه ياعز أو كان يذهل * فاما اذا أريد ان الهول أنساه وسلاه قلت أذهله هذا الامر عن كذا يذهله اذهالا وفى اثبات الهاء فى قوله كل مرضعة اختلاف بين أهل العربية وكان بعض نحوى الكوفيين يقول اذا أثبتت الهاء فى المرضعة فانما يراد أم الصبى المرضع واذا أسقطت فانه يراد المرأة التى معها صبى ترضعه لانه أريد الفعل بها قالوا ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مرضع قال وكذلك كل مفعل أو فاعل يكون للانثى ولا يكون للذكر فهو بغيرها نحو مقرب وموقن ومشدن وحامل وحائض * قال أبو جعفر وهذا القول عندى أولى بالصواب فى ذلك لان العرب من شأنها اسقاط هذا التأنيث من كل فاعل ومفعل اذا وصفوا المؤنث به ولو لم يكن للمذكر فيه حظ فاذا أرادوا الخبر عنها انها استفعلته ولم تفعله أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل منه قول الاعشى فيما هو واقع ولم يكن وقع قبل

أياجارتا بيتى فانك طالقه * كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وأما فيما هو صفة نحو قول امرئ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فالهيتها عن ذى تمائم محول

وربما أثبتوا الهاء فى الحالتين وربما أسقطوها فيهما غير ان الفصيح من كلامهم ما وصفت فتأويل الكلام اذا يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال تترك ولدها لا كرب الذى نزل بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن الحسن تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال ذهلت عن أولادها بغير طعام وتضع كل ذات حمل حملها قال ألقت الحوامل ما فى بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها وقوله وترى الناس سكارى قرأت قراء الامصار وترى الناس سكارى على وجه الخطاب للواحد كأنه قال وترى يا محمد الناس حينئذ سكارى وما هم بسكارى وقد روى عن أبى زرعة عن عمرو بن حريز وترى الناس بضم التاء ونصب الناس من قول القائل رويت ترى لتى تطلب الاسم والفعل كظن وأخواتها * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه * واختلف القراء فى قراءة قوله سكارى فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة سكارى وما هم بسكارى وقرأته عامة قراء أهل الكوفة وترى الناس سكرى وما هم بسكرى * والصواب من القول فى ذلك عندنا انهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب ومعنى الكلام

وأجارها وهو مذهب الشافعي وقد جرت المناظرة بينه وبين اسحق الحنظلي وكان اسحق لا يرخص في كراء دور مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وبان عمر اشترى دار السجن فسكت اسحق واما ذهب الاولون الى أن المراد بالمسجد الحرام ههنا مكة كلها لانه جعل العاكف فيه بازاء البادي أجاب الاكثرون بانه أراد بالعاكف المجاور للمسجد الممكن في كل وقت من التعبد فيه والالحاد العدول عن القصد كما مر في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه وقوله بالحاد بظلم حالان ومفعول يرد متروك ليفيد العموم أي ومن يرد فيه مرادا ما جائرا ظالما وفائدة الحال الثانية ان العدول عن القصد قد يكون بالحق كقوله وجزاء سيئة سيئة واختلفوا في الالحاد في الحرم فعن قتادة وسعيد بن جبير وابن عباس في رواية عطاء انه الشرك يعني من لجأ الى حرم الله ليشرك به عذبه الله وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن حنظلة حيث قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو العذاب الاليم وعن مجاهد انه الاحتكار وقيل المنع من عمارته وعن عطاء هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله ومثله ما روي عن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله والاولى التعميم وفيه ان الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في

وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سكارى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وما هم بسكارى قال ما هم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله شديد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال ما شربوا خمرا ولكن عذاب الله شديد وقوله ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله مع علمهم بشدة عذاب الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ذكر ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قال النضر بن الحرث ويعني بقوله من يجادل في الله بغير علم من يخاصم في الله فيزعم ان الله غير قادر على احياء من قد بلي وصار ترابا بغير علم يعلمه بل بجهل منه بما يقول ويتبع في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم كل شيطان مريد ﴿القول في تأويل قوله تعالى (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) يقول تعالى ذكره قضى على الشيطان فعني كتب ههنا قضى والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كتب عليه أنه من تولاه قال كتب على الشيطان أنه من اتبع الشيطان من خلق الله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كتب عليه أنه من تولاه قال اتبعه وقوله فانه يضله يقول فان الشيطان يضله يعني يضل من تولاه والهاء التي في يضله عائدة على من التي في قوله من تولاه وتأويل الكلام قضى على الشيطان انه يضل اتباعه ولا يهديهم الى الحق وقوله ويهديه الى عذاب السعير يقول ويسوق من اتبعه الى عذاب جهنم الموقدة وسياقه اياه اليه بدعائه اياه الى طاعته ومعصية الرحمن فذلك هدايته من تبعه الى عذاب جهنم ﴿القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم اتباعا منه للشيطان المريد وتنبيها له على موضع خطأ قيله وانكاره ما أنكر من قدرة ربه قال يا أيها الناس ان كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم أو بلائكم استعظاما منكم لذلك فان في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ثم انشائنا كم من نطفة آدم ثم تصريفنا كم أحوالا حالا بعد حال من نطفة الى علقة ثم من علقة الى مضغة لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به فتعلمون ان من قدر على ذلك فغير متعذر عليه اعادتكم بعد فنائكم كما كنتم احياء قبل الفناء * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة فقال بعضهم هي من صفة النطفة قال ومعنى ذلك فانا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة مخلقة وغير مخلقة قالوا فاما المخلقة فما كان خلقا سويا وأما غير مخلقة فما دفعته الارحام من النطف وألقته قبل أن يكون خلقا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن داود بن أبي هند عن عامر عن علقمة عن عبد الله قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة محتها الارحام دما وان قال مخلقة

مهامه ومقاصده وهذا وان كان واجبا في كل مكان الا أن وجوبه هناك أوكد فلما كان خاصية كالزمان ولهذا قال مجاهد تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات عن ابن مسعود ان القصد الى الذنب يكتب هناك

قال يارب فما صفة هذه النطفة أذكر أم أنثى مار زقها ما أجلها أشقى أو سعيد قال فيقال له انطلق الى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة قال فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتى على آخر صفتها وقال آخرون معنى ذلك تامة وغير تامة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال عن قتادة فى قول الله مخلقة وغير مخلقة قال تامة وغير تامة **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مخلقة وغير مخلقة فذكر مثله * وقال آخرون معنى ذلك المضغة مصورة انسانا وغير مصورة فاذا صورت فهى مخلقة واذا لم تصور فهى غير مخلقة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله مخلقة قال السقط مخلقة وغير مخلقة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مخلقة وغير مخلقة قال السقط مخلوق وغير مخلوق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر انه قال فى النطفة والمضغة اذا بيست فى الخلق الرابع كانت نسمة مخلقة واذا قدم فيها قبل ذلك فهى غير مخلقة قال **حدثنا** عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن أبى سلمة عن داود بن أبى هند عن أبى العالية مخلقة وغير مخلقة قال السقط * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال المخلقة المصورة خلقا تاما وغير مخلقة السقط قبل تمام خلقه لان المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا الا التصوير وذلك هو المراد بقوله مخلقة وغير مخلقة خلقا سويا وغير مخلقة بان تلقيه الام مضغة ولا تصور ولا ينفخ فيها الروح وقوله لنبين لكم يقول تعالى ذكره جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداء انا خلقكم وقوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره من كنا كتبنا له بقاء وحياة الى أمد وغاية فانا نقره فى رحم أمه الى وقته الذى جعلناه أن يمكث فى رحمها فلا تسقطه ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله فاذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذنا له بالخروج منها فيخرج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال التمام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى قال الاجل المسمى اقامته فى الرحم حتى يخرج وقوله ثم نخرجكم طفلا يقول تعالى ذكره ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم اذا بلغتم الاجل الذى قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا وحد الطفل وهو صفة للجميع لانه مصدر مثل عدو وزور وقوله ثم لتبلغوا أشدكم يقول ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم عمركم وقد ذكرت اختلاف المختلفين فى الاشد والصواب من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) يقول تعالى ذكره ومنكم أيها الناس من يتوفى من قبل أن يبلغ أشده فيموت ومنكم من ينسأ فى أجله فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده الى أرذل عمره وذلك الهرم حتى يعود كهيئته فى حال صباه لا يعقل من بعد عقله الاول شيأ

ذلك باوان لم يخرج الى الفعل وعنه لوان وجلا هم بان يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله تعالى عذابا أليما واعلم ان خبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه كانه قيل ان الذين كفروا ويصدون نذيقهم من عذاب أليم ومن يرد فى الحرم بالحاد فهو كذلك وحين انجر الكلام الى ذكر المسجد الحرام اتبعه ذكر الكعبة وبعض ما يتعلق به من المناسك فقال واذ بوأنا أى واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة ويروى ان موضع البيت كان مطموسا فبعث الله تعالى ريحا كنست ما حوله حتى ظهر اساسه القديم فبنى ابراهيم عليه وقد مر قصة ذلك فى البقرة وقيل بعث غمامة على قدر البيت الحرام فى العرض والطول وفيها رأس يتكلم وله لسان وعينان فقال يا ابراهيم ابن على قدرى فاخذ فى البناء وذهبت السحابة وان فى أن لا تشرك هى المفسرة وذلك ان المقصود من التوبة هو العبادة فكانه قيل تعبدنا لابراهيم قلنا له لا تشرك وطهر وقد مر مثله فى البقرة وانما قال ههنا والقائمين لان العاكف ذكر مرة فى قوله سواء العاكف والقائم اما بمعنى القيام فى الصلاة بدليل قوله والركع السجود أو بمعنى المقيم المتوطن والظاهر ان الخطاب فى وأذن لابراهيم أيضا أى نادى الناس وهو أن يقول حجوا أو عليكم بالحج يروى انه صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج الى القيامة الا وقد سمع ذلك النداء من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فمن أجاب مرة حج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر ولعل الفائدة فى قوله يأتوك هى هذه لان الاتيان الى مكة بسبب ندائه اتيان اليه وأيضا هو أول من حج وغيره يقتدى به وكأنه يأتيه وعن الحسن ومعنى وهو اختيار أكثر العلماء المعتزلة ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وانه معطوف على اذكر مقدرا ثم انه عام لجميع الناس أو خاص بمن حج

معه في حجة الوداع قولا ب وقيل انه ابتدأ فرض الحج والرجال المشاة واحده راجل وقوله وعلى كل ضامر حال آخر كأنه قيل رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول لطول السفر وياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع (٨٣) والفج الطريق الواسع وقد مر في السورة المتقدمة والعميق البعيد ومثله معيق وبه قرأ ابن مسعود وفي تقديم المشاة تشريف لهم روى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعمائة من حسنات الحرم قيل يارسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة قال جار الله ذكر المنافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لاتوجد في غيرها من العبادات وقد كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله تعالى لان المسلمين لا ينفكون عن التسمية اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على ان التسمية من الاغراض الاصلية المعتبرة بخلاف ما كان يفعله المشركون من الذبح للنصب وفي قوله على مارزقهم اشارة الى أن نفس القربان وتيسير ذلك العمل من نعم الله تعالى ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الانعام لم يكن شئ من هذه الفوائد والايام المعلومات عند أكثر العلماء عشر ذي الحجة الاول آخرها يوم النحر لانها معلومة عند الناس لحرصهم على أعمال الحج فيها ثم المنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وكذلك للذبح وقت بعينه وهو يوم النحر وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والحسن ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس

ومعنى الكلام ومنكم من يرد الى أرذل العمر بعد بلوغه أشده لكيلا يعلم من بعد علم كان يعلمه شيأ وقوله وترى الارض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع وأصل الهمود الدروس والدثور ويقال منه همدت الارض تهمد همودا ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس

قالت فتيكة ما لجسمك شاحبا * وأرى ثيابك باليات همدا

والهمد جمع هامد كالركع جمع راكع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وترى الارض هامدة قال لا نبات فيها وقوله فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا نحن أنزلنا على هذه الارض الهامدة التي لا نبات فيها المطر من السماء اهتزت يقول تحركت بالنبات وربت يقول وأضعفت النبات بمجيء الغيث * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اهتزت وربت قال عرف الغيث في ربوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اهتزت وربت قال حسنت وعرف الغيث في ربوها وكان بعضهم يقول معنى ذلك فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ويوجه المعنى الى الزرع وان كان الكلام مخرجه على الخبر عن الارض وقرأت قراء الامصار وربت بمعنى الربو الذي هو النماء والزيادة وكان أبو جعفر القارئ يقرأ ذلك وربأت بالهمز حدثت عن الفراء عن أبي عبد الله التميمي عنه وذلك غلط لانه لا وجه للربء ههنا وانما يقال ربأ بالهمز بمعنى حرس من الربيئة ولا معنى للعراسة في هذا الموضع والصحيح من القراءة ما عليه قراء الامصار وقوله وأنبتت من كل زوج بهيج يقول جل ثناؤه وأنبتت هذه الارض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج يعني بالبهيج البهيج وهو الحسن * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنبتت من كل زوج بهيج قال حسن حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هو الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده طفلا وكهلا وشيخا ماوتنبيهنا كم على فعلنا بالارض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث لتؤمنوا وتصدقوا بان ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحق لا شك فيه وان من سواه مما تعبدون من الاوثان والاصنام باطل لانها لا تقدر على فعل شئ من ذلك وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الاشياء العجيبة لا تتعذر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب وان فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شئ قادر لا يمتنع عليه شئ أراده ولتوقنوا بذلك ان الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة لا ريب فيها يقول لا شك في مجيئها وحدوثها وأن الله يبعث من في القبور حينئذ من فيها من الاموات أحياء الى موقف الحساب فلا تشكوا في ذلك ولا تمتروا فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وافراده بالالوهة بغير علم منه بما يخاصم به ولا هدى يقول وبغير بيان معه بما يقول ولا برهان ولا كتاب منير يقول وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول منير يقول ينير عن حجته وانما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا وذكر أنه عنى بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد الدار ۞ القول في تأويل

واختيار الشافعي وأبي حنيفة وعن ابن عباس في رواية أخرى انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده وهو اختيار أبي مسلم وقول أبي يوسف ومحمد وعلى الاول يكون قوله في أيام متعلقا بكلا الفعلين أعني ليشهدوا ويذكروا وعلى الثاني يختص تعلقه بالثاني ومعنى

بهيمة الانعام بهيمة من الانعام لان البهيمة تشمل كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز وقد مر في أول المائدة قال مقاتل اذا ذبحت فقل بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وتستقبل القبلة وزاد الكلبي ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين قال القفال كان المتقرب بها وبارافة دمائها متصورا بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بذل مهجته طلبا لمرضاة الله تعالى واعترافا بان تقصيره كاد يستحق مهجته أما قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فالبائس الذي أصابه بؤس أي شدة والفقير قدمر في آية الصدقات في التوبة وفي غيرها من الناس من قال الامر للوجوب لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون منها فامر المسلمون بمخالفتهم والاكثرون على ان الاكل ليس بواجب ثم منهم من قال يحسن ان يأكل النصف ويتصدق بالنصف رعاية للامرين ومنهم من قال يأكل الثلث ويتصدق بالثلثين لما يجيء من قوله وكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فجعلها على ثلاثة أقسام ومنهم من قال يأكل الثلث ويدخر الثلثين ويتصدق بالثلث لما جاء في الحديث من الامر بالادخار والاولى وهو مذهب الشافعي انه ان أطعم جميعها أجزأه وان أكل جميعها لم يجز له واذا تصدق باقل شئ من لحمها يكفي هذا اذا كان متطوعا وأما الواجبات كالنذور والكفارات وجبران النقصانات مثل دم القران ودم التمتع ودم الاساءة فلا يأكل منها لاهو ولا أغنياء الرفقة ولا فقراؤها لما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن ناجية الخزاعي قال قلت يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من البدن ومن قال انحرها ثم اغمس نعلها في دمها ثم خل بين الناس وبينها كانوا لها وقال أبو صالح عن ابن عباس في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ركوبها وأولادها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها وظهورها ومحلها الى أن تنحر هدايا بالغات الكعبة

قوله تعالى (ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) يقول تعالى ذكره يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بانه يثني عطفه وما المراد من وصفه اياه بذلك فقال بعضهم وصفه بذلك لتكبره وتجبره وذكر عن العرب انها تقول جاءني فلان ثاني عطفه اذا جاء متجبرا من الكبر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ثاني عطفه يقول مستكبرا في نفسه * وقال آخرون بل معنى ذلك لاوروقبته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثاني عطفه قال رقبته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ثاني عطفه قال لاوعنقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى اليه فلا يسمع له ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثاني عطفه يقول يعرض عن ذكري حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال لاو يا رأسه معرضا موليا لا يريد أن يسمع ما قيل له وقرأ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثاني عطفه قال يعرض عن الحق * قال أبو جعفر وهذه الاقوال الثلاثة متقاربات المعنى وذلك ان من كان ذا استكبار فمن شأنه الاعراض عما هو مستكبر عنه ولي عنقه والاعراض * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم انه من كبره اذا دعي الى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا وقوله ليضل عن سبيل الله يقول تعالى ذكره يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا يصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويسترلهم عنه له في الدنيا خزي يقول جل ثناؤه لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي وهو القتل والذل والمهانة بايدي المؤمنين فقتله الله بايديهم يوم بدر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج له في الدنيا خزي قال قتل يوم بدر وقوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق يقول تعالى ذكره ونحرقه يوم القيامة بالنار وقوله ذلك بما قدمت يداك يقول جل ثناؤه ويقال له اذا أذيق عذاب النار يوم القيامة هذا العذاب الذي نذيقكه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام واكتسبته فيها من الاجرام وأن الله ليس بظلام للعبيد يقول وفعلنا ذلك لان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بعض عبيده على جرم وهو يعفو مثله عن آخر غيره أو يحمل ذنب مذنب على غير مذنب فيعاقبه ويعفو عن صاحب الذنب ولكنه لا يعاقب أحدا الا على جرمه ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر الا بسبب استحق به منه مغفرته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) يعني جل ذكره بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فان نالوا رخاء من عيش بعدا لهجرة والدخول في الاسلام أقاموا على الاسلام والا ارتدوا على أعقابهم فقال الله

رفقتك قوله ثم ليقضوا تفثهم لا يبعد أن يكون معطوفا على ليشهدوا فان هذه الاعمال كلها غايات للاتيان الا أن اسكان هذه اللامات في بعض القراآت يدل على انها لام الامر وعلى هذا تكون هذه الاوامر الغائبة معطوفة على الامرين الحاضرين قبلها والله أعلم

ومن الناس من يعبد الله على شك فان أصابه خير اطمأن به وهو السعة من العيش وما شبهه من أسباب الدنيا طمأنه به يقول استقر بالاسلام وثبت عليه وان أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله انقلب على وجهه قال الفتنة البلاء كان أحدهم اذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة فان صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا الا خيرا وان أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الا شرا وذلك الفتنة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي بكر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قول الله ومن الناس من يعبد الله على حرف قال على شك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على حرف قال على شك فان أصابه خير رخاء وعافية اطمأن به استقر وان أصابته فتنة عذاب ومصيبة انقلب ارتد على وجهه كافرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج كان ناس من قبائل العرب ومن حولهم من أهل القرى يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فان صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه والا لحقنا بأهلنا **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من يعبد الله على حرف قال شك فان أصابه خير يقول كثر ماله وكثرت ماشيته اطمأن وقال لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته الا خيرا وان أصابته فتنة يقول وان ذهب ماله وذهبت ماشيته انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية كان ناس من قبائل العرب ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه فان صادفنا خيرا ثبتنا معه والا لحقنا بمنازلنا وأهلينا وكانوا يأتونه فيقولون نحن على دينك فان أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين صدق وان تأخر عنهم الرزق وأزلفت خيولهم وولدت نساؤهم البنات قالوا هذا دين سوء فانقلبوا على وجوههم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خيرا طمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال هذا المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه واذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أوضيق ترك دينه ورجع الى الكفر وقوله خسر الدنيا والآخرة يقول فخبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه لانه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة يقول وخسر الآخرة لانه معذب فيها بنار الله الموقدة وقوله ذلك هو الخسران المبين يقول وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران يعني الهلاك المبين يقول يبين لمن فكر فيه وتدبره انه قد خسر الدنيا والآخرة * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار جميعا غير جميد الاعرج خسر الدنيا والآخرة على وجه المضي وقرأه جميد الاعرج خاسرا نصبا على الحال على مثال فاعل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال

قال أبو عبيدة لم يجئ في الشعر ما يحتج به في معنى التفث وقال الزجاج ان أهل اللغة لا يعرفون التفث الا من التفسير وقال القفال قال نفطويه سألت اعرابيا فصيحا ما معنى قوله ثم ليقضوا تفثهم فقال ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك ثم زعم القفال ان هذا أولى من قول الزجاج لان المثبت أولى من النافي وقال المبرد أصل التفث في كلام العرب كل قاذورة تلحق الانسان فيجب عليه نقضها وأجمع أهل التفسير على أن المراد ههنا ازالة الاوساخ والزوائد كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة فتقدير الآية ثم ليقضوا ازالة تفثهم وليوفوا نذورهم أي الاعمال التي أوجبها الحج بالشروع فيه أو أعمال البر التي أوجبوها على أنفسهم بالنذر فان الرجل اذا حج أو اعتمر فقد وجب على نفسه من الهدي وغيره ما ولا يجابه لم يكن الحج يقتضيه وليطوفوا هو طواف الافاضة والزيارة التي هي ركن وقد شرحت حاله في البقرة في قوله فاذا أفضتم من عرفات وقيل هو طواف الوداع والصدر سمي بالبيت العتيق لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وقال قتادة لانه أعتق من تسلط الجبابرة عليه وهو قول ابن عباس وابن الزبير ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

ابن عيينة لانه لم يملك قط وعن مجاهد لانه أعتق من الغرق أيام الطوفان وقيل معناه البيت الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والخزمة ما لا يحل هتكه وجميع التكاليف بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ويحتمل أن يراد ههنا ما يتعلق بالحج عن زيد بن أسلم ان المحرمات

البعيد) يقول تعالى ذكره وان أصابت هذا الذى يعبد الله على حرف فتنة ارتد عن دين الله يدعو من دون الله آلهة لا تضره ان لم يعبدها فى الدنيا ولا تنفعه فى الآخرة ان عبدها ذلك هو الضلال البعيد يقول ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الاخذ على غير استقامة والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه يكفر بعد ايمانه ذلك هو الضلال البعيد ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) يقول تعالى ذكره يدعو هذا المنقلب على وجهه من ان أصابته فتنة آلهة اضرها فى الآخرة له أقرب وأسرع اليه من نفعها وذكر ان ابن مسعود كان يقرأه يدعو من ضره أقرب من نفعه * واختلف أهل العربية فى موضع من فكان بعض نحوى البصرة يقول موضعه نصب بيدعو ويقول معناه يدعو آلهة ضرها أقرب من نفعها ويقول هو شاذ لانه لم يوجد فى الكلام يدعو لزيد او كان بعض نحوى الكوفة يقول اللام من صلة ما بعد من كأن معنى الكلام عنده يدعو من لضره أقرب من نفعه وحكى عن العرب سمعا منها عندى لما غيره خير منه بمعنى عندى ما لغيره خير منه وأعطيتك لما غيره خير منه لان من اذا كانت جزاء فانما يعرب ما بعدها واللام الثانية فى لبئس المولى جواب اللام الاولى وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح والاول الى مذهب أهل التاويل أقرب وقوله لبئس المولى يقول لبئس ابن العم هذا الذى يعبد الله على حرف ولبئس العشير يقول ولبئس الخليط المعاشر والصاحب هو كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولبئس العشير قال العشير هو المعاشر الصاحب وقد قيل عنى بالمولى فى هذا الموضع الولى الناصر وكان مجاهد يقول عنى بقوله لبئس المولى ولبئس العشير الوثن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولبئس العشير قال الوثن ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) يقول تعالى ذكره ان الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله فى الدنيا وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعنى بساتين تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى الانهار من تحت أشجارها ان الله يفعل ما يريد فيعطى ما شاء من كرامته أهل طاعته وما شاء من الهوان أهل معصيته ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) * اختلف أهل التاويل فى المعنى بالهاء التى فى قوله أن لن ينصره الله فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم فتاويله على قول بعض قائلى ذلك من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمدا فى الدنيا والآخرة فليمدد بحبل وهو السبب الى السماء يعنى سماء البيت وهو سقفه ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ يقول هل يذهبن ذلك ما يجد فى صدره من الغيظ ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر بن على قال ثنى أبى قال ثنى خالد بن قيس عن قتادة من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت فليختنق به فلينظر هل يذهبن

خص الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وتعظيمها العلم بوجوبها والقيام بحقوقها وقوله فهو خير أى فالتعظيم له خير من التهاون بذلك وقوله عند ربه اشارة الى أن ثوابه مدخر لاجله قوله وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم قدم فى أول المائدة مثله أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وهى حرمت عليكم الميتة أو قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم أو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وحين حث على تعظيم الحرمات اتبعه الامر بما هو أعظم أنواعها وأقدم أصنافها قائلا فاجتنبوا الرجس وبينه بقوله من الاوثان أى الرجس الذى هو الاوثان كقولك عندى عشرون من الدراهم والرجس العمل القبيح فى الغاية وقدم فى آخر المائدة فى تفسير قوله رجس من عمل الشيطان والزور من الزور والميل والاضافة كقولهم وجل صدق جمع بين قول الزور وبين الشرك لان عبادة الاوثان هى رأس الزور وملاكه قال الاصم وصف الاوثان بانها رجس لان عادتهم فى القرابين أن يتعمدوا سقوط الدماء عليها والاقرب انها وصفت بذلك لان عبادتها فعلة منماديه فى القبح والسماجة وللمفسرين فى قول الزور وجوه منها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها انه شهادة الزور ورفعوا هذا التفسير الى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان ومنها انه قول أهل الجاهلية فى الطواف لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقوله حنفاء لله غير مشركين به حالان مؤكدان والمراد الاخلاص فى التوحيد كقوله حنيفا ولم يك من المشركين وفائدة الحالين هى فائدة التولى والتبرى وانما أخر نفى الاشراك وان كان مقدما فى الرتبة اذا التخلية والتبرئة مقدمة على التحلية والتولية ليترتب عليه قوله ومن يشرك بالله الآية قال جار الله

كيده

ان كان تشبيها مركبا فمعناه من أشرك بالله فقد أهلك نفسه غاية الاهلاك وذلك بان صور نفسه بصورة من خر من السماء فاختطفته أى استلبته الطير فتفرق مزعا أى قطعا من اللحم فى حواصلها أو بحال من خر فعصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطارح السحيقة البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى تركه فاشرك فقد سقط منها والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة وفى المثل الآخر شبهه الشيطان الذى يطرح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بالاشياء فى المهاوى المتلفة وتعظيم شعائر الله وهى الهدايا كامر فى أول المائدة هى أن يختارها عظام الاجرام غالية الاثمان وقد مر وصفها الشرعى فى البقرة فى قوله فما استيسر من الهدى وقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب قال فى الكشاف فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وأقول فى هذا الوجوب نظر لانه ليس بشرعى ولا بعقلى على ما تزعم المعتزلة أما المضاف الاول فلانه يحتمل أن يعود الضمير الى التعظيم بمعنى الخلة وأما الآخران فلان من للعموم فلا يلزم أن يقدر لفظة منه أو فاعل التعظيم موحدين حتى لا يطابقها لفظ القلوب بل يحتمل أن يقدر لفظة منهم أو يقدر فان تعظيمهم اياها فيرجع الكلام الى قولنا ومن يعظم شعائر الله فان تلك الخلة منهم من تقوى القلوب أى ناشئة من تقوى قلوبهم فان القلوب مراكز التقوى التى منها عيارها وعليها مدارها ولا عبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونها ثم كان لسائل أن يسأل ما بال هذه الحيوانات تذبح فيتقرب بها الى الله تعالى فلهذا قال لكم فيها منافع يعنى الدنيوية من الدر وركوب الظهر وسيشير الى الدينية بقوله

كيده مايغيظ **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فليمدد بسبب يقول بحبل الى سماء البيت ثم ليقطع يقول ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده مايغيظ **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه * وقال آخرون ممن قال الهاء فى ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التى ذكرت فى هذا الموضع هى السماء المعروفة قالوا معنى الكلام **ماحدثنى** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فقرأ حتى بلغ هل يذهبن كيده مايغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم و يكايد هذا الامر ليقطعه عنه ومنه فليقطع ذلك من أجله من حيث يأتيه فان أصله فى السماء فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن النبى صلى الله عليه وسلم الوحى الذى يأتيه من الله فانه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه فكايد ذلك حتى قطع أصله عنه فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ما دخلهم من ذلك وغاظهم الله به من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ومايتزل عليه * وقال آخرون ممن قال الهاء التى فى قوله ينصره من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر ههنا الرزق فعلى قول هؤلاء تاويل الكلام من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا فى الدنيا ولن يعطيه وذكروا سماعا من العرب من ينصرنى نصره بمعنى من يعطنى أعطاه الله وحكوا أيضا سماعا منهم نصر المطر أرض كذا اذا جادها وأحياها واستشهد لذلك ببيت الفقعسى

وانك لا تعطى امرأ فوق حظه * ولا تمنك الشق الذى الغيث ناصره

ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ قال من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليربط حبلا فى سقف ثم ليختنق به حتى يموت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التيمى قال سألت ابن عباس عن قوله من كان يظن أن لن ينصر الله قال أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء والسبب الحبل والسماء سقف البيت فليعلق حبلا فى سماء البيت ثم ليختنق هل يذهبن كيده هذا الذى صنع مايجد من الغيظ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن مطرف عن أبى اسحق عن رجل من بنى تميم عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت التيمى يقول سألت ابن عباس فذكر مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة الى قوله مايغيظ قال السماء التى أمر الله أن يمد اليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد اليه بحبل فيختنق به قال فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ اذا اختنق ان خشى أن لا ينصره الله * وقال آخرون الهاء فى ينصره من ذكر من وقالوا معنى الكلام من كان يظن أن لن يرزقه الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى سماء البيت ثم ليختنق فلينظر هل يذهبن فعله ذلك مايغيظ انه لا يرزق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن لن ينصره الله قال يرزقه الله فليمدد بسبب قال بحبل الى

لكم فيها خير ولهذا أطلق ذلك وقيده بقوله الى أجل مسمى وهو أوان النحر ثم بين ان وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها أو مكان نحرها منته الى البيت أو الى ما يجاوره ويقرب منه وهو الحرم كما مر في قوله هديا بالغ الكعبة ومثله قوله بلغا البلد اذا شارفوه واتصل مسيرهم بحدوده قال العقال هذا انما يختص بالهدايا التي بلغت مني فاما اذا أعطبت قبل بلوغ مكة فان محلها هو موضعها روى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو في جهاد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها فقال يا رسول الله انها هدى فقال اركبها ويلك وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال اركبوا الهدى بالمعروف حتى تجدوا ظهرا وهذا هو الذي اختاره الشافعي وعن أبي حنيفة انه لا يجوز الانتفاع بها لانه لا يجوز اجارتها ولو كان مالكا لمنافعها لملك عقد الاجارة عليها وضعف بان أم الولد لا يمكنه بيعها ويمكنه الانتفاع بها ومن ذهب الى هذا القول من فسر الاجل المسمى بوقت تسميتها هديا والمراد ان لكم أن تنتفعوا بهذه الانعام الى أن تسموها أضحية وهديا فاذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها وقد ينسب هذا القول الى ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والضحاك أجاب الاولون بان الضمير في قوله لكم فيها منافع عائد الى الشعائر وتسمية ما سيجعل شعيرة مجاز والاصل عدمه قال في الكشاف ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافع وأبعدها موطنا في النفع محلها منتهية الى البيت ومنهم من فسر الشعائر بالمناسك كلها وفسر الاجل المسمى بأوان انقطاع التكليف وزيفه جاز الله بان محلها الى البيت يأباه ثم بين ان القرابين في الشرائع القديمة وان اختلفت أمكنتها وأوقاتها فقال ولكل أمة جعلنا منسكا موضعا أو وقتا يذبح فيه

السماء سماء ما فوقك ثم ليقطع ليختنق هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله من كان يظن أن لن ينصره الله يرزقه الله فليمدد بسبب الى السماء قال بحبل الى السماء قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال الى السماء الى سماء البيت قال ابن جريج وقال مجاهد ثم ليقطع قال ليختنق وذلك كيده ما يغيظ قال ذلك خنقه أن لا يرزقه الله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فليمدد بسبب يعني بحبل الى السماء يعني سماء البيت **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء قال سئل عكرمة عن قوله فليمدد بسبب الى السماء قال سماء البيت ثم ليقطع قال يختنق * وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك ان الله تعالى ذكره ذكر قوما يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين ان أصابوا خيرا في عباداتهم اياه وانهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ثم اتبع ذلك هذه الآية فعلوم انه انما اتبعه اياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه ونفاقهم استبطاء منهم السبعة في العيش أو السبوغ في الرزق واذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم فمعنى الكلام اذا كان ذلك كذلك من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدين فيوسع عليهم من فضله فيهاو يرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم فليمدد بحبل الى سماء فوقه اما سقف بيت أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق اذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستجعل انكشاف ذلك عنه فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ فان لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله من ذلك عن ميقاته ولا يعجله قبل حينه وقد ذكر ان هذه الآية نزلت في أسد وغطفان تباطؤا عن الاسلام وقالوا نخاف ان لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم فينقطع الذي بيننا و بين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يرفوننا فقال الله تبارك وتعالى لهم من استعجل من الله نصر محمد فليمدد بسبب الى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل يذهبن ذلك ما يغيظه فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه * واختلف أهل العربية في ما التي في قوله ما يغيظ فقال بعض نحوي البصرة بمعنى الذي وقال معنى الكلام هل يذهبن كيده الذي يغيظه قال وحذفت الهاء لانها صلة الذي لانه اذا صار اجميعا اسما واحدا كان الحذف أخف وقال غيره بل هو مصدر لا حاجة به الى الهاء هل يذهبن كيده غيظه وقوله وكذلك أنزلناه آيات بينات يقول تعالى ذكره وكما بينت لكم حجتي على من جحد قدرتي على احياء من مات من الخلق بعد فنائه فاوضحتها أيها الناس كذلك أنزلنا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بينات يعني دلالات واضحات يهدي من أراد الله هدايته الى الحق وأن الله يهدي من يريد يقول جل ثناؤه ولان الله يوفق للصواب وليسبيل الحق من أراد أنزل هذا القرآن آيات بينات فان في موضع نصب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد) يقول تعالى ذكره ان الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف والذين أشركوا بالله فعبدوا الاوثان والاصنام والذين هادوا هم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها و بين الذين آمنوا بالله ورسله الى الله وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم ادخاله النار الاحزاب كلهم والجنة المؤمنين به

النسائك الذبائح بكسر السين سماع وفتحها قياس ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى النسك والمراد شرعنا لكل أمة من الامم السالفة من زمن ابراهيم الى من قبله وبعده أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على جهة التقرب وجعل الغاية فى ذلك هى أن يذكر اسمه على نحرها ثم بين العلة فى تخصيص اسمه بذلك قائلا فالهكم اله واحد لان تفرده بالالهية يقتضى أن لا يذكر على الذبائح الا اسمه ويجوز أن يتعلق هذا الكلام بأول الآية والمعنى انما اختلفت التكاليف باختلاف الازمنة والاشخاص لاختلاف المصالح لا لتعدد الاله ثم ذكر ان تفرده بالالهية يقتضى اختصاصه بالطاعة قائلا فله أسلموا أى خصوه بالانقياد الكلى والامتثال لاوامره ونواهيه نالصا لوجهه من غير شائبة اشراك ثم أمر نبيه عليه السلام بتبشير المخبتين وفسرهم بقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والتركيب يدور على التواضع والخشوع ومنه الخبت للمطمئن من الارض وعن عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال الكلبى هم المجتهدون فى العبادة ثم عطف على المخبتين قوله والصابرين على ما أصابهم أى من المكاره فى ذات الله كالامراض والمحن فاما الذى يصيبهم من قبل الظلمة فقد قال العلماء انه لا يجب الصبر عليه ولكن لو أمكنه الدفع وجب دفعه ولو بالقتال ثم خص من أنواع التكاليف التى تشق على النفس وتكرهها نوعين هما أشرف العبادات البدنية والمالية أعنى الصلاة والزكاة وقوله ومما رزقناهم عطف على المقيمى الصلاة من حيث المعنى كانه قيل والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ثم عاد الى تعظيم منال الضحايا مرة أخرى وخص منها العظام الجسام بقوله والبدن جعلناها هى بضم الدال وسكونها جمع بدنة وهى الابل خاصة لعظم بدنها الا أن الشارع الحق

به و برسله فذلك هو الفصل من الله بينهم وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا قال الصابئون قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران والذين أشركوا يعبدون الاوثان والاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن وأدخلت ان فى خبران الاولى لما ذكرت من المعنى وان الكلام بمعنى الجزاء كانه قيل من كان على دين من هذه الاديان ففصل مابينه و بين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا فى خبران اذا كان خبر الاسم الاول فى اسم مضاف الى ذكره فتقول ان عبد الله ان الخير عنده لكثير كما قال الشاعر

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

وكان الفراء يقول من قال هذا لم يقل انك قائم ولا ان أباك قائم لان الاسمين قد اختلفا فحسن رفض الاولى وجعل الثانى كانه هو المبتدأ فحسن للاختلاف وقع بالاتفاق ٧ وقوله ان الله على كل شئ شهيد يقول ان الله على كل شئ من أعمال هؤلاء الاصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه وغير ذلك من الاشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر بقلبك فتعلم أن الله يسجد له من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق من الجن وغيرهم والشمس والقمر والنجوم فى السماء والجبال والشجر والدواب فى الارض وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول اذا تحول ظل كل شئ فهو سجود كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال ظلال هذا كله وأما سجود الشمس والقمر والنجوم فانه كما حدثنا به ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف قال سمعت أبا العالية الرياحى يقول ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين وزاد محمد حتى يرجع الى مطلعه وقوله وكثير من الناس يقول ويسجد كثير من بنى آدم وهم المؤمنون بالله منهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير من الناس قال المؤمنون وقوله وكثير حق عليه العذاب يقول تعالى ذكره وكثير من بنى آدم حق عليه عذاب الله فوجب عليه بكفره به وهو مع ذلك يسجد لله ظله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكثير حق عليه العذاب وهو يسجد مع ظله فعلى هذا التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد وقع قوله وكثير حق عليه العذاب بالعطف على قوله وكثير من الناس ويكون داخلا فى عداد من وصفه الله بالسجود له ويكون قوله حق عليه العذاب من صلة كثير ولو كان الكثير الثانى ممن لم يدخل فى عداد من وصف بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله حق عليه العذاب وكان معنى الكلام حينئذ وكثير أبى السجود لان قوله حق عليه العذاب يدل على معصية الله وإبائه السجود فاستحق بذلك العذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) يقول تعالى ذكره ومن يهنه الله من خلقه فيشقه فما له من مكرم بالسعادة يسعده بها لان الامور كلها بيد الله يوفق من يشاء لطاعته و يخذل من يشاء و يشقى من أراد و يسعد من أحب وقوله ان الله يفعل ما يشاء يقول تعالى ذكره ان الله يفعل فى خلقه ما يشاء من اهانة من أراد اهانته

البقرة بها حكما قال أبو حنيفة ومحمد لو قال على بدنة يجوز له نحرها فى غير مكة وقال أبو يوسف لا يجوز الا بمكة بناء على ان البدنة مختصة بتلك أو بقرة تذبح هنالك واتفقوا فيما اذا نذر هديا انه يجب ذبحه بمكة وفيما اذا نذر جزورا انه يذبحه حيث شاء وانتصب قوله والبدن بفعل يفسره ما بعده ومعنى جعلها من شعائر الله انها من أعلام الشريعة التى شرعها الله عن بعض السلف انه لما ملك الاثنى عشر دينارا نير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير أى ثواب فى الآخرة كما ذكرنا وبعضهم لم يفرق بين الاثنين فحمل كلا منهما على خير الدنيا والآخرة والانسب ما فسرناه حذرا من التكرار ما أمكن ومعنى صواف قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ولعل السر فيه تكثير سوادها للناظرين وتقوية قلوب المحتاجين فاذا وجبت جنوبها أى سقطت على الارض من وجبت الحائط وجبة سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى اذا زهق روحها حل لكم الاكل منها واطعام القانع والمعترفالقانع السائل والمعترالذى لا يسأل تعففا وقيل بالعكس فهما من الاضداد كان القانع قنع بالسؤال أو قنع بما قسم له فلا يسأل والمعترض بعره أى عيبه فلا يسأل أو يسئل ثم من على عباده بان سخر لهم البدن أن يحتبسوها صافة قوائمها مطعونا فى لباتها مثل التسخير الذى شاهدوا وعلموا يأخذ بخطامها صبى فيقودها الى حيث يشاء وليست بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر جرما وأقل قوة ولو لا انه سبحانه سخرها روى ان أهل الجاهلية كانوا يلطخون الاوثان وحيطان الكعبة بلحوم القرابين ودمائها فبين الله تعالى ما هو المقصود منها فقال الله تعالى لن ينال الله أى لن يصيب رضا ربهم اللحوم والدماء المهراقة بمجرد الذبح والتصدق ولكن يناله التقوى منكم بان يكون القربان حلالا روعى فيها جهات الاجزاء منم

واكرام من أراد كرامته لان الخلق خلقه والامر أمره لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر عن بعضهم انه قرأه فماله من مكرم بمعنى فماله من اكرام وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق)

* اختلف أهل التاويل فى المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله فقال بعضهم أحد الفريقين أهل الايمان والفريق الآخر عبدة الاوثان من مشركى قريش الذين تبارزوا يوم بدر ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة قال وقال على انى لاول أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدى الله تبارك وتعالى **حدثنا** على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم بالله قسما لنزلت هذه الآية فى ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة هذان خصمان اختصموا فى ربهم الى آخر الآية ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف قال نزلت هذه الآية فى الذين تبارزوا يوم بدر هذان خصمان اختصموا فى ربهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هؤلاء الآيات هذان خصمان اختصموا فى ربهم فى الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة الى قوله وهدوا الى صراط الحميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال والله لانزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم فى الذين خرج بعضهم الى بعض يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة وحمزة الله عليهم وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة * وقال آخرون ممن قال أحد الفريقين فريق الايمان بل الفريق الآخر أهل الكتاب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم أهل الكتاب قالوا اللهم انين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب فانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا وكان ذلك خصومتهم فى ربهم وقال آخرون منهم بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أى ملة كانوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا أبو عميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء بن أبى رباح وأبى قزعة عن الحسين قال هم الكافرون والمؤمنون اختصموا فى ربهم قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل الكافر والمؤمن قال ابن جريج خصومتهم التى اختصموا فى ربهم خصومتهم فى الدين ما بين اهل كل دين يرون انهم أولى بالله من غيرهم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال كان عاصم والكلبى يقولان جميعا فى هذان خصمان اختصموا فى

يصرف فيما أمر بذكر منه التسخير وان الغاية تكبير الله على الهداية للاعلام دينه ومناسك حجه وصورة التكبير وما يتعلق بها قد سبق في البقرة في آية الصيام قالت المعتزلة لما لم ينتفع المكلف بالاجسام التي هي اللحوم والدماء وانتفع بتقواه وجب أن تكون التقوى فعلا له والا كان بمنزلة الاجسام وأيضا انه قد شرط التقوى في قبول العمل وصاحب الكبيرة غير متق فوجب أن لا يقبل عمله والجواب انه لا يلزم من عدم انتفاعه ببعض ما ليس من أفعاله أن لا ينتفع بكل ما ليس من أفعاله وأيضا ان صاحب الكبائر اتقى الشرك فيصدق عليه انه متق وبشر المحسنين الى أنفسهم بتوفير الثواب عليها والاحسان بالحقيقة أن تعبد الله كأنك تراه وفيه ترغيب لما شرط من رعاية الاخلاص في القربات وغيرها وحين فرغ من تعداد بعض مناسك الحج ومنافعه وكان الكلام قد انجر الى ذكر الكفار وصدهم عن المسجد الحرام اتبعه بيان ما نزل ذلك الصد ويمكن من الحج وزيارة البيت فقال ان الله يدفع ومن قرأ يدافع فعناه يبالغ في الدفع عن الذين آمنوا فعل الغالب والمدفوع وهو بأس المشركين وما كانوا يخونون الله ورسوله فيه دليل عليه تعليله بقوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أي انه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته قال مقاتل أقروا بالصانع وبعبده وغيره فأي خيانة أعظم من هذا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقون من المشركين أذى شديدا وكانوا يلقونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فنزل اذن وفاعله الله سبحانه أم لم يسم والمأذون فيه القتال بدليل قوله الذين يقاتلون ان فتح التاء فظاهر لان المشركين كانوا يقاتلون المؤمنين وانهم يؤمرون بالصبر وان كسرت فعناه أذن للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل نزل حرصهم على القتال منزلة نفس القتال بانهم طلبوا أي بسبب كونهم مظلومين وهي أول

رجهم قال أهل الشرك والاسلام حين اختصموا أيهم أفضل قال جعلا الشرك ملة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال مثل المؤمن والكافر اختصامهما في البعث * وقال آخرون الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية الجنة والنار ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة في هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقني الله لرحمته فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين وانما قلت ذلك أولى بالصواب لانه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعته له بالسجود له والآخر أهل معصيته له قد حق عليه العذاب فقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ثم اتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال الله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما فان قال قائل فما أنت قائل فيما روى عن أبي ذر في قوله ان ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر قيل ذلك ان شاء الله كما روى عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الاسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب وهذه من تلك وذلك ان الذين تبارزوا انما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله والآخر أهل ايمان بالله وطاعة له فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لاهل الايمان خصم وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الايمان منهما في أنه لاهل الشرك خصم فتأويل الكلام هذان خصمان اختصموا في ربهم واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته اياه على دينه وقوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يقول تعالى ذكره فاما الكافر بالله منهما فانه يقطع له قميص من نحاس من نار كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال الكافر قطعت له ثياب من نار والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الانهار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال ثياب من نحاس وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرا منه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكفار قطعت لهم ثياب من نار والمؤمن يدخل جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم يقول يصب على رؤسهم ماء مغلي كما **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهي الصهر ثم يعاد كما كان **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا عمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا سعيد ابن زيد عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله الا أنه قال فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جنبه فيسلت ما في جوفه وكان بعضهم يزعم ان قوله ولهم مقامع من حديد من المؤخر الذي معناه التقديم ويقول وجه الكلام فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ولهم

آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم وفي قوله ان الله يدافع ثم في قوله وان الله على نصرهم لقدير عدة كاملة باعلاء هذا الدين واظهار دوبه على أهل الاديان كلهم كما تقول لغيرك ان أطعمتني فانا قادر على مجازاتك لا تريد مجرد اثبات القدرة بل تريد انك ستفعل ذلك ثم وصف ذلك الظلم بان الموعودين بالنصر بقوله الذين أخرجوا من ديارهم ومحل أن يقولوا ربنا الله الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي يوجب الاقرار والتمكين لا الاخراج والازعاج نظيره هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ولولا دفع الله الناس قد مر في أواخر البقرة وللمفسرين فيه عبارات قال الكلبي يدفع بالنبيين عن المؤمنين وبالمجاهدين عن القاعدين وعن ابن عباس يدفع بالحسن عن المسيء وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه ثم تلا هذه الآية وقال الضحاك يدفع بدين الاسلام وأهله عن أهل الذمة وقال مجاهد يدفع عن الحقوق بالشهود وعن الفروض بالقصاص أما الصوامع والبيع والصلوات فعن الحسن انها كلها أسماء المساجد فقد يتخذ المسلم لنفسه صومعة لاجل العبادة قال الجوهري الاصمع الصغير الاذن ويقال أتانا بثريدة صمعة اذا رققت وحددت رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها رقيقة الرأس وقد تطلق البيعة على المسجد للتشبيه وكذا الصلوات وسميت كنيسة اليهود صلاة لانها يصلى فيها ويحتمل أن يراد مكان الصلوات أو يراد الصلاة الشرعية نفسها وصح ايقاع الهدم عليها نظرا الى قرائنها كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * وان كان الرمح لا يتقلد هذا كله توجيه تعالى

مقامع من حديد يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقول انما وجب أن يكون ذلك كذلك لان الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى تثقب رأسه ثم يصب فيها الحميم الذي انتهى حره فيقطع بطنه والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا يدل على خلاف ما قال هذا القائل وذلك انه صلى الله عليه وسلم أخبر ان الحميم اذا صب على رؤسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص الى أجوافهم وبذلك جاء تاويل أهل التأويل ولو كانت المقامع قد تثقب رؤسهم قبل صب الحميم عليها لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم ان الحميم ينفذ الجمجمة معنى ولكن الامر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل وقوله يصهر به ما في بطونهم والجلود يقول يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم وتشوى جلودهم منه فتتساقط والصهر والاذابة يقال منه صهرت الالية بالنار اذا أذبتها أصهرها صهرا ومنه قول الشاعر

يروى لذي الفي في صفصف * تصهره الشمس ولا ينصهر

ومنه قول الآخر * شك السفافيد سوء المصطهر * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يصهر به أقال يذاب اذابة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج يصهر به قال ما قطع لهم من العذاب **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة يصهر به ما في بطونهم قال يذاب به ما في بطونهم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار الى قوله يصهر به ما في بطونهم والجلود يقول يسقون ما اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر وهرون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال هرون اذا عام أهل النار وقال جعفر اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فيأكلون منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرف فيهم يعرف جلود وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثوا فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم انشوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود يصهر به ما في بطونهم يعني أمعاءهم وتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالويل والثبور وقوله ولهم مقامع من حديد تضرب رؤسهم بها الخزنة اذا أرادوا الخروج من النار حتى ترجعهم اليها وقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها يقول كلما أرادهؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار مما نالهم من الغم والكرب ردوا اليها كما **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الاعمش عن أبي ظبيان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تحس ٧ جهنم فتلقي من فيها الى أعلى أبوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ويقولون لهم اذا ضربوهم بالمقامع ذوقوا عذاب الحريق وعنى بقوله ذوقوا عذاب الحريق ويقال لهم ذوقوا عذاب النار وقيل عذاب الحريق والمعنى المحرقة كما قيل العذاب الاليم بمعنى المؤلم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) يقول

تفسير الحسن والاكثرون على انها معبدات مختلفة فعن أبي العالية ان الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد

تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فاطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الاعمال فان الله يدخلهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار فيحليهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولؤلؤا فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التى فى الملائكة بمعنى يحلون فيها أساور ومن ذهب ولؤلؤا عطفا باللؤلؤ على موضع الاساور لان الاساور وان كانت مخفوضة من أجل من فيها فانها بمعنى النصب قالوا وهى فى خط المصحف بالالف فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصرين ولؤلؤ خفضا عطفا على اعراب الاساور الظاهر * واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك فى وجه اثبات الالف فيه فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه يقول أثبتت فيه كما أثبتت فى قالوا وكالوا وكان الكسائى يقول أثبتوها منه للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف والقول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متفقتا المعنى صحيحتا المخرج فى العربية فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ولباسهم فيها حرير يقول ولبوسهم التى تلى أبشارهم فيها ثياب حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول يقول تعالى ذكره وهداهم ربهم فى الدنيا الى شهادة أن لا اله الا الله كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهدوا الى الطيب من القول قال هدوا الى الكلام الطيب لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه **حدثنا** على قال ألهموا وقوله وهدوا الى صراط الحميد يقول جل ثناؤه وهداهم ربهم فى الدنيا الى طريق الرب الحميد وطريقه دينه دين الاسلام الذى شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه والحميد فعيل صرف من مفعول اليه ومعناه انه محمود عند أوليائه من خلقه ثم صرف من محمود الى حميد ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه وعن المسجد الحرام الذى جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعض دون بعض سواء العاكف فيه والباد يقول معتدل فى الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام وقضاء نسكه به والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه وهو المقيم به والباد وهو المنتاب اليه من غيره * واختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معناه سواء العاكف فيه وهو المقيم فيه والباد فى أنه ليس أحدهما أحق بالمنزل فيه من الآخر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن يزيد بن أبى زياد عن ابن سابط قال كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان الرجل اذا وجد سعة نزل فغشاهم السرق وكل انسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل بابا فارسل اليه عمر لتتخذن بابا من حجاج بيت الله فقال لا انما جعلته لبعير رمتاعهم وهو قوله سواء العاكف فيه والباد قال الباد فيه كالمقيم ليس أحد أحق بمنزله من أحد الا أن يكون أحد سبق الى منزل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى حصين قال قلت لسعيد بن جبير اعتكف بمكة قال أنت عاكف وقرأ سواء العاكف فيه والباد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ذكره عن أبى صالح سواء العاكف فيه والباد العاكف أهله والباد المنتاب فى المنزل سواء **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سواء العاكف فيه والباد يقول ينزل أهل مكة وغيرهم فى المسجد الحرام **حدثنى**

للنصارى ولكن الاولى فى الصحراء والاخرى فى البلد وانما أخر متعبد أهل الاسلام لتأخر زمانهم ولاضير فان أول الفكر آخر العمل وقال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وتفسير الآية على قول الاكثرين لولا دفع الله لهدم فى شرع كل نبى المكان المعهود لهم فى العبادة فهدم فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وعلى هذا الوجه انما رفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ ويحتمل أن يراد لولا ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان فى زمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المسلمين وأهل الكتاب الذين فى زمنهم وهدموا المتعبدات باسرها وعلى هذا الوجه انما دفع عن سائر أهل الاديان لان متعبداتهم يجرى فيها ذكر الله فى الجملة ليست بمنزلة بيوت الاصنام ثم عزم على نفسه نصرة من ينصر دينه وأوليائه وأكد ذلك بقوله ان الله لقوى عزيز ومعنى القوة والعزة انه لا يمتنع شئ من نفاذ أمره فيه مع انه لا يتأثر عن شئ أصلا ونصرة الله العبد تقويته على أعدائه ووضع الدلائل على ما يفيده فى الدارين ونفث روح القدس بأمره داعية الخير والصلاح فى روعه ثم اتبع قوله الذين أخرجوا قوله الذين ان مكناهم وقيل هو بدل من قوله من ينصره وهو اخبار منه عز وجل عما ستكون عليه سيرة المهاجرين اذا مكنهم فى الارض وبسط لهم الدنيا وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء أراد ان الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن يحدث لهم فى شأن الدين واعلائه ما أحدثوا وقيل انه مخصوص بالخلفاء

الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم وعن الحسن انهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتمكينهم هو ابقاؤهم الى أوان التكليف وقد يشمل الاطفال أيضا اذا ماتوا قبل البلوغ لقوله الله أعلم بما كانوا عاملين ثم ختم الآية بقوله ولله عاقبة الامور أى مرجعها ومصيرها الى حكمه وتقديره وقد أراد تمكين أهل هذا الدين فى كل حين فيقع لامحالة * التأويل ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام القلب سواء فيه من سبق اليه مدة طويلة والذى يصل اليه فى الحال لافضل الا بسبق مقامات القلب ومنازله واذ يوأنا لابراهيم الروح مكان بيت القلب وطهر بيتى عن غيرى وهو كل مافيه حظ النفس دون الواردات المطيفة والاخلاق الثابتة والاحوال المتوالية كالرغبة والرهبة والقبض والبسط والانس والهيبة رجالا هى النفس وصفاتها وعلى كل ضامر هى البدن وجوارحه فان الاعمال الشرعية قد ركبت الجوارح المرضية فاعمال البدن مركبة من حركات الجوارح ونيات الضمير كان أعمال النفس بسيطة لانها نيات الضمير فقط من كل فج عميق هو مصالح الدنيا لان مصالحها بعيدة عن مصالح الآخرة ليشهدوا منافع لهم فمنافع النفس وصفاتها بتبديل الاخلاق ومنافع القالب والجوارح بظهور أثر الطاعة عليها ويذكروا أى القلب والنفس والقالب شكرا على مارزقهم من تبديل الصفات البهيمية بالصفات الروحانية فانتفعوا بها وأفيضوا منها على الطالبين فهو خير لان العبد يصل بالطاعة الى الجنة ويصل بحرمة الطاعة الى الله ويترك الخدمة توجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة بمعنى وأحلت لكم استعمال الصفات البهيمية بقدر الضرورة الا ما يتلى عليكم فى قولنا ولا تسرفوا وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء العاكف فيه والباد قال العاكف المقيم بمكة والباد الذى يأتيهم فيه سواء فى البيوت **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء العاكف فيه والباد سواء فيه أهله وغير أهله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله سواء العاكف فيه والباد قال أهل مكة وغيرهم فى المنازل سواء * وقال آخرون فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب سواء حق الله عليهما فيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله سواء العاكف فيه قال الساكن والباد الجانب قال **حدثنا** الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعطاء سواء العاكف فيه قالا من أهله والباد الذين يأتونه من غير أهله هما فى حرمته سواء وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك لان الله تعالى ذكره ذكر فى أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه فى الحرم عن المسجد الحرام فقال ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام فقال الذى جعلناه للناس فاخبر جل ثناؤه انه جعله للناس كلهم فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه ثم قال سواء العاكف فيه والباد فكان معلوما ان خبره عن استواء العاكف فيه والباد انما هو فى المعنى الذى ابتدأ الله الخبر عن الكفار به أنهم صدوا عنه المؤمنين به وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام لا الخبر عن ملكهم اياه وغير ملكهم وقيل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فعطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا وهو ماض لان الصد بمعنى الصفة لهم والدوام واذا كان ذلك بمعنى الكلام لم يكن الا بلفظ الاسم أو الاستقبال ولا يكون بلفظ الماضى واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام ان الذين كفروا ومن صفتهم الصد عن سبيل الله وذلك نظير قول الله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وأما قوله سواء العاكف فيه فان قراء الامصار على رفع سواء بالعاكف والعاكف به واعمال جعلناه فى الهاء المتصلة به واللام التى فى قوله للناس ثم استأنف الكلام بسواء وكذلك تفعل العرب بسواء اذا جاءت بعد حرف قدمتم الكلام به فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشر وقد يجوز فى ذلك الخفض وانما يختار الرفع فى ذلك لان سواء فى مذهب واحد عندهم فكانهم قالوا مررت برجل واحد عنده الخير والشر وأما من خفضه فانه يوجهه الى معتدل عنده الخير والشر ومن قال ذلك فى سواء فاستأنف به ورفع ولم يقله فى معتدل لان معتدل فعل مصرح وسواء مصدر فاخراجهم اياه الى الفعل كاخراجهم حسب فى قولهم مررت برجل حسبك من رجل الى الفعل وقد ذكر عن بعض القراء انه قرأه سواء نصبا على اعمال جعلناه فيه وذلك وان كان له وجه فى العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافه وقوله ومن يرد فيه الالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يقول تعالى ذكره ومن يرد فيه بالحاد نذقه من عذاب أليم وهو أن يميل فى البيت الحرام بظلم وأدخلت الباء فى قوله بالحاد والمعنى فيه ما قلت كما أدخلت فى قوله تنبت بالدهن والمعنى تنبت الدهن كما قال الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

والمعنى وأسفله ينبت المرخ والشبهان وكما قال أعشى بنى ثعلبة

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا * ملؤ المراجل والصريح الاجردا

بمعنى ضمنت رزق عيالنا أرماحنا في قول بعض نحوي البصريين وأما بعض نحوي الكوفيين فانه كان يقول أدخلت الباء فيه لان تاويله ومن يرد بان يلحد فيه بظلم وكان يقول دخول الباء في ان أسهل منه في الجاد وما أشبهه لان أن تضمر الحوافض معها كثيرا وتكون كالشرط فاحتملت دخول الخافض وخروجه لان الاعراب لا يتبين فيها وقال في المصادر بتبين الرفع والخفض فيها قال وأنشدني أبو الجراح

فلما دعت بالشرب هزلها العطا * شحيح له عند الاداء بهيم

وقال امرؤ القيس

ألا هل اتاها والحوادث جمة * بان امرأ القيس بن مالك يقبرا

قال فادخل الباء على أن وهي في موضع رفع كما أدخلها على الجاد وهو في موضع نصب قال وقد أدخلوا الباء على ما اذا أرادوا بها المصدر كما قال الشاعر

ألم ياتيك والانباء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد

وقال وهو في ما أقل منه في أن لان ان أقل شبها بالاسماء من ما قال وسمعت اعرابيا من ربيعة وسألته عن شئ فقال أرجو ذلك يريد أرجو ذلك * واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الالحاد به في المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الاليم فقال بعضهم ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أي بالبيت ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم يقول بشرك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم هو أن يعبد فيه غير الله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال هو الشرك من أشرك في بيت الله عذبه الله **حدثنا** الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعني أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال بعمل فيه عملا سيئا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الاودي قالا ثنا المحاربي عن سفيان عن السدي عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لاذاقه الله من العذاب الاليم **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله قال في مجاهد قال يزيد قال لنا شعبة رفعه وأنا لا أرفعه لك في قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال لو أن رجلا هم بسيئة وهو بعدن أبين لاذاقه الله عذابا أليما **حدثنا** الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن الضحاك ان مزاحم في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال ان الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها فتكتب عليه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال الالحاد الظلم في الحرم * وقال آخرون بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس بالحاد بظلم قال الذي يريد استحلاله متعمدا ويقال الشرك * وقال آخرون بل ذلك احتكار الطعام بمكة ذكر من قال ذلك **حدثني** هرون

الارشاد منافع وهي لذة العبور على المقامات ولذة البسط ولذة الانس الى أجل مسمى وهو حمد الكمال ثم انتهاء السلوك الى حضرة القديم ولكل سالك جعلنا مقصدا وطريقا منهم من يطلب الله من طريق المعاملات ومنهم من يطلبه من طريق المجاهدات ومنهم من يطلبه بطريق المعارف ومنهم من يطلبه به فله أسلموا أي أخلصوا والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم الاخلاق من الكدورات ثم الاحوال من الالتفات ثم الانفاس من الاغيار وبشر المخبتين عني المستقيمين على هذه الطريقة وجلت قلوبهم الوجل عند الذكر على حسب تجلي الحق للقلب والصابرين على ما أصابهم من غير تمني ترحة ولا روم فرحة والمقيمي الصلاة الحافظين مع الله أسرارهم لا يطلبون اطلاع الخلق على أحوالهم ومما رزقناهم ينفقون يبذلون الموجود في طلب المقصود والوجود بشهود المعبود والبدن يعني بدن الابدان الجسام جعلنا قربانها عند كعبة القلب يذبحها عن شهواتها من شعائر أهل الصدق في الطلب فاذا ماتت عن طبيعتها فانتفعوا بها أنتم وغيركم من الطالبين والقانعين بما أقمتم عليه والمعترين المتعطشين الذين لا يزورون ريا من ماء حياة المعرفة

شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

كذلك سخرناها لكم فيه ان ذبح النفس بسكين الرياضة لا يتيسر الا بتسخير خالقها وتيسير موجدها يؤكده قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا أذن للذين يقاتلون فيه ان قتال النفس يجب أن يكون باذن من الله تعالى وهو أن يكون على وفق الشرع

وفى أوان التكليف وعلى حسب ظلم النفس على القلب واخراجها اياه من ديار الطمأنينة ولولا دفع الله الفوس بالقلوب لضيعت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لاتساعها باشراق نور الله عليها ان مكناهم فى الارض البشرية أداموا صلاة المواصلة وآتوا زكاة الاحوال وهى ايثار ربع عشر الاوقات على مصالح الخلق وأمروا بحفظ الحواس عن مخالفات الامر وبمراعاة الانفاس مع الله ونهوا عن منا كير الرياء والاعجاب والى الله عاقبة الامور (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان

ابن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن أشعث عن حبيب بن أبى ثابت فى قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قال هم المحتكرون الطعام بمكة * وقال آخرون بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل حتى قول القائل لا والله وبلى والله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الآخر فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبى يحيى عن الاعمش قال كان عبد الله بن عمرو يقول لا والله وبلى والله من الالحاد فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التى ذكرناها فى تاويل ذلك بالصواب القول الذى ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من انه معنى بالظلم فى هذا الموضع كل معصية لله وذلك ان الله عم بقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ولم يخصص به ظلما دون ظلم فى خبر ولا عقل فهو على عمومه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد فى المسجد الحرام بان يميل بظلم فيعص الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له وقد ذكر عن بعض القراء انه كان يقرأ ذلك ومن يرد فيه بفتح الياء بمعنى ومن يرده بالحاد من وردت المكان أرده وذلك قراءة لا تجوز القراءة عندى بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح من العرب وذلك ان يرد فعل واقع يقال منه هو يرد مكان كذا أو بلدة كذا غدا ولا يقال يرد فى مكان كذا وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب ان طيئا تقول رغبت فيك تريد رغبت بك وذكر ان بعضهم أنشده بيتا

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكننى عن سنبس لست أرغب

يعنى وأرغب بها فان كان ذلك صحيحا كما ذكرنا فانه يجوز فى الكلام فاما القراءة به فغير جائز لما وصفت ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلما عظيم ما ركب قومه من قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم فى حرمه والبيت الذى أمر ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والريب والشرك واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذى تعبد قومك فيه غيرى اذ بوأنا لخليلنا ابراهيم يعنى بقوله بوأنا وطأنا له مكان البيت كما حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت قال وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين اهبط آدم الى الارض وكان مهبطه بارض الهند وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا وان آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم شكا ذلك الى الله فقال الله يا آدم انى قد أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى حول عرشى فانطلق اليه فخرج اليه ومد له فى خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الانبياء حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال لما عهد الله الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين انطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ويعنى بالبيت الكعبة ألا تشرك بى شيأ فى عبادتك اياى وطهر بيتى الذى بنيته من عبادة الاوثان كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله وطهر بيتى قال من الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال من الآفات والريب حدثنا ابن

عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة طهرا بيتي قال من الشرك وعبادة الاوثان وقوله للطائفين يعني للطائفين به والقائمين يعني المصلين الذين هم قيام في صلاتهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عطاء في قوله وطهر بيتي للطائفين والقائمين قال القائمون في الصلاة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والقائمين قال القائمون المصلون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والقائمين والركع السجود قال القائم والراكع والساجد هو المصلي والطائف هو الذي يطوف به وقوله والركع السجود في صلاتهم حول البيت

القول في تأويل قوله تعالى (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)

يقول تعالى ذكره وعهدنا اليه أيضا ان أذن في الناس بالحج يعني بقوله وأذن أعلم ونادي في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام يأتوك رجالا يقول فان الناس يأتون البيت الذي نامرهم بحجه مشاة على ارجلهم وعلى كل ضامر يقول وركبانا على كل ضامر وهي الابل المهازيل يأتين من كل فج عميق يقول يأتي هذه الضوامر من كل فج عميق يقول من كل طريق ومكان ومسلك بعيد وقيل يأتين لجمع لانه أريد بكل ضامر النوق ومعنى الكل الجمع فلذلك قيل يأتين وقد زعم الفراء انه قليل في كلام العرب مررت على كل رجل قائمين قال وهو صواب وقول الله وعلى كل ضامر يأتين ينبئ عن صحة جوازه وذكر ان ابراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج قام على مقامه فنادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق * وقد اختلف في صفة تأذين ابراهيم بذلك فقال بعضهم نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال أذن وعلي البلاغ فنادى ابراهيم أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فحجوا قال فسمعه ما بين السماء والارض أفلا ترى الناس يجيؤن من أقصى الارض يلبون حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بنى ابراهيم البيت أوحى الله اليه أن أذن في الناس بالحج قال فقال ابراهيم ألا ان ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شئ لبيك اللهم لبيك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابن واقد عن أبي الزبير عن مجاهد عن ابن عباس قوله وأذن في الناس بالحج قال قام ابراهيم خليل الله على الحجر فنادى يا أيها الناس كتب عليكم الحج فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا قال وقرت في قلب كل ذكر وأنثى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت أوحى الله اليه أن أذن في الناس بالحج قال فخرج فنادى في الناس يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ فبيتا فحجوه فلم يسمعه يومئذ من انس ولا جن ولا شجر ولا أكمة ولا تراب ولا جبل ولا ماء ولا شئ الا قال لبيك اللهم لبيك قال حدثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لما قام ابراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وأذن في الناس بالحج قال قام ابراهيم على مقامه فقال حجاج يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا لبيك اللهم لبيك فمن حج اليوم فهو ممن أجاب ابراهيم يومئذ حدثنا ابن المثنى

صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات والارض وان الله لهو الغني الحميد)

القراآت ذكر ابن كثير باثبات الياء حيث كان في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل أهل مكتها على التوحيد أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون أهل مكاها وبير بالياء أبو عمرو غير شجاع وأوقيه ويزيدوا الاعشى وورش وربيعة وابن فليح وحمزة في الوقف يعدون على الغيبة ابن كثير وحمزة وعلى وخلف مخففين بالتشديد حيث كان ابن كثير وأبو عمرو وقتلوا بالتشديد ابن عامر وان ما يدعون بياء الغيبة وكذلك في سورة لقمان أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلى

قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة بن خالد المخزومي قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت قام على المقام فنادى نداء سمعه أهل الارض ان ربكم قد بنى لكم بيتا فحجوه قال داود فارجو من حج اليوم من اجابة ابراهيم عليه السلام **حدثني** محمد بن سنان القزاز قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قال ابن عباس هل تدري كيف كانت التلبية قلت وكيف كانت التلبية قال ان ابراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رؤسها ورفعت القرى فاذن في الناس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأذن في الناس بالحج قال ابراهيم كيف أقول يارب قال قل يا أيها الناس استجيبوا لربكم قال وقرت في قلب كل مؤمن * وقال آخرون في ذلك ما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مجاهد قال قيل لابراهيم أذن في الناس بالحج قال يارب كيف أقول قال قل لبيك اللهم لبيك قال فكانت أول التلبية وكان ابن عباس يقول عني بالناس في هذا الموضع أهل القبلة ذكر الرواية بذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأذن في الناس بالحج يعني بالناس أهل القبلة ألم تسمع انه قال ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله ومن دخله كان آمنا يقول ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم وكتب عليهم الحج فانه آمن فعظموا حرمات الله تعالى فانها من تقوى القلوب وأما قوله ياتوك رجالا وعلى كل ضامر فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ياتوك رجالا قال مشاة قال **حدثنا** الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن ارطاة قال قال ابن عباس ما آسى على شيء فاتني الا أن لا أكون حججت ماشيا سمعت الله يقول ياتون رجالا قال **حدثنا** الحسين قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ج ابراهيم واسمعيل ماشيين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس ياتوك رجالا قال على أرجلهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى كل ضامر قال الابل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وعلى كل ضامر قال الابل **حدثني** نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا المحاربي عن عمر بن ذر قال مجاهد كانوا لا يركبون فانزل الله ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال فامرهم بالزاد ورخص لهم في الركوب والمتجر وقوله من كل فج عميق **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس من كل فج عميق يعني مكان بعيد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس من كل فج عميق قال بعيد **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فج عميق قال مكان بعيد **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله ليشهدوا منافع لهم * اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم هي التجارة ومنافع الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ليشهدوا منافع لهم قال هي الاسواق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر بن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قال تجارة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين في قوله ليشهدوا منافع لهم قال أسواقهم قال **حدثنا** عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير ليشهدوا منافع لهم قال التجارة **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن واقد عن سعيد مثله **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين ليشهدوا منافع لهم قال الاسواق * وقال

النظم مع اتحاد المعنى أخذتهم ج لابتداء الصدور ه وعده ط يعدون ه أخذتهما ط المصير ه المبين ج ه للابتداء مع الفاء كريم ه الجحيم ه أمنيته ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى آياته ط حكيم ه لا لتعلق اللام قلوبهم ط بعيد ه لا قلوبهم ط مستقيم ه عقيم ه لله ط بينهم ط النعيم ه مهين ه حسنا ط الرازقين ه يرضونه ط حليم ه ذلك ج لينصرنه الله ط غفور ه بصير ه الكبير ه ماء ز لنوع عدول مع العطف مخضرة ط خبير ه وما في الارض ط الحميد ه * التفسير انه سبحانه بعد ضمان النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم والدفع عن أمته ذكر ما فيه تسليته وهو انه ليس باول حدي في التكذيب له والقصص معلومة مما سلف قال جار الله انما لم يقل وقوم موسى لان موسى كذبه غير بني اسرائيل وهم القبط أو المراد وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره والنكير بمعنى الانكار عبر به عن الهلاك المعجل لانه يستلزمه أو لان الهلاك رادع لغيرهم فكأنه أنكر به عليهم حتى ارتدعوا أو هو بمعنى التغيير لانه أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا قوله وهي ظالمة فهي خاوية الاولى في محل النصب على انها حال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذه ليس لها محل قال أبو مسلم أراد وهي كانت ظالمة فهي الآن خاوية على عروشها وقدم تفسيرها في البقرة في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ثم

آخرون هى الاجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار وسوار بن عبد الله قالا ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليشهدوا منافع لهم قال التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن سفيان عن ابن ابى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** عبد الحميد بن بيان قال ثنا سفيان قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ليشهدوا منافع لهم قال الاجر فى الآخرة والتجارة فى الدنيا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هى العفو والمغفرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر ليشهدوا منافع لهم قال العفو **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر قال قال محمد بن على مغفرة *وأولى الاقوال بالصواب قول من قال عنى بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذى يرضى الله والتجارة وذلك ان الله عم منافع لهم جميع ما يشهده الموسم ويأتى له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ولم يخصص من ذلك شيأ من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم فى المنافع التى وصفت وقوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام يقول تعالى ذكره وكى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبدن التى أهدوها من الابل والبقر والغنم فى أيام معلومات وهن أيام التشريق فى قول بعض أهل التأويل وفى قول بعضهم أيام العشر وفى قول بعضهم يوم النحر وأيام التشريق وقد ذكرنا اختلاف أهل التاويل فى ذلك بالروايات وبينا الاولى بالصواب منها فى سورة البقرة فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع غير انى أذكر بعض ذلك أيضا فى هذا الموضع **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات يعنى أيام التشريق **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله أيام معلومات يعنى أيام التشريق على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعنى البدن **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى أيام معلومات قال أيام العشر والمعدودات أيام التشريق وقوله فكلوا منها يقول كلوا من بهائم الانعام التى ذكرتم الله عليها أيها الناس هنالك وهذا الامر من الله جل ثناؤه أمر اباحة لا أمر ايجاب وذلك انه لا خلاف بين جميع الحجة ان ذابح هديه أو بدنته هنالك ان لم يأكل من هديه أو بدنته انه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه فكان معلوما بذلك انه غير واجب ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن عطاء قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير قال كان لا يرى الاكل منها واجبا **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد انه قال هى رخصة ان شاء أكل وان شاء لم يأكل وهى كقوله واذا حللتم فاصطادوا واذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض يعنى قوله فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال **حدثنا** هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء فى قوله فكلوا منها قال هى رخصة فان شاء أكلها وان شاء لم يأكل **حدثنى** على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد فى قوله فكلوا منها قال انما هى رخصه وقوله وأطعموا البائس الفقير يقول وأطعموا انما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الانعام من هديكم وبدنكم البائس وهو الذى به ضر الجوع والزمانة والحاجة والفقير الذى لا شئ له *وبنحو الذى قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير يعنى الزمن الفقير **حدثنا**

أو مرتفع أحلينا ه عن ساكنيه فحذف هذه الجملة لدلالة معطلة عليها وقد يغلب على الظن من هاتين القرينتين ان على فى قوله على عروشها بمعنى مع كأنه قيل هى خاوية أى ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها قاله فى الكشاف وأقول اذا كانت القرى المهلكة غير البئر والقصر فهذا الظن مرجوح أو مساو لاغالب يروى انها بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وسميت بلدة عند البئر باسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحكى ان الامام أبا القاسم الانصارى قال هذا عجيب لانى زرت قبر صالح بالشام ببلدة يقال لها عكة فكيف قيل انه بحضرموت قلت لا غرو ان يتفق الموت بارض والدفن بارض أخرى ثم أنكر على أهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا أفلم يسيروا فى الارض فيعتبروا بمصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا جاء الانكار كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون والمراد بالسماع سماع تدبر وانتفاع والا كان كالسماع كما ان المراد بالابصار أبصار الاعتبار ولهذا قال فانها لا تعمى الابصار أى أبصارهم ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وفى هذا التصوير زيادة التمكين والتقرير لغرابة نسبة العمى الى

المهم والمعنى على الوجهين ان أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا تعتدوا بعمى الابصار وان فرض لانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وزعم بعضهم ان فى الآية ابطالا لقول من جعل محل الكفر الدماغ وليس بقوى فقد يتشار كان فى ذلك أو يكون سلطانه فى القلب والدماغ كالآلة ثم حكى من عظيم ما هم عليه من التكذيب انهم يستهزؤن باستعجال العذاب العاجل والآجل كأنهم جوز والفوت فلهذا قال وان يخلف الله وعده أو لعلهم طلبوا عذاب الآخرة فذكر ان استعجاله فى الدنيا كالخلف لان موعده الآخرة وان يوما عند ربك كألف سنة قال أبو مسلم أراد ان العاقل لا ينبغى أن يستعجل عذاب الآخرة لان يوما واحدا من أيام عذاب الله فى الشدة كألف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كألف سنة من سني العذاب اذا عدها العاد وذلك لشدة العذاب أيضا وقيل أراد ان اليوم الواحد وألف سنة بالنسبة اليه على السواء لانه القادر الذى لا يعجزه شئ فاذا لم يستبعد وا المهال يوم فلا يستبعد وا أيضا المهال ألف سنة وقديد ورفى الخلد ان هذا اشارة الى لا تناهى طرف الابد المستتبع لازدياد امتداد الآحاد الاعتبارية لاجل سهولة الضبط والغرض ان من كانت أيامه فى الطول الى هذا الحد لا يقيد الاستعجال بالنسبة اليه شيأ فالاولى بل الواجب تفويض الامور الى أوقاتها المقدرة لها من غير تقدم ولا تأخر ثم كرر قوله وكأين من

ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن رجل عن مجاهد البائس الفقير الذى عند البيت يديه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البائس الفقير قال هو القانع **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن عطاء عن عكرمة قال البائس الفقير المضطر الذى عليه البؤس والفقير المتعفف قال **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله البائس الفقير الذى يبسط يديه وقوله ثم ليقضوا تفثهم يقول تعالى ذكره ثم ليقضوا ما عليهم من مناسكهم من حلق شعر وأخذ شارب ورمى جمرة وطواف بالبيت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبى الشوارب قال ثنى يزيد قال أخبرنا الاشعث بن سوار عن نافع عن ابن عمر انه قال ثم ليقضوا تفثهم قال ما هم عليه فى الحج **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنى الاشعث عن نافع عن ابن عمر قال التفث المناسك كلها قال **حدثنا** هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس انه قال فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حلق الرأس وأخذ من الشارب ونتف الابط وحلق العانة وقص الاظفار والاخذ من العارضين ورمى الجمار والموقف بعرفة والمزدلفة **حدثنا** حميد قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا خالد عن عكرمة قال التفث الشعر والظفر **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم رمى الجمار وذبح الذبيحة وأخذ من الشارب واللحية والاظفار والطواف بالبيت وبالصفا والمروة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد انه قال فى هذه الآية ثم ليقضوا تفثهم قال هو حلق الرأس وذكر أشياء من الحج قال شعبة لا أحفظها قال **حدثنا** ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم ليقضوا تفثهم قال حلق الرأس وحلق العانة وقص الاظفار وقص الشارب ورمى الجمار وقص اللحية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل فى حديثه وقص اللحية **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا المحاربى قال سمعت رجلا يسأل ابن جريج عن قوله ثم ليقضوا تفثهم قال الاخذ من اللحية ومن الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ورمى الجمار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن الحسن وأخبرنا جويبر عن الضحاك انهما قالا حلق الرأس **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم ليقضوا تفثهم يعنى حلق الرأس **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال التفث حلق الرأس وتقليم الظفر **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم يقول نسكهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ليقضوا تفثهم قال التفث حرمهم **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم ليقضوا تفثهم قال يعنى بالتفث وضع احرامهم من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الاظفار ونحو ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب قال التفث حلق الشعر وقص الاظفار والاخذ من الشارب وحلق العانة وأمر الحج كله وقوله وليوفوا نذورهم يقول وليوفوا لله بما نذروا من هدى وبدنة وغير ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وليوفوا نذورهم نحر ما نذروا من البدن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وليوفوا نذورهم نذر الحج والهدى وما

نذر الانسان من شئ يكون فى الحج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وليوفوا نذورهم قال نذر الحج والهدى وما نذر الانسان على نفسه من شئ يكون فى الحج وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق يقول وليطوفوا ببيت الله الحرام * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله العتيق فى هذا الموضع فقال بعضهم قيل ذلك لبيت الله الحرام لان الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه وهدمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى ان ابن الزبير قال انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن الزبير مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال انما سمى العتيق لانه أعتق من الجبابرة قال **حدثنا** سفيان قال ثنا أبو هلال عن قتادة وليطوفوا بالبيت العتيق قال عتق من الجبابرة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله البيت العتيق قال أعتقه الله من الجبابرة يعنى الكعبة * وقال آخرون قيل له عتيق لانه لم يملكه أحد من الناس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبيد عن مجاهد قال انما سمى البيت العتيق لانه ليس لاحد فيه شئ * وقال آخرون سمى بذلك لقدمه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله البيت العتيق قال العتيق القديم لانه قديم كما يقال السيف العتيق لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم وهو أول من بناه ثم بوأ الله موضعه لابراهيم بعد الغرق فبناه ابراهيم واسمعيل * قال أبو جعفر ولكل هذه الاقوال التى ذكرناها عن ذكرناها عنه فى قوله البيت العتيق وجه صحيح غير ان الذى قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه فى الظاهر غير ان الذى روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ان كان ما **حدثنى** به محمد بن سهل البخارى قال ثنا عبد الله بن صالح قال أخبرنى الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهرى عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط صحيحا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الزهرى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما سمى البيت العتيق لان الله أعتقه ثم ذكر مثله وعنى بالطواف الذى أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به فى هذه الآية طواف الافاضة الذى يطاف به بعد التعريف أما يوم النحر واما بعده لاخلاف بين أهل التأويل فى ذلك ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن سعيد القرشى قال ثنا الانصارى عن أشعث عن الحسن وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الزيارة **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا خالد قال ثنا الاشعث أن الحسن قال فى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال الطواف الواجب **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وليطوفوا بالبيت العتيق يعنى زيارة البيت **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم عن حجاج وعبد الملك عن عطاء فى قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف يوم النحر **حدثنى** أبو عبد الرحمن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت زهيرا عن قول الله وليطوفوا بالبيت العتيق قال طواف الوداع * واختلفت القراء فى قراءة هذه الحروف فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بتسكين اللام فى كل ذلك طلب التخفيف كما فعلوا فى هو اذا كانت قبلها واو فقالوا وهو عليم بذات الصدور فسكنوا الهاء وكذلك يفعلون فى لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة غير أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ثم ليقضوا خاصة من أجل ان الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن وغير جائز الوقوف على الواو والفاء وهذا الذى اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس غير ان أكثر القراء على تسكينها * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك عندى ان التسكين فى لام ليقضوا

ذلك والثانى سيق لبيان الاملاء مناسبا لقوله ان يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة فكأنه قيل وكم من أهل قرية وكانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع للكل الى حكمى ثم أمر رسوله بان يتلو عليهم جملة حاله فى الرسالة وهى انه نذير مبين وجملة حالهم فى باب التكليف ما لاوانما اقتصر على النذارة لانها تتضمن البشارة فان كلام الحكيم لا يخلو عن ترغيب وان كان مبنيا على الترهيب بدليل يا أيها الناس وهو نداء للكفرة فى قول ابن عباس قال فى الكشاف هم الذين قيل فيهم أقلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا قالت الاشاعرة المغفرة اما للصغائر أو للكبائر بعد التوبة أو قبلها والاولان واجبان عند الخصم وأداء الواجب لا يسمى غفرانا فبقى الثالث ويلزم منه عفو صاحب الكبيرة من أهل القبلة أما الرزق فلاشك انه الثواب وأما الكريم فاما أن يكون أمرا سلبيا وهو أن يكون الانسان معه بحيث يستغنى عن المكاسب وتحمل المتاعب والذل والدناءة ويتباعد عن المآثم والمظالم واما أن يكون ثبوتيا وهو أن يكون رزقا كثيرا دائما خاليا عن شوائب الضرر مقرونا بالتعظيم والاجلال والذين سعوا فى آياتنا أى بذلوا جهدهم فى تكذيبها وارادة ابطالها كمن يسعى سعيا أى يمشى مشيا سريعا قال أهل

مقدرين ذلك ظنا منهم أن كيدهم للاسلام يتم لهم وان طعنهم فى القرآن وتثبيطهم الناس عن التصديق يبلغ بهم غرضهم ثم

ان له أسوة الانبياء السالفة والرسل السابقة فى كل ما يأتى ويذر فقال وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى خصص أولا ثم عمم فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بان يدعو الى شريعة من قبله وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وانما يرى الوحى فى المنام أو يخبره بذلك رسول فى عصره ولا بد لكل من المعجزة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قال عامة المفسرين فى سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه اعراض قومه عنه تمنى فى نفسه ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه لحرصه على ايمانهم وكان ذات يوم جالسا فى نادى قومه وقد نزل عليه سورة والنجم اذا هوى فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكان ذلك التمنى فى نفسه فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته حتى ختم السورة فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى من المسلمين والمشركين فتفرق قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية واعترض

والكسر قراءتان مشهورتان ولغتان سائرتان فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الصواب غير ان الكسر فيها خاصة أقيس لما ذكرنا لابى عمرو من العلة لان من قرأ وهو عليم بذات الصدور فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ويحركها فى قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين فذلك الواجب عليه أن يفعل فى قوله ثم ليقضوا تفثهم فيحرك اللام الى الكسر مع ثم وان سكنها فى قوله وليوفوا نذورهم وقد ذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى والحسن البصرى تحريكها مع ثم والواو وهى لغة مشهورة غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها وهى أشهر اللغتين فى العرب وأفصحها فالقراءة بها أعجب الى من كسرها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الذى أمرتكم به من قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت العتيق هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس فى حكم ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه يقول ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه فى حال احرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحرمه أن يستحلها فهو خير له عند ربه فى الآخرة كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يعظم حرمات الله قال الحرمات المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام هؤلاء الحرمات وقوله وأحلت لكم الانعام يقول جل ثناؤه وأحل الله لكم أيها الناس الانعام أن تأكلوها اذا ذكيتموها فلم يحرم عليكم منها بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولا ما جعلتموه أنتم منها لآلهتكم الا ما يتلى عليكم يقول الا ما يتلى عليكم فى كتاب الله وذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب فان ذلك كله رجس كما **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الا ما يتلى عليكم قال الا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يقول فاتقوا عبادة الاوثان وطاعة الشيطان فى عبادتها فانها رجس * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور يقول تعالى ذكره واجتنبوا طاعة الشيطان فى عبادة الاوثان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله الرجس من الاوثان قال عبادة الاوثان وقوله واجتنبوا قول الزور يقول تعالى ذكره واتقوا قول الكذب والفرية على الله يقول لكم فى الآلهة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولكم للملائكة هى بنات الله ونحو ذلك من القول فان ذلك كذب وزور وشرك بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قول الزور قال الكذب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به يعنى الافتراء على الله والتكذيب **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن وائل بن ربيعة عن عبد الله قال تعدل شهادة الزور بالشرك وقرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن وائل بن ربيعة قال عدلت شهادة الزور الشرك ثم

قرأ هذه الآية فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا سفيان العصفرى عن أبيه عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مروان بن معاوية عن سفيان العصفرى عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله مرتين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ويجوز أن يكون مرادابه اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الاوثان بعبادتكم اياها فان قال قائل وهل من الاوثان ماليس برجس حتى قيل فاجتنبوا الرجس منها قيل كلها رجس وليس المعنى ماذهبت اليه فى ذلك وانما معنى الكلام فاجتنبوا الرجس الذى يكون من الاوثان أى عبادتها فالذى أمر جل ثناؤه بقوله فاجتنبوا الرجس منها اتقاء عبادتها وتلك العبادة هى الرجس على ماقاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) يقول تعالى ذكره اجتنبوا أيها الناس عبادة الاوثان وقول الشرك مستقيمين لله على اخلاص التوحيد له وافراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الاوثان والاصنام غير مشركين به شيأ من دونه فانه من يشرك بالله شيأ من دونه فمثله فى بعده من الهدى واصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك أو هوت به الريح فى مكان سحيق يعنى بعيد من قولهم أبعده الله وأسحقه وفيه لغتان أسحقته الريح وسحقته ومنه قيل للنخلة الطويلة نخلة سحوق ومنه قول الشاعر

كانت لنا جارة فأزعجها * قاذورة تسحق النوى قدما

ويروى تسحق يقول فهكذا مثل المشرك بالله فى بعده من ربه ومن اصابة الحق كبعد هذا الواقع من السماء الى الارض أو بهلاك من اختطفته الطير منهم فى الهواء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فكأنما خر من السماء قال هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله فى بعده من الهدى وهلاكه فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى مكان سحيق قال بعيد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فتخطفه الطير وقد قيل قبله فكأنما خر من السماء وخر فعل ماض وتخطفه مستقبل فعطف بالمستقبل على الماضى كما فعل ذلك فى قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام وقد بينت ذلك هناك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) يقول تعالى ذكره هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الاوثان واجتناب قول الزور حنفاء لله وتعظيم شعائر الله وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه من تقوى قلوبكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا محمد بن زياد عن محمد بن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال استعظامها واستحسانها واستسمانها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ومن يعظم شعائر الله قال الاستسمان والاستعظام وبه عن عنبسة عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال والاستحسان **حدثنا** عبد الحميد بن بيان الواسطى قال أخبرنا اسحق عن أبى بشر **وحدثني** محمد بن

المحققون على هذه الرواية بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن فكقوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن نفى القرب من الركون فكيف به وأما السنة فهى ماروى عن ابن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم ان رواة هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فهو ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث لنفى الاوثان فكيف يثبتها وأيضا انه بمكة لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولاسيما فى محفل غاص وأيضا ان معاداتهم اياه كانت أكثر من أن يغتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل ان يقفوا على حقيقة الامر وأيضا منع الشيطان من أصله أولى من تمكنه من الالقاء ثم نسخه وأيضا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما أنزل اليك وحال الزيادة فى الوحى كحال النقصان منه اذا عرفت هذا فللأئمة فى تاويل الآية قولان الاول ان التمنى بمعنى القراءة كما سلف فى البقرة فى قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وما المراد بهذه القراءة فيه وجهان أحدهما انه ما يجوز أن يسهو النبى فيه ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى وثانيهما انه قراءة هذه الكلمة وانها قد وقعت بعينها

التوهم من الجم الغفير بعيد وقيل ان شيطان الجن ألقاها في البين فظنها الحاضرون من قول الرسول وضعف بان هذا يفضي الى ارتفاع الوثوق عن كل ما يتكلم به النبي قلت الانصاف انه غير ضعيف ولا يفضي الى ارتفاع الوثوق لقوله سبحانه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقيل ان المتكلم به شيطان الانس وهم الكفرة كانوا يقربون منه في حال صلاته ويسمعون قراءته ويلقون فيها في أثناء وقفاته وقيل ان المتكلم به الرسول قاله سهوا كما روى عن قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان ولا ريب انه يكون بالقاء الشيطان وضعف باستلزامه زوال الامان عن الشرع وقد عرفت جوابه وبان مثل هذا الكلام المطابق لفواصل السورة يستبعد وقوعها في النعاس وزعم قوم ان الشيطان أجبره على ذلك ورد بنحو قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وذهب جماعة الى انه قال ذلك اختيارا ثم انها باطلة أم لا فيه وجهان أما الاول ففيه طريقان أحدهما قول ابن عباس في رواية ان شيطانا يقال له الابيض أتاه على صورة جبريل وألقاها اليه فقرأها فلما سمع المشركون ذلك أعجبه فجاء جبريل واستعرضه فقرأها فلما بلغ الى تلك الكلمة أنكر عليه جبريل فقال انه أتاني آت على صورتك فألقاه على لساني وناداهما انه لشدة حرصه على ايمان القوم أدخل هذه الكلمة من تلقاء نفسه ثم رجع عنها والطريقان ضعيفان

في

عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومن يعظم شعائر الله قال استعظام البدن واستسمانها واستحسانها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال الوقوف بعرفة من شعائر الله والجمع من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والبدن من شعائر الله ومن يعظمها فانها من شعائر الله في قوله ومن يعظم شعائر الله فمن يعظمها فانها من تقوى القلوب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يعظم شعائر الله قال الشعائر الجمار والصفا والمروة من شعائر الله والمشعر الحرام والمزدلفة قال والشعائر تدخل في الحرم هي شعائر وهي حرم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر ان تعظيم شعائره وهي ما جعله اعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي أمرهم باداء ما افترض عليهم منها عندها والاعمال التي ألزمهم عملها في حجهم من تقوى قلوبهم لم يخصص من ذلك شيأ فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك وقال فانها من تقوى القلوب وأنث ولم يقل فانه لانه أريد بذلك فان تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الاوثان من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه ان ربك من بعدها لغفور رحيم وعنى بقوله فانها من تقوى القلوب فانها من وجل القلوب من خشية الله وحقيقة معرفتها بعظمته واخلاص توحيده ۞ القول في تاويل قوله تعالى (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) * اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده انها الى أجل مسمى على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فقال الذين قالوا عنى بالشعائر البدن معنى ذلك لكم أيها الناس في البدن منافع ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع وفي الاجل الذي قال عز ذكره الى أجل مسمى فقال بعضهم الحال التي أخبر الله جل ثناؤه ان لهم فيها منافع هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ولم يسمها بدنة ولم يقلدها فقالوا ومنافعها في هذه الحال شرب ألبانها وركوب ظهورها وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها قالوا والاجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه ان ذلك لعباده المؤمنين منها اليه هو الى ايجابهم اياها فاذا أوجبوها بطل ذلك ولم يكن لهم من ذلك شئ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال ما لم يسم بدنا حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الركوب والدر والولد فاذا سميت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها حتى تصير بدنا قال حدثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد بمثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال في أشعارها وأوبارها وألبانها قبل ان تسمى بدنة قال حدثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى قال في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل ان تسمى هديا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله وزاد فيه وهي الاجل المسمى حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء انه قال في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال منافع

فى ألبانها وظهور زها وأوبارها الى أجل مسمى الى أن تتقلد **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثل ذلك **حدثنى** يعقوب قال قال ابن علية سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى يقول فى ظهورها وألبانها فاذا قلدت فمحلها الى البيت العتيق * وقال آخرون من قال الشعائر البدن فى قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب والهاء فى قوله لكم فيها من ذكر الشعائر ومعنى قوله لكم فيها منافع لكم فى الشعائر التى تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أوهديا بان تركبوا ظهورها اذا احتجتم الى ذلك وتشربوا ألبانها ان اضطررتم اليها قالوا والاجل المسمى الذى قال جل ثناؤه الى أجل مسمى الى ان تنحر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح عن عطاء لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال هو ركوب البدن وشرب لبنها ان احتاج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال الى ان تنحر قال له ان يحمل عليها العيى والمنقطع به من الضرورة كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة اذا احتاج اليها سيدها ان يحمل عليها ويركب عند منهوكه قلت لعطاء ما قال الرجل الراجل ؟ والمنقطع به والمتبع وان نتجت ان يحمل عليها ولدها ولا يشرب من لبنها الا فضلا عن ولدها فان كان فى لبنها فضل فليشرب من أهداها ومن لم يهدها وأما الذين قالوا معنى الشعائر فى قوله ومن يعظم شعائر الله شعائر الحج وهى الاماكن التى ينسك عندها الله فانهم اختلفوا أيضا فى معنى المنافع التى قال الله لكم فيها منافع فقال بعضهم معنى ذلك لكم فى هذه الشعائر التى تعظمونها منافع بتجارتكم عندها وبيعكم وشرائكم بحضرتها وتسوقكم والاجل المسمى الخروج من الشعائر الى غيرها ومن المواضع التى ينسك عندها الى ما سواها فى قول بعضهم **حدثنى** الحسن بن على الصدائى قال ثنا أبو اسامة عن سليمان الضبى عن عاصم بن أبى النجود عن أبى رزين عن ابن عباس فى قوله لكم فيها منافع قال أسواقهم فانه لم يذكر منافع الا الدنيا **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى قال والاجل المسمى الخروج منه الى غيره * وقال آخرون منهم المنافع التى ذكرها الله فى هذا الموضع العمل لله بما أمر من مناسك الحج قالوا والاجل المسمى هو انقضاء أيام الحج التى ينسك لله فيهن ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فقرأ قول الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فى تلك الشعائر منافع الى أجل مسمى اذا ذهبت تلك الايام لم تر أحدا باتى عرفة يقف فيها يبتغى الاجر ولا المزدلفة ولا رمى الجمار وقد ضربوا من البلدان لهذه الايام الى فيها المنافع وانما منافعها الى تلك الايام وهى الاجل المسمى ثم محلها حين تنقضى تلك الايام الى البيت العتيق * قال أبو جعفر وقد دللنا قبل على ان قول الله تعالى ذكره ومن يعظم شعائر الله معنى به كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما للمناسك التى خلقه اذ لم يخصص من ذلك جل ثناؤه شيأ فى خبر ولا عقل واذ كان ذلك كذلك فمعلوم ان معنى قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى هذه الشعائر منافع الى أجل مسمى فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا فمنافعها لكم من حين تملكون الى ان أو يبتوها هديا وبدنا وما كان منها أماكن ينسك لله عندها فمنافعها التجارة لله عندها والعمل لله بما أمر به الى الشخوص عنها وما كان منها أوقاتا بان يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج والطواف فيها بالتجارة الى ان يطاف بالبيت فى بعض أو لوان الحرم فى بعض ويخرج عن الحرم فى بعض واختلف الذين ذكرنا اختلافهم فى تأويل قوله لكم فيها منافع الى أجل مسمى فى تأويل قوله ثم محلها الى البيت العتيق فقال الذين قالوا عنى بالشعائر فى هذا الموضع البدن معنى ذلك ثم محل البدن الى ان تبلغ مكة وهى التى بها البيت العتيق ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ثم محلها الى البيت العتيق الى مكة **حدثنى** محمد بن عمرو قال

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ثم محلها حين تسعى هديا الى البيت العتيق قال الكعبة أعتقها من الجبابرة فوجه هؤلاء تاويل ذلك الى ثم منحر البدن والهدايا التي أوجبوها الى أرض الحرم وقالوا عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها وقالوا وذلك نظير قوله فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد الحرم كله * وقال آخرون معنى ذلك ثم محلكم أيها الناس من مناسككم حيث الى البيت العتيق ان تطوفوا به يوم النحر بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى ثم محلها الى البيت العتيق قال محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت * وقال آخرون معنى ذلك ثم محل منافع أيام الحج الى البيت العتيق بانقضائها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم محلها الى البيت العتيق حين تنقضي تلك الايام أيام الحج الى البيت العتيق * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع الى أجل مسمى الى البيت العتيق فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبوافاته الحرم في الحرم وما كان من نسك فالطواف بالبيت وقد بينا الصواب من ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر ﴿القول في تاويل قوله تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) يقول تعالى ذكره ولكل أمة ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الايمان بالله أيها الناس جعلنا ذبحا يريقون دمه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام بذلك لان من البهائم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير وقيل انما قيل للبهائم بهائم لانها لا تتكلم * وبنحو الذي قلنا في تاويل قوله جعلنا منسكا قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولكل أمة جعلنا منسكا قال اهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فالهكم اله واحد يقول تعالى ذكره فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فالهكم اله واحد لا شريك له فاياه فاعبدوا وله أخلصوا الالوهة وقوله فله أسلموا يقول فلالهكم فاخضعوا بالطاعة له وذلوا بالاقرار بالعبودية وقوله وبشر المخبتين يقول تعالى ذكره وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة المذعنين له بالعبودية المنيبين اليه بالتوبة وقد بينا معنى الاخبات بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا * وقد اختلف أهل التاويل في المراد في هذا الموضع فقال بعضهم أريد به وبشر المطمئنين الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قوله وبشر المخبتين المطمئنين الى الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وبشر المخبتين قال المطمئنين حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وبشر المخبتين قال المتواضعين * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس قال المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي قال ثني عثمان بن عبد الله بن أوس عن عمرو بن أوس مثله ﴿القول في تاويل قوله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فهذا من نعت المخبتين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبشر يا محمد المخبتين الذين تخضع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال لا تقسو

الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واعترض على هذا القول بان معنى القلب

كيف يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والقاسية قلوبهم وهم المشركون وأجيب بانه اذا قوى المعنى اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الافعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة لمن ضعفت عقيدته في النبي والحاصل ان الرسل لا ينفكون عن السهو وان كانوا معصومين عن العمد فعلمهم ان لا يتبعوا الا ما يقطعون به لصدوره عن علم وذلك هو المحكم وذهب أبو مسلم الى أن حاصل الآية هو ان كل نبي من جنس البشر الذين هم بصدد الخطأ والنسيان من قبل وساوس الشيطان ووجه النظم بين هذه الآية والتي قبلها انه أمر بان يقول اني لكم نذير لكني من البشر لا من الملائكة ولم يرسل الله قبلي ملكا بل أرسل رجالا يوسوس الشيطان اليهم وعلى هذا فالملائكة لعدم امكان استيلاء الشيطان عليهم أعظم درجة من الانبياء وأقوى حالا منهم وقال صاحب الكشاف المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هميراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت وهو أن لا ينزل عليه ما ينفر أمته ولا يوافق هواهم مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك حتى سبق لسانك فقلت تلك الغرانيق الى آخره وسبب التمكين ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب التائبين ويزيد في عقاب المذنبين فهذه جملة أقوال المفسرين في الآية وأما قوله

قلوبهم

آياته فالمراد بالآيات هى آيات القرآن أى يجعلها بحيث لا يختلط بها شئ من كلام غيره فتكون ثابتة فى مكانها أو يجعلها بحيث لا يتطرق اليها تأويل فاسد معمول به عند الامة ويحتمل أن يكون المراد باحكام الآيات الارشاد الى أدلة الاحكام الشرعية وقوله وان الظالمين أراد المنافقين والمشركين المذكورين الا انه وضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم والشقاق البعيد والمعاداة الكاملة واعلم انه سبحانه ذكر لتمكين الشيطان من الالقاء فى الامنية أثرين أحدهما فى حق غير أهل الايمان وهم أهل النفاق والشرك وذلك قوله ليجعل الآية وثانيهما فى حق المؤمنين العارفين بالله وصفاته وهو قوله وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق قال مقاتل يعنى القرآن وعن الكلبى أى النسخ قال جار الله أى تمكين الشيطان من الالقاء قلت أما عند الاشاعرة فلان المالك له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء وأما عند المعتزلة فلان أفعاله جارية على وفق الحكمة والتدبير فتخيت تخضع وتطمئن له قلوبهم بناء على أصلى الفريقين والصراط المستقيم ههنا فسروه بالتأويلات الصحيحة والبيانات المطابقة للاصول قلت وتفسيره بمعنى أعم من ذلك غير ضائر ثم بين ان الاعصار الى قيام الساعة لا تخلو ممن يكون فى شك من القرآن والرسول واليوم العظيم قيل يوم بدر لانه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه أو لانه لا خير فيه لكفار من قولهم ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح

قلوبهم والصابرين على ما أصابهم من شدة فى أمر الله ونالهم من مكروه فى جنبه والمقيمى الصلاة المفروضة ومما رزقناهم من الاموال ينفقون فى الواجب عليهم انفاقها فيه فى زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفى سبيل الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى ذكره والبدن وهى جمع بدنة وقد يقال لواحدها بدن واذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا ويدل على انه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز

على حين ألهى الناس الامورا * صوم شهور وجبت نذورا
وحلق رأسى وافيا مضفورا * وبدنا مدرعا موفورا

والبدن هو الضخم من كل شئ ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الحورنق والسدير البدن لضخمه واسترخاء لحمه فانه يقال قد بدن تبدينا فمعنى الكلام والابل العظام الاجسام الضخام جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله يقول من اعلام أمر الله الذى أمركم به فى مناسككم اذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك وشعارا لكم وفعلتم ذلك من الابل والبقر كما حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن ابن جريج قال قال عطاء والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال البقرة والبعير وقوله لكم فيها خير يقول لكم فى البدن خير وذلك الخير هو الاجر فى الآخرة بنحرها والصدقة بها وفى الدنيا الركوب اذا احتاج الى ركوبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لكم فيها خير قال أجر ومنافع فى البدن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اللبن والركوب اذا احتاج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير قال اذا اضطررت الى بدنتك ركبتها وشربت من لبنها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم لكم فيها خير من احتاج الى ظهر البدنة ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف يقول تعالى ذكره فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم اياها صواف * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار فاذكروا اسم الله عليها صواف بمعنى مصطفة واحدها صافة وقد صفت بين أيديها وروى عن الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وجماعة أخر معهم انهم قرؤا ذلك صوافى بالياء منصوبة بمعنى خالصة لله لا شريك له فيها صافية له وقرأ بعضهم ذلك صواف باسقاط الياء وتنوين الحرف على مثال عواد وروى عن ابن مسعود انه قرأه صوافن بمعنى معقلة * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها لاجماع الحجة من القراء عليه بالمعنى الذى ذكرناه ان قرأه كذلك ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف قال الله أكبر الله أكبر اللهم منك ولك قياما على ثلاث أرجل فقيل لابن عباس ما نصنع بحلودها قال تصدقوا بها واستمتعوا بها حدثنى محمد بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله صواف قال قائمة قال يقول الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن أبى ظبيان عن ابن عباس فاذكروا اسم الله عليها صواف قال قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله والله أكبر اللهم منك ولك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله صواف قال معقولة احدى يديها قال قائمة على ثلاث قوائم حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله

فاذ كراسم الله عليها صوافي يقول قياما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي والصوافي ان تعقل قائمة واحدة وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء قال أخبرني بجير بن سالم قال رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته قال فقال صوافي كما قال الله قال فنحرها وهي قائمة معقولة احدى يديها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ليث عن مجاهد قال الصوافي اذا عقلت رجلها وقامت على ثلاث قال **حدثنا** ليث عن مجاهد في قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال صوافي بين أوظافها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صوافي قال قيام صوافي على ثلاث قوائم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال بين وظفائها قياما **حدثنا** ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن نافع عن عبد الله انه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقيود قال هي التي ذكر الله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي **حدثنا** ابن حميد قال ثني جرير عن منصور عن رجل عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال قلت له قول الله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال اذا أردت ان تنحر البدنة فانحرها وقل الله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك ثم سم ثم انحرها قلت فاقول ذلك للاضحية قال وللاضحية ذكر من تاوله بتأويل من قرأه صوافي بالياء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن انه قال فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال مخلصين قال **حدثنا** ابن ثور عن معمر قال قال الحسن صوافي خالصة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن صوافي خالصة لله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن شقيق الضبي فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصة قال **حدثنا** عبد الرحمن قال ثنا أعين بن ناثل قال سألت طاوسا عن قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذ كروا اسم الله عليها صوافي قال خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون يجعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله تعالى * ذكر من تاوله بتأويل من قرأه صوافن **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود فاذ كروا اسم الله عليها صوافن أي معقلة قياما **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود فاذ كروا اسم الله عليها صوافن قال أي معقلة قياما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأها صوافن قال معقولة قال ومن قرأها صواف قال نصف بين يديها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاذ كروا اسم الله عليها صواف يعني صوافن والبدنة اذا نحرت عقلت يدها واحدة فكانت على ثلاث وكذلك تنحر * قال أبو جعفر وقد تقدم بيان أولى هذه الاقوال بتأويل قوله صواف وهي المصطفة بين أيديها المعقولة احدى قوائمها وقوله فاذا وجبت جنوبها يقول فاذا سقطت فوقعت جنوبها الى الارض بعد النحر فكلوا منها وهو من قولهم قد وجبت الشمس اذا غابت فسقطت للمغيب ومنه قول أوس بن حجر

ألم تكسف الشمس والبدر * والكواكب للجبل ٧ الواجب

يعني بالواجب الواقع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاذا وجبت جنوبها سقطت الى الارض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا فرغت ونحرت **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا

شعرا أولان يوم الحرب يقال له العقيم من المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا بقي الحرب بلا أبناء وعن الضحاك انه يوم القيامة لانهم لا يرون فيه خيرا أولان كل ذات حمل تضع فيه حملها أو لانه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على عدم الولادة ولا تكرار على هذا القول لان المراد بالساعة مقدماته أو المراد حتى تاتيهم الساعة أو ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم مقام الضمير واستحسن بعض الائمة قول الضحاك ورجحه لان الاول يلزم منه ان الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر وليس كذلك فانهم في مرية بعد يوم بدر أيضا ويمكن أن يقال أو للعطف على أول الآية فيكون المراد بالذين كفروا في الاول الجنس وفي الثاني العهد سلمنا انه للعطف على تاتيهم الان اللام في الذين كفروا للجنس فيقع على الذين ما انتهى شكهم الى يوم القيامة ويحتمل أن يراد بالساعة وقت موت كل واحد وبعذاب يوم عقيم القيامة ثم بين انه لا مالك يوم تاتي الساعة الا الله وانه يحكم بين الناس فميز من أهل الجنة وأهل النار ثم أفرد المهاجرين بالذكر تخصيصا لهم بمزيد التشريف يروى ان طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا قال بعض المفسرين هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم هم الذين خرجوا

اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد فاذا وجبت نحرت **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا وجبت جنوبها قال اذا نحرت **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا وجبت جنوبها قال فاذا ماتت وقوله فكلوا منها وهذا مخرجه مخرج الامر ومعناه الاباحة والاطلاق يقول الله فاذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها وليس بامر ايجاب وكان ابراهيم النخعي يقول فى ذلك ما **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فاكلوا منها فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن حصين عن مجاهد قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل فهي بمنزلة اذا حللتم فاصطادوا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر يقول يأكل منها ويطعم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن وأخبرناه مغيرة عن ابراهيم وأخبرنا حجاج عن عطاء وأخبرنا حصين عن مجاهد فى قوله فكلوا منها قال ان شاء أكل وان شاء لم يأكل قال مجاهد هي رخصة هي كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ومثل قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله وأطعموا القانع والمعتر يقول فاطعموا منها القانع * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالقانع والمعتر فقال بعضهم القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم ولا يسأل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فى قوله واطعموا القانع والمعتر قال القانع المستغني بما أعطيته وهو فى بيته والمعتر الذي يتعرض لك ولم يكره ان تطعمه من اللحم ولا يسأل وهؤلاء الذين امر أن يطعموا من البدن **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال القانع جارك الذي يقنع بما أعطيته والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسالك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول فى هذه الآية واطعموا القانع والمعتر القانع الذي يقنع بالشئ اليسير يرضى به والمعتر الذي مر بجانبك لا يسأل شيأ فذلك المعتر * وقال آخرون القانع الذي يقنع بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يعتريك فيسألك ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله القانع والمعتر يقول القانع المتعفف والمعتر يقول السائل **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول القانع أهل مكة والمعتر الذي يعتريك فيسألك **حدثني** أبو السائب قال ثنا عطاء عن خصيف عن مجاهد فذكر مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثني كعب بن فروخ قال سمعت قتادة يحدث عن عكرمة فى قوله القانع والمعتر قال القانع الذي يقعد فى بيته والمعتر الذي يسأل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال القانع المتعفف الجالس فى بيته والمعتر الذي يعتريك فيسالك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال القانع والمعتر قال القانع الطامع بما قبلك ولا يسألك والمعتر الذي يعتريك ويسألك **حدثني** نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وابراهيم قالا القانع الجالس فى بيته والمعتر الذي يسألك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع بما فى يديه والمعتر الذي يعتريك ولكليهما عليك حق يا ابن آدم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذي يجلس فى بيته والمعتر الذي يعتريك * وقال آخرون القانع هو السائل والمعتر هو الذي يعتريك ولا يسال ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا يونس عن الحسن قال القانع الذي يقنع اليك ولا يسألك والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن فى هذه

لانها حلال وقال الاصم العلم والفهم كقول شعيب ورزقني منه رزقا حسنا وضعف الوجهان بانهما ممتنعان بعد القتل أو الموت قال العلماء وانما تظهر هذه الفضيلة للمهاجرين فى مزيد الدرجات والا فلابد من شرط اجتناب الكبائر كما فى حق غيرهم وان الله لهو خير الرازقين لان رزق غيره ينتهي اليه وغيره لا يقدر على مثل رزقه ولان رزقه لا يختلط بالمن والاذى ولا بغرض من الاغراض الفاسدة ولانه يرزق ويعطي ما به يتم الانتفاع بالرزق من القوى والحواس وغير ذلك من الشرائط الوجودية والعدمية قالت المعتزلة فى الآية دلالة على ان غير الله لا يقدر على الفعل وهو الرزق ويمكن أن يجاب بانه مجاز أو على سبيل الفرض والتقدير وليس فى الآية دليل ظاهر على ان المهاجر المقتول والمهاجر الميت على فراشه هل يستويان فى الاجزام لابل المعلوم منها هو الجمع بينهما فى الوعد وقد يستدل على التسوية بما روى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقتول فى سبيل الله والمتوفى فى سبيل الله بغير قتل هما فى الاجر شريكان فان لفظ الشركة مشعر بالتسوية وحين بين رزقهم شرع فى ذكر مسكنهم قيل فى المدخل الذي يرضونه خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال أبو القاسم القشيري هو أن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم وقال ابن عباس يرون فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

فيرضونه ولا يبغون عنها حولا وان الله عليم حتى يتوب فيدخل الجنة ثم بين انه مع اكرامه لهم فى الآخرة لا يدع نصرهم فى الدنيا قبل ان يقتلوا أو يموتوا فقال ذلك قال الزجاج أى الامر ما قصصنا عليكم من انجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا أو ماتوا عن مقاتل ان قوما من المشركين لقوا قوما من المسلمين ليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحلوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فابوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت لهم المسلمون فنصروا فوقع فى أنفس المسلمين شئ من القتال فى الشهر الحرام فنزل ومن عاقب أى قاتل بمثل ما عوقب به أى كما ابتدئ بقتاله سمى الابتداء باسم الجزاء للطباق وللملابسة من حيث ان ذلك سبب وهذا مسبب عنه ثم بغى عليه أى ثم كان المجازى مبغيا عليه أى مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لان كونه مبدوأ بالقتال معه نوع ظلم كما قيل البادى أظلم وهو موجب لنصرته ظاهرا الا ان كونه فى نفس الامر مظلوما هو السبب الاصلى فى النصرة وعن الضحاك ان الآية مدنية وهى فى القصاص والجراحات واستدل الشافعى بها فى وجوب رعاية المماثلة فى القصاص فقال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه وفى ختم الآية بذكر العفو والمغفرة وجوه منها ان المندوب اليه هو ان يعفو عن الجانى كقوله فمن عفا وأصلح فاجره على الله

الآية وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع والمعتر الذى يعتريك قال وقال الكلبى القانع الذى يسألك والمعتر الذى يعتريك يتعرض ولا يسألك **حدثنى** نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا الحمارى عن سفيان عن يونس عن الحسن فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يسألك والمعتر الذى يتعرض لك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه قال قال سعيد بن جبير القانع السائل **حدثنى** محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنى غالب قال ثنى شريك عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير فى قوله القانع قال هو السائل ثم قال اما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغنى * مفاقره أعف من القنوع

قال من السؤال **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن انه قال فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع الذى يقنع اليك يسألك والمعتر الذى يريك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشام قال أخبرنا منصور ويونس عن الحسن قال القانع السائل والمعتر الذى يتعرض ولا يسأل **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عباس قال قال زيد بن أسلم القانع الذى يسأل الناس * وقال آخرون القانع الجار والمعتر الذى يعتريك من الناس ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال القانع جارك وان كان غنيا والمعتر الذى يعتريك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبى نجيح قال قال مجاهد فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع جارك الغنى والمعتر من اعتراك من الناس **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأطعموا القانع والمعتر انه قال أحدهما السائل والآخر الجار * وقال آخرون القانع الطواف والمعتر الصديق الزائر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنى أبى وشعيب ابن الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن ابن أبى هلال قال قال زيد بن أسلم فى قول الله تعالى القانع والمعتر فالقانع المسكين الذى يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذى يزور * وقال آخرون القانع الطامع والمعتر الذى يعتر بالبدن ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القانع قال الطامع والمعتر من يعتر بالبدن من غنى أو فقير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال القانع الطامع * وقال آخرون القانع هو المسكين والمعتر الذى يتعرض للحم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأطعموا القانع والمعتر قال القانع المسكين والمعتر الذى يعتر للقوم للحمهم وليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجىء الى القوم من أجل لحمهم والبائس الفقير هو القانع * وقال آخرون بما **حدثنا** به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فرات عن سعيد بن جبير قال القانع الذى يقنع والمعتر الذى يعتريك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن بمثله قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ومجاهد القانع والمعتر القانع الجالس فى بيته والمعتر الذى يتعرض لك * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عنى بالقانع السائل لانه لو كان المعنى بالقانع فى هذا الموضع المكتفى بما عنده والمستغنى به لقيل وأطعموا القانع والسائل ولم يقل وأطعموا القانع والمعترو فى اتباع ذلك قوله والمعتر الدليل الواضح على ان القانع معنى به السائل من قولهم قنع فلان الى فلان بمعنى سال وخضع اليه فهو يقنع قنوعا ومنه قول لبيد

وأعطانى المولى على حين فقره * اذا قال ابصر خلتى وقنوعى

وأما القانع الذى هو بمعنى المكتفى فانه من قنعت به بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا وقوله كذلك سخرناها لكم يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس لعلكم تشكرون على تسخيرها لكم

القول فى تاويل قوله تعالى (ان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك

سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) يقول تعالى ذكره لم يصل الى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله اتقاؤكم اياه ان اتقيتموه فيها فافردتم بها وجهه وعملتم فيها بما ندبكم اليه وأمركم به فى أمرها وعظمتم بها حرماته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قول الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ما أريد به وجه الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال ان اتقيت الله فى هذه البدن وعملت فيها لله وطاعته ما قال الله تعظيما لشعائره ولحرمات الله فانه قال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه قال وجعلته طيبا فذلك الذى يتقبل الله فاما اللحوم والدماء فمن أين ينال الله وقوله كذلك سخرها لكم يقول هكذا سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هداكم يقول كى تعظموا الله على ما هداكم يعنى على توفيقه اياكم لدينه وللنسك فى حجكم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لتكبروا الله على ما هداكم قال على ذبحها فى تلك الايام وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فاحسنوا فى طاعتهم اياه فى الدنيا بالجنة فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) يقول تعالى ذكره ان الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله ورسوله ان الله لا يحب كل خوان يخون الله فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ويطيع الشيطان كفور يقول لجحود لنعمه عنده لا يعرف لنعمها حقه فيشكره عليها وقيل انه عنى بذلك دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) يقول تعالى ذكره أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين فى سبيله بان المشركين ظلموهم بقتالهم * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء بترك تسمية الفاعل فى أذن ويقاتلون جميعا وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة أذن بترك تسمية الفاعل ويقاتلون بكسر التاء بمعنى يقاتل المأذون لهم فى القتال المشركين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله ويقاتلون بكسر التاء بمعنى ان الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى لان الذين قرؤا أذن على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه فى التأويل الى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمى فاعله فان من قرأ يقاتلون ويقاتلون بالكسر أو الفتح فقريب بمعنى أحدهما من معنى الآخر وذلك ان من قاتل انسانا فالذى قاتله له مقاتل وكل واحد منهما مقاتل فاذ كان ذلك كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فمصيب الصواب غير ان أحب ذلك الى ان أقرأ به أذن بفتح الالف بمعنى أذن الله لقرب ذلك من قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أذن الله فى الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم فيرد أذن على قوله ان الله لا يحب وكذلك أحب القراءات الى فى يقاتلون كسر التاء بمعنى الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم انه لا يحبهم فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض وقد اختلف فى الذين عنوا بالاذن لهم بهذه الآية فى القتال فقال بعضهم عنى به نبى الله وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير يعنى محمدا وأصحابه اذ اخرجوا من مكة الى المدينة يقول الله فان الله على نصرهم لقدير وقد فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال رجل أخرجوا نبيهم فنزلت أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الآية الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن

ولو حذف ذكرها تين الصفتين بما هو أولى بالمجنى عليه وهو العفو والصفح ومنها انه دل بذكرهما على انه قادر على العقوبة لان العفو عند المقدرة ثم بين ان ذلك النصر بسبب انه قادر ومن كمال قدرته ايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وذلك ان زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر وأراد تحصيل أحد العرضين الظلام والضياء فى مكان الآخر وقد مر فى أوائل آل عمران وفيه ان خالق الليل والنهار ومصرف الادوار والاكوار لا يخفى عليه شئ من الزمانيات خيرا أو شرا انصافا أو بغيا وأكد هذا المعنى بقوله ان الله سميع بصير يسمع أقوال الخلائق ويبصر أفعالهم ثم بين ان كمال القدرة والعلم هو يقتضى وجوب الوجود فقال ذلك أى الوصف بخلق الملوين وبالاحاطة بما يجرى فيهما بسبب ان الحقيقة منحصرة فى ذاته وان وجود غيره ولاسيما الاونان موسوم بالبطلان فلا نقص كالامكان ويعلم مما ذكر انه لا شئ أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا وانما قال ههنا من دونه هو الباطل بزيادة هو وفى لقمان من دونه الباطل لان هذا وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين ولهذا أيضا يثبت اللام فى قوله وان الله لهو الغنى الحميد بخلاف ما فى لقمان وأيضا يمكن أن يقال تقديم فى هذه السورة ذكر الشيطان

فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمان فانه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بخلاف ما ذكر هنا ثم ذكر أنواعا أخر من دلائل قدرته

ونعمته فقال ألم تر قيل هي رؤية البصر لان نزول الماء من جهة السماء أو احضرار النبات من المعدن وقيل بمعنى العلم لان الرؤية اذا لم يقترن بها العلم لم يعتد بها وفي قوله فتصبح دون ان يقول فاصبحت مناسبا لانزل اشارة الى بقاء أثر المطر زمانا طويلا وان كان ابتداء الاصباح عقيب النزول نظيره قول القائل أنعم فلان على عام كذا فاروح وأغدو شاكرا له ولو قال فرحت وغدوت لم يقع ذلك الوقع وانما لم ينصب فتصبح جوابا للاستفهام لانهم عكس ماهو المقصود لانه توهم نفي الاخضرار بالكلية قلت لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر ان نصبته أوهمت انك كاف لشكره شاكر تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت لشكره بطريق الاستمرار ولا يبعد أن تكون هذه الآية اشارة الى دليل الاعادة كما في أول السورة وهذا قول أبي مسلم ان الله لطيف خبير قال الكلبي لطيف في أفعاله خبير بأعمال خلقه وقال مقاتل لطيف باستخراج النبت خبير بكيفية خلقها وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خبير بما في قلوبهم من القنوط وقد مر مثل هذه في أواسط الانعام ثم بين ان كل ما في السموات والارض ملكه وملكه لا يمتنع شيء منها من تصرفاته وهو غني عن كل ذلك وانما خلقها لحاجة المكلفين اليها ومن جملتها المطر والنبات خلقها رحمة للحيوانات وانعاما عليها واذا كان انعامه خاصا عن غرض عائد اليه كان مستحقا للحمد لذاته وجيد في ذاته وان لم يحمده الحامدون * التأويل وكأين من قرية قالب أهلكناها بضيق الصدر وسوء الخلق واستيلاء الغفلة

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن قال ابن عباس فانزل الله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال أبو بكر فعرفت انه سيكون قتال وهي أول آية نزلت قال ابن داود قال ابن اسحق كانوا يقرؤن أذن ونحن نقرأ أذن **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال فقال أبو بكر قد علمت انه يكون قتال والى هذا الموضع انتهى حديثه ولم يزد عليه **حدثني** محمد ابن خلف العسقلاني قال ثنا محمد بن يوسف قال ثنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر انا لله وانا اليه راجعون أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليهلكن جميعا فانزلت أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق عرف أبو بكر انه سيكون قتال **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين وقرأ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال هؤلاء المؤمنون **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ٧ * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية قوم باعيانهم كانوا اخرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة فمنعوا من ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال اناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فكانوا يمنعون فاذن الله للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة وكانوا يمنعون فادركهم الكفار فاذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم قال ابن جريج يقول أول قتال أذن الله به للمؤمنين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في حرف ابن مسعود أذن للذين يقاتلون في سبيل الله قال قتادة وهي أول آية أنزلت في القتال فاذن لهم ان يقاتلوا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال هي أول آية أنزلت في القتال فاذن لهم ان يقاتلوا وقد كان بعضهم يزعم ان الله انما قال أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الكفار اذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة فيقول سرا فانزل الله في ذلك ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة اطلق لهم قتلهم وقتالهم فقال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت وقوله وان الله على نصرهم لقدير يقول جل ثناؤه وان الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر وقد نصرهم فاعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بايديهم ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وليتصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق فالذين الثانية رد على الذين الاولى وعنى بالمخرجين من دورهم المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة وكان اخراجهم اياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الايمان بالله ورسوله وسبهم بعضهم بالسنتهم وعيبهم اياهم حتى اضطروهم الى الخروج عنهم وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق لانهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق فلذلك قال جل ثناؤه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقوله الا أن يقولوا ربنا الله يقول تعالى ذكره

ثم

لم يخرجوا من ديارهم الا بقولهم ربنا الله وحده لا شريك له فان في موضع خفض ردا على الباء في قوله بغير حق وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض * اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض دفع المشركين بالمسلمين * وقال آخرون معنى ذلك ولولا القتال والجهاد في سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال لولا القتال والجهاد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولولا دفع الله باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن بعدهم من التابعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد قال ثنا يعقوب بن ابراهيم عن سيف بن عمر عن أبي روق عن نابت بن وسيعة الحضرمي قال ثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله منهم لاحق بن الاقمر والعيزار بن جزول وعطية القرظي ان عليا رضي الله عنه قال انما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا دفاع الله باصحاب محمد عن التابعين لهدمت صوامع وبيع * وقال آخرون بل معنى ذلك لولان الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض الناس على بعض ممن لا نجوز قبول شهادته وغيره فاحيا بذلك مال هذا ودفع به عن دم هذا وتركوا الظالم من أجله لتظالم الناس فهدمت صوامع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يقول دفع بعضهم بعضا في الشهادة وفي الحق وفيما يكون من قبل هذا يقول لولاهم لاهلكت هذه الصوامع وما ذكرمعها * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر انه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض كفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه بعضهم التظالم كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ونحو ذلك وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمي جل ثناؤه ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل انه عنى من ذلك بعضا دون بعض ولا جاء بان ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا وقوله لهدمت صوامع * اختلف أهل التأويل في المعنى الصوامع فقال بعضهم عنى بها صوامع الرهبان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع في هذه الآية لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لهدمت صوامع قال صوامع الرهبان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لهدمت صوامع الرهبان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال الضحاك يقول في قوله لهدمت صوامع الصغار بينونها * وقال آخرون بل هي صوامع الصابئين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة صوامع قال هي للصابئين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * واختلفت القراء في قراءة قوله لهدمت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة لهدمت خفيفة وقرأته عامة قراء أهل الكوفة والبصرة لهدمت بالتشديد بمعنى تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة وا تشديد في ذلك أعجب القراءتين الى لان ذلك من أفعال أهل الكفر لذلك وأما قوله وبيع فانه يعني بها بيع النصارى * وقد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم مثل الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى

والحواس السليمة أقلم يسيروا في أرض البشرية عابرين على منازل السالكين الى أن يصلوا الى مقام القلب فتكون لهم قلوب يعقلون بها الرحمن بذاته أو آذان قلوب يتسمعون بها أقواله أو أبصار بصائر يبصرون بها أفعاله واذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفه بسائر وجوه الادراكات فقد يدرك نسيم الاقبال بمشام السر كقوله * اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن وكقول يعقوب اني لاجد ريح يوسف ولن يخلف الله وعده ليس خلفه في وعد المؤمنين بخلف في الحقيقة لانه تصديق قوله سبقت رحمتي غضبي واما يوما عند ربك كالف سنة قيل لانه موجد الزمان وليس عنده صباح ولا مساء فوجود الزمان وعدمه وكثرته وقلته سواء عنده والاستعجال وضده انما يتصور في المتزمنات قلت ففيه ان الكل بارادته وان ما أراد الله فاسبابه متهيئة يحصل في يوم بارادته ما لا يحصل في ألف سنة بحسب فرضنا وتقديرنا ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين أمليت لهافيه انه تعالى يمهل ولكنه لا يهمل لهم مغفرة أي ستر فهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه أعماله الصالحة صيانة له عن الملاحظة ومنهم من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهوة فتنة كما قيل شعر * لا تنكرن جعدي هواك فانما * ذاك الجود

قال ثنا داود عن رفيع و بيع قال بيع النصارى **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة و بيع للنصارى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البيع بيع النصارى * وقال آخرون عنى بالبيع في هذا الموضع كنائس اليهود ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال و بيع قال و كنائس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله و**حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله و بيع قال البيع الكنائس قوله وصلوات * اختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم عنى بالصلوات الكنائس ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله وصلوات قال يعني بالصلوات الكنائس **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وصلوات كنائس اليهود ويسمون الكنيسة صلوثا **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وصلوات كنائس اليهود **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون عنى بالصلوات مساجد الصابئين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود قال سألت أبا العالية عن الصلوات قال هي مساجد الصابئين قال **حدثنا** عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع نحوه * وقال آخرون هي مساجد للمسلمين ولاهل الكتاب بالطرق ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وصلوات قال مساجد لاهل الكتاب ولاهل الاسلام بالطرق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصلوات قال الصلوات صلوات أهل الاسلام تنقطع اذا دخل العدو عليهم انقطعت العبادة والمساجد تهدم كما صنع بختنصر وقوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول فقال بعضهم أريد بذلك مساجد المسلمين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قوله ومساجد قال مساجد المسلمين **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا قال المساجد مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون عنى بقوله ومساجد الصوامع والبيع والصلوات ذكر من قال ذلك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومساجد يقول في كل هذا يذكر اسم الله ولم يخص المساجد وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول الصلوات لا تهدم ولكن حمله على فعل آخر كأنه قال وتركت صلوات وقال بعضهم انما عنى مواضع الصلوات وقال بعضهم انما هي صلوات وهي كنائس اليهود تدعى بالعبرانية صلوثا * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك لهدمت صوامع الرهبان و بيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك هو المعروف في كلام العرب المستفيض فيهم وما خالفه من القول وان كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه اليه من وجهه اليه وقوله ولينصرن الله من ينصره يقول تعالى ذكره وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه فينصره على عبده معونته اياه ونصر العبد ربه جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا وقوله ان الله لقوي عزيز يقول تعالى ذكره ان الله لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أجل ولايته وطاعته عزيز في ملكه يقول منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا

أنانيته هو يقول انا الحق وسبحاني والرزق الكريم هو الخالي عن شوائب الحدوث لانه من القديم الكريم الا اذا تمنى فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بل الولي لا يليق به التمني بل ما على الرسول الا البلاغ ولا على الولي الا الرضا والتسليم فلو بقي في أحدهم أدنى ملاحظة لغير الله كالحرص على ايمان القوم فوق ما أمر به ابتلاه الله ببلاء مجال الشيطان في أمنيته بقول أو بعمل فتدركه العناية الازلية و يزيل الخاطر الشيطاني و يثبته على الخاطر الرحماني ولا يكون لدخان الفتنة تأثير في نور يقينه كما لا تأثير للضباب في شعاع الشمس بخلاف من في قلبه ظلم الشبهات فان ذلك الدخان يزيدها كدورة ورينا حتى تأتيهم ساعة سلب الاستعداد بالكلية أو يأتيهم عذاب يوم عقيم هو الابد لانه لا ليل له وهو عذاب قطيعة لا وصلة بعدها والذين هاجروا عن أوطان الطبيعة في طلب الحقيقة ثم قتلوا بسيف الصدق والرياضة حتى تزكوا أنفسهم أو ماتوا عن أوصاف البشرية ليرزقهم الله رزقا حسنا فرزق القلوب حلاوة العرفان ورزق الاسرار مشاهدات الجمال ورزق الارواح مكاشفات الجلال وان الله لهو خير الرازقين لانه يرزق من أوصاف ربوبيته كما قال صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ومن عاقب بالمجاهدة نفسه بمثل ما عاقبت النفس بالمخالفة قلبه ثم بغى

بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) يقول تعالى ذكره أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة والذين ههنا ردد على الذين يقاتلون ويعني بقوله ان مكناهم في الارض ان وطنا لهم في البلاد فقهروا المشركين وغلبوهم عليها وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة أطاعوا الله فاقاموا الصلاة بحدودها وآتوا الزكاة يقول واعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له وأمروا بالمعروف يقول ودعوا الناس الى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الايمان بالله ونهوا عن المنكر يقول ونهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذي ينكره أهل الحق والايمان بالله ولله عاقبة الامور يقول ولله آخر أمور الخلق يعني ان اليه مصيرها في الثواب عليها والعقاب في الدار الآخرة * وبنحو الذي قلنا في تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسين الاشيب قال ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان الذي يقال له الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال كان أمرهم بالمعروف انهم دعوا الى الاخلاص لله وحده لا شريك له ونهيهم عن المنكر انهم نهوا عن عبادة الاوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فاماليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله فذلك سنة اخوانهم من الامم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم فلا تصدنك ذلك فان العذاب المهين من ورائهم ونصري اياك واتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك كما أتى عذابي على أسلافهم من الامم الذين من قبلهم بعد الامهال الى بلوغ الآجال فقد كذبت قبلهم يعني مشركي قريش قوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وهم قوم شعيب يقول كذب كل هؤلاء رسلهم وكذب موسى فقيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى لان قوم موسى بنو اسرائيل وكانت قد استجابت له ولم تكذبه وانما كذبه فرعون وقومه من القبط وقد قيل انما قيل ذلك كذلك لانه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة وقوله فاماليت للكافرين يقول فاماهلت للاهل الكفر بالله من هذه الامم فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ثم أخذتهم يقول ثم أحللت بهم العقاب بعد الاملاء فكيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة وتنكيري لهم مما كنت عليه من الاحسان اليهم ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا يقول فكذلك فعلي بمكذبيك من قريش وان أمليت لهم الى آجالهم فاني منجز لك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم فاهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (وكاين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) يقول تعالى ذكره وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون يقول وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبدوه يعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه وقوله فهي خاوية على عروشها يقول فباد أهلها وخلت وخوت من سكانها فخربت وتداعت وتساقطت على عروشها يعني على بنائها وسقوفها كما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك فهي خاوية على عروشها قال خواؤها خرابها وعروشها سقوفها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة خاوية قال خربة ليس فيها أحد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقوله وبئر معطلة يقول تعالى وكاين من قرية أهلكناها ومن بئر عطلناها بافناء أهلها وهلاك واردها فاندفنت وتعطلت فلا واردة لها ولا شاربة منها ومن قصر مشيد رفيع بالصخور والجص قد خلا من

دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله

سلف غفورا لما بقي في نفوس الطالبين من الانانية يولج الليل في النهار تجلي وبالعكس أو يولج ليل القبض في نهار البسط أو ليل الهيبة في نهار الانس أنزل من سماء القلب ماء الحكمة فتصبح أرض البشرية مخضرة بالشريعة وأرض القلوب والارواح والاسرار بالعلوم والكشوف والانوار والله أعلم بالصواب (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من

سكانه بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية وكان بعض نحوي الكوفة يقول هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا وان لم يحسن فيهما على لان العروش أعالى البيوت والبئر في الارض وكذلك القصر لان القرية لم تخو على القصر ولكنه اتبع بعضه بعضا كما قال وحور عين كأمثال اللؤلؤ فعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وأهلها بئر معطلة وقصر مشيد ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها اتبعها في الاعراب العروش والمعنى ما وصفت * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله و بئر معطلة قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس و بئر معطلة قال التي قد تركت وقال غيره لا أهل لها **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة و بئر معطلة قال عطلها أهلها تركوها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله و بئر معطلة قال لا أهل لها * واختلف أهل التاويل في معنى قوله وقصر مشيد فقال بعضهم معناه وقصر مجصص ذكر من قال ذلك **حدثني** مطر بن محمد الضبي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة في قوله وقصر مشيد قال مجصص **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله **حدثني** محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثني غالب بن فائد قال ثنا سفيان عن هلال بن خباب عن عكرمة مثله **حدثني** الحسين بن محمد العنقزي قال ثني أبي عن اسباط عن السدي عن عكرمة في قوله وقصر مشيد قال مجصص **حدثني** مطر بن محمد قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان قال كنت أمشي مع عكرمة فرأى حائطا أحمر مصهرجا فوضع يده عليه وقال هذا المشيد الذي قال الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة وقصر مشيد قال المجصص قال عكرمة والجص بالمدينة يسمى الشيد **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة أو القصة **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقصر مشيد قال بالقصة يعني بالجص **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير في قوله وقصر مشيد قال مجصص هكذا هو في كتابي عن سعيد بن جبير * وقال آخرون بل معنى ذلك وقصر رفيع طويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقصر مشيد قال كان أهله شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقصر مشيد يقول طويل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عنى بالمشيد المجصص وذلك ان الشيد في كلام العرب هو الجص بعينه ومنه قول الراجز

* كجدة الحمام بين الطي والشيد * فالمشيد اذا هو مفعول من الشيد ومنه قول امرئ القيس

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * ولا أجما الا مشيدا بجندل

يعني بذلك الا البناء بالشيد والجندل وقد يجوز أن يكون معنيا بالمشيد المرفوع بناؤه بالشيد فيكون الذين قالوا عنى بالمشيد الطويل نحوا بذلك الى هذا التاويل ومنه قول عدي بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلسا * فلطير في ذراه وكور

وقد تاوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده اذا زينته به وذلك شبيه بمعنى من قال بمجصص ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانهم لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) يقول تعالى ذكره أفلم يسر واهؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد فينظروا الى مصارع ضرباتهم من مكذبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وأوطانهم ومساكنهم فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبيرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فمن كفر وعبد غيره وكذب رسله فينيبوا من عتوهم وكفرهم ويكون لهم اذا تدبروا ذلك واعتبروا به وآثروا الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا أو آذان يسمعون بها يقول أو آذان تصغي لسماع الحق فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل وقوله فانها لا تعمى الابصار يقول فانها لا تعمى أبصارهم أن يبصروا بها الاشخاص ويرونها بل يبصرون ذلك بأبصارهم ولكن تعمى قلوبهم التي في صدورهم عن ابصار الحق ومعرفته والهاء في قوله فانها لا تعمى هاء عماد كقول القائل انه عبد الله قائم وقد ذكر ان ذلك في قراءة عبد الله فانه لا تعمى الابصار وقيل لكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلوب لا تكون الا في الصدور توكيدا للكلام كما قيل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يقول تعالى ذكره ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم اياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم من احلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا ففعل ذلك ووفى لهم بما وعدهم فقتلهم يوم بدر * واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي يوم هو فقال بعضهم هو من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وان يوما عند ربك الآية قال هي مثل قوله في الم تنزيل سواء هو والآية * وقال آخرون بل هو من أيام الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن سمير بن نهار قال قال أبو هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم قلت وما نصف يوم قال أو ما تقرأ القرآن قلت بلى قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون حدثنا ابن بشار قال ثني عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد وان يوما عند ربك كألف سنة قال من أيام الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة انه قال في هذه الآية وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هذه أيام الآخرة في قوله ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال يوم القيامة وقرأ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب الى الخبر عن طول اليوم عند الله فقال بعضهم ان القوم استعجلوا العذاب في الدنيا فأنزل الله ولن يخلف الله وعده في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا وان يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدون في الدنيا * وقال آخرون قيل ذلك كذلك اعلاما من الله مستعجليه العذاب انه لا يعجل ولكنه يمهل الى أجل أجله وان البطيء عندهم قريب عنده فقال لهم مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدونه أنتم أيها القوم من أيامكم وهو عندكم بطيء وهو عندي قريب * وقال آخرون معنى ذلك وان يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة * والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك وذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ثم اتبع ذلك قوله وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة فأخبر عن املائه أهل القرية الظالمة

الدواب وغيرها وسخر لهم الفلك حال كونها جارية بأمره وهو تهيئة الاسباب المعاونة ودفع الاشياء المضادة لسهولة جريها ولا ريب ان الانتفاع بالارضيات لا يتأتى الا بعد الامن من وقوع السماء على الارض فمن الله تعالى على المكلفين بان حفظها كيلا تقع أو كراهة ان تقع على الارض وذلك بمحض الاقتدار عند أهل الظاهر أو بان جعل طبعها هو الاحاطة بما في ضمنها اذ لا خفة فيها ولا ثقل ولهذا خصت بالحركة على المركز وفي قوله الا باذنه اشارة الى ان الافلاك ستخرق وتنشق فتقع على الارض ويحتمل ان يقال توقيف الوقوع على الاذن لا يوجب حصول الاذن فالانخراق والانشقاق لا يستفاد من هذه الآية ثم ذكر الانسان مبدأ ومعاده فقال وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقد سبق هنالك وفي قوله ان الانسان لكفور زجرلهم عن الكفران بطريق التوبيخ وعن ابن عباس انه الكافر وبعضهم جعله أخص فقال هو أبو جهل واضرابه والاولى ارادة الجنس ثم عاد الى بيان ان أمر التكاليف مستقر على ما في هذه الشريعة فقال لكل أمة الآية قال في الكشاف انما فقد العاطف ههنا بخلاف نظائرها في السورة لان تلك مناسبة لما تقدمها وهذه مباينة لها قلت وذلك لان من ههنا الى آخر السورة عود ابعد ذكر المعاد الى الوسط

الذى هو حالة التكليف والاقرب ان المنسك فى هذه الآية هو الشريعة كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء وقيل أراد مكانا معينا لاداء الطاعات وقال مجاهد هو الذبائح ولا وجه للتخصيص ههنا والامة أعم من أن تكون قد بقيت آثارهم أو لم تبق اما الضمير فى قوله فلا ينازعنك فلابد من رجوعه الى الامم الباقية آثارهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج انه نهى له عن منازعتهم كما تقول لايضارنك فلان أى لاتضار به وذلك ان المغاظة تقتضى العكس ضمنا وقال فى الكشاف هو نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لاتلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة فى أمر الدين وكانوا يقولون فى الميتة ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ماقتله الله ومنه يعلم استقرار أمر الديانة على هذه الشريعة وان على كل أمة من الامم التى بقيت منها بقية ان يتبعوه ويتركوا مخالفته فلذلك قال وادع الى ربك أى لاتخص بالدعوة أمة دون أمة فان كلهم أمتك انك لعلى هدى مستقيم أى على دين وسط ودليل ظاهر وان أبوا الا الجدال فكل أمرهم الى الله قائلا الله أعلم بما تعملون وفيه وعيد وانذار مخلوط برفق ولكن الله يحكم بينكم أى يفصل بين المؤمنين والكافرين منكم ويحتمل ان يكون من تتمة المقول وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه للامم

وتركه معاجلتهم بالعذاب فبين بذلك انه عنى بقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون تنفى العجلة عن نفسه ووصفها بالاناءة والانتظار واذ كان ذلك كذلك كان تأويل الكلام وان يوما من الايام التى عند الله يوم القيامة يوم واحد كألف سنة من عددكم وليس ذلك عنده ببعيد وهو عندكم بعيد فلذلك لا يعجل بعقوبته من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير) يقول تعالى ذكره وكأين من قرية أمليت لها يقول أمهلتهم وأخرت عذابهم وهم بالله مشركون ولامره مخالفون وذلك كان ظلمهم الذى وصفهم الله به جل ثناؤه فلم أعجل بعذابهم ثم أخذتها يقول ثم أخذتها بالعذاب فعذبتها فى الدنيا باحلال عقوبتنا بهم والى المصير يقول والى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم فيلقون من العذاب حينئذ مالا انقطاع له يقول تعالى ذكره فكذلك حال مستعجليك بالعذاب من مشركى قومك وان أمليت لهم الى آجالهم التى أجلتها لهم فانى آخذهم بالعذاب فقاتلهم بالسيف ثم الى مصيرهم بعد ذلك فوجههم اذا عقوبتنا على ماقدموا من آثامهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الذى يجادلونك فى الله بغير علم اتباعا منهم لكل شيطان مريد يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم فى الدنيا وعذابه فى الآخرة فان تصلوه مبين يقول أبين لكم انذارى ذلك وأظهره لتنيبوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك لا أملك لكم غير ذلك فاما تعجيل العذاب وتأخيره الذى تستعجلونى به فالى الله ليس ذلك الى ولا أقدر عليه ثم وصف نذارته وبشارته ولم يجر للبشارة ذكر ولما ذكرت النذارة على عمل علم ان البشارة على خلافه فقال والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم لهم مغفرة يقول لهم من الله ستر ذنوبهم التى سلفت منهم فى الدنيا عليهم فى الآخرة ورزق كريم يقول ورزق حسن فى الجنة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم قال الجنة وقوله والذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول والذين عملوا فى حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا والاقرار بكتابنا الذى أنزلناه وقال فى آياتنا فادخلت فيه فى كما يقال سعى فلان فى أمر فلان * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله معاجزين فقال بعضهم معناه مشاقين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس انه قرأها معاجزين فى كل القرآن يعنى بالف وقال مشاقين * وقال آخرون بل معنى ذلك انهم ظنوا انهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى آياتنا معاجزين قال كذبوا بآيات الله فظنوا انهم يعجزون الله ولن يعجزه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وهذان الوجهان من التأويل فى ذلك على قراءة من قرأه فى آياتنا معاجزين بالالف وهى قراءة عامة قراء المدينة والكوفة وأما بعض قراء أهل مكة والبصرة فانه قرأه معجزين بتشديد الجيم بغير ألف بمعنى انهم عجزوا الناس وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله معجزين قال مبطئين يبطئون الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك ان من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم انهم كانوا يبطئون الناس عن الايمان

بالله واتباع رسوله ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انهم يعجزونه ويغلبونه وقد ضمن الله له نصره عليهم فكان ذلك معاجزتهم الله فاذ كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيب الصواب فى ذلك وأما المعاجزة فانها المفاعلة من العجز ومعناه مغالبة اثنين أحدهما صاحبه أيهما يعجزه فيغلبه الآخر ويقهره وأما التعجيز فانه التضعيف وهو التفعيل من العجز وقوله أولئك أصحاب الجحيم يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) قيل ان السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان كان ألقى على لسانه فى بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن مالم ينزله الله عليه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس قالا اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناد من أندية قريش كثير أهله فتنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شئ فينفروا عنه فانزل الله عليه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى فتكلم بهما ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد فى آخر السورة وسجد القوم جميعا معه ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود فرضوا بما تكلم به وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى ويميت وهو الذى يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده اذ جعلت لها نصيبا فنحن معك فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم قال فسمع من كان من المهاجرين بارض الحبشة ان أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد المدنى عن محمد بن كعب القرظى قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله تمنى فى نفسه ان يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم ان يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم حين حدث بذلك نفسه وتمنى وأحبه فانزل الله والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فلما انتهى الى قول الله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمنى ان يأتى به قومه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر بآلهتهم فاصاخوا له والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاءه به واتباعا لامره وسجد من فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد الا الوليد بن المغيرة فانه كان شيخا كبيرا فلم يستطع فاخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم وهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر وقد زعم فيما يتلوا انها الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بارض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أسلمت

تعالى عالما بكل المعلومات والا اشتبه عليه الصادق بالكاذب ان ذلك الذى ذكر وهو كل ما فى السماء والارض فى كتاب قال أبو مسلم أراد به الحفظ والضبط كالشئ المكتوب والجمهور على انه حقيقة وقد كتبه فى اللوح قبل حدوثه ولعل فى تلك الكتابة لطفا للملائكة لان مطابقة تلك الاشياء المكتوبة لما سيحدث الى الابد من أدل دليل على كونه عالم الذات ولذلك قال ان ذلك الكتب على الله يسير وهذا تصوير لضده وهو صعوبة مثل ذلك على غيره والاقلا مدخل لليسر والصعوبة فى كمال قدرته وحين بين كمال ألوهيته قطع شأن أهل الشرك بقوله ويعبدون الآية والمراد انهم لم يتمسكوا فى صحة عبادته بدليل سمعى ولا علم ضرورى وقوله وما للظالمين من نصير الظلم الشرك والنصرة اما بالشفاعة أو بالحجة ولا حجة الا للحق وهو كقوله فى آخر آل عمران وما للظالمين من أنصار وقد مر والمنكر دلائل الغيظ والحنق وقال جار الله هو الفظيع من التهجم واليسور ٧ وهو الانكار كالكرم بمعنى الانكار وقال الكلبى أراد انهم كرهوا القرآن مع وضوح دلائله وقال ابن عباس هو التجبر والترفع وقال مقاتل أنكروا ان يكون من الله تعالى السطو والوثب

والبطش أى يهمون بالبطش والوثوب لعظم انكارهم ما تلى عليهم وقوله من ذلكم اشارة الى غيظهم على العلين أو الى همهم ثم انه كان سائلا

قائلا ماذلك الشر فقيل النار أى هو النار ولاسيما ناروجهنم ثم استانف للنار حكما فقال وعدها الآية ويحتمل ان تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا ثم ضرب للاصنام مثلا فقال يا أيها الناس ضرب مثل انما قال بلفظ الماضى لانه معلوم من قبل لكل ذى عقل والمثل بمعنى المثل استعاروه لجلة من الكلام مستغربة مستفحة متلقاة بالرضى والقبول أهل للتيسير والارسال وذلك انهم جعلوا مضربها مثلا لموردها ثم استعاروا هذا المستعار للقصة أو الحالة والصفة المستغربة لتماثلها فى الغرابة وهذا هو الذى قصد فى الآية فاستمعوا له أى تدبروه وحق له ذلك فان الشئ المجرد لا نفع له قال جار الله محل ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا فكيف لو انفرد واو أقول الظاهر ان لو هذه للمبالغة وجوابه محذوف لدلالة ماتقدم عليه تقديره ولو اجتمعوا لخلق الذباب لن يخلقوا أيضا وليس من شرط كل جملة ان يكون لها محل ثم زاد لعجزهم وضعفهم تاكيدا بقوله وان يسلبهم الذباب الآية بمعنى اترك أمر الخلق والايجاد وتكلم فيما هو اسهل من ذلك ان هذا الحيوان الضعيف الذى لا قدرة لهم على خلقه لو سلب منهم شيأ لم يقدروا أيضا على استخلاص ذلك الشئ منه عن ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون

قريش فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون وأتى جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله وقلت مالم يقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وخاف من الله خوفا كبيرا فانزل الله تبارك وتعالى عليه وكان به رحيما يعزيه ويخفض عليه الامر ويخبره انه لم يكن قبله رسول ولا نبى تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب الا والشيطان قد ألقى فى أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته أى فانت كبعض الانبياء والرسل فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية فاذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذى كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم انها الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتضى يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الى قوله وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه قالت قريش ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغير ذلك وجاء بغيره وكان ذلك الحرف الذى ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعت فى فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن أبى العالية قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما جلساؤك عبيد بنى فلان ومولى بنى فلان فلو ذكرت آلهتنا بشئ جالسناك فانه يأتيك أشراف العرب فاذا رأوا جلساءك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك قال فالقى الشيطان فى أمنيته فنزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال فاجرى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترجى مثلهن لا ينسى قال فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم حين قرأها وسجد معه المسلمون والمشركون فلما علم الذى أجرى على لسانه كبر ذلك عليه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله والله عليم حكيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد بن سلمة عن داود بن أبى هند عن أبى العالية قال قالت قريش يا محمد انما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فان الناس يأتونك من الآفاق فقر أرسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم فلما انتهى على هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فالقى الشيطان على لسانه وهى الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون الا أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ كفا من تراب وسجد عليه وقال قد آن لابن أبى كبشة أن يذكر آلهتنا بخير حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ان قريشا قد أسلمت فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الى آخر الآية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير فسجد المشركون معه فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله عذاب يوم عقيم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال لما نزلت أفرأيتم اللات والعزى ثم ذكر نحوه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الى قوله والله عليم حكيم وذلك ان نبى الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلى اذ نزلت عليه قصة آلهة العرب فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا انا نسمعه يذكر آلهتنا بخير ونحن معه فبينما هو يتلوها وهو يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان ان تلك الغرانيق العلى

منها

منها الشفاعة ترتجى فجعل يتلوها فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم فنسخها ثم قال له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الى قوله والله عليم حكيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فان نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنزل الله عليه في آلهة العرب فجعل يتلو اللات والعزى ويكثر ترديدها فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم ففرحوا بذلك ودنوا يستمعون فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فانزل الله عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول الى والله عليم حكيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب انه سئل عن قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية قال ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم والنجم اذا هوى فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال ان شفاعتهن ترتجى وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض فسلموا عليه وفرحوا بذلك فقال لهم انما ذلك من الشيطان فانزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي حتى بلغ فينسخ الله ما يلقي الشيطان فتأويل الكلام ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول الى أمة من الامم ولا نبي محدث ليس بمرسل الا اذا تمنى * واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمني من النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثته نفسه من محبته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ومن قال ذلك محبة منه في بعض الاحوال أن لا تذكر بسوء * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا قرأ وتلا أو حدث ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يقول اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذا تمنى قال اذا قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا اذا تمنى يعني بالتمني التلاوة والقراءة وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك لان الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه انه يحكمها لا شك انها آيات تنزيله فمعلوم بذلك ان الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره انه نسخ ذلك منه وأبطله ثم أحكمه بنسخه ذلك منه فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان يقول تعالى فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطل الله ما ألقى الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وأحكم الله آياته وقوله ثم يحكم الله آياته يقول ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه والله عليم بما يحدث في خلقه من حدث لا يخفى عليه منه شئ حكيم في تدبيره اياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد) يقول تعالى ذكره فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ان يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل فتنة للذين في قلوبهم مرض من النفاق وذلك الشك في صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة

كلما ذب آب ثم عجب من ضعف الاصنام

والذباب بقوله ضعف الطالب والمطلوب فالصنم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم أو عبادته ويجوز ان يكون الطالب هو السالب والمطلوب المسلوب منه ثم بين ان المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة بهذه المثابة ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته وقدر مثله في الانعام ان الله لقوي عزيز قادر غالب فكيف يسوي بينه وبين العاجز المغلوب في العبادة وهي نهاية التعظيم وذلك انهم لو اعتقدوا كون تلك الاصنام طلسمات موضوعة على الكواكب فاذا لم تنفع نفسها في المقدار المذكور فلان لا تنفع غيرها أولى وان اعتقدوا انها تماثيل الملائكة أو الانبياء فلا يليق بها غاية الخضوع التي يستحقها خالق الكل وحين رد على أهل الشرك معتقدهم في الالهيات أراد ان يرد عليهم عقيدتهم في النبوات وهي ان الرسول لا يكون بشرا فقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فالملك رسول الى النبي والنبي رسول الى سائر البشر قاله مقاتل ههنا سؤالان الاول ان من للتبعيض فتفيد الآية ان بعض الملائكة رسل فيكون مناقضا لقوله جاعل الملائكة رسلا والجواب بان الموجبة الجزئية لا تناقض الموجبة الكلية أو أراد بهذا البعض من هو رسول الى بني آدم وهم أكابر الملائكة ولا يبعد ان يكون بعض الملائكة رسلا الى بعض

ما يخبرهم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اما النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لا يعيب الله آلهة المشركين فالقى الشيطان فى أمنيته فقال ان الآلهة التى تدعى ان شفاعتها لترتجى وانها لغرانيق العلى فنسخ الله ذلك وأحكم الله آياته أفرأيتم اللات والعزى حتى بلغ من سلطان قال قتادة فلما ألقى الشيطان ما ألقى قال المشركون قد ذكر الله آلهتهم بخير ففرحوا بذلك فذكر قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض يقول وللذين قست قلوبهم عن الايمان بالله فلا تلين ولا ترعوى وهم المشركون بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج والقاسية قلوبهم قال المشركون وقوله وان الظالمين لفى شقاق بعيد يقول تعالى ذكره وان مشركى قومك يا محمد لفى خلاف لله فى أمره بعيد من الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره وكى يعلم أهل العلم بالله ان الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ونسخ ما ألقى الشيطان فيه انه الحق من عند ربك يا محمد فيؤمنوا به يقول فيصدقوا به فتخبت له قلوبهم يقول فتخضع للقرآن قلوبهم وتذعن بالتصديق به والاقرار بما فيه وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم وان الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله الى الحق القاصد والحق الواضح بنسخ ما ألقى الشيطان فى أمنية رسوله فلا يضرهم كيد الشيطان والقاؤه الباطل على لسان نبيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك قال يعنى القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة أو ياتيهم عذاب يوم عقيم) يقول تعالى ذكره ولا يزال الذين كفروا بالله فى شك ثم اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله منه من ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه من قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال مما جاء الله به ابليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة * وقال آخرون بل هى من ذكر سجود النبى صلى الله عليه وسلم فى النجم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال فى مرية من سجودك * وقال آخرون بل هى من ذكر القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه قال من القرآن * وأولى هذه الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال هى كناية من ذكر القرآن الذى أحكم الله آياته وذلك ان ذلك من ذكر قوله وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك أقرب منه من ذكر قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان والهاء من قوله انه من ذكر القرآن فالحاق الهاء فى قوله فى مرية منه بالهاء من قوله انه الحق من ربك أولى من الحاقها بما التى فى قوله ما يلقى الشيطان مع بعد ما بينهما وقوله حتى تاتيهم الساعة يقول لا يزال هؤلاء الكفار فى شك من أمر هذا القرآن الى أن تاتيهم الساعة بغتة وهى ساعة حشر الناس لوقف الحساب بغتة يقول فجأة أو ياتيهم عذاب يوم عقيم * واختلف أهل التأويل فى هذا اليوم أى يوم هو فقال بعضهم هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا شيخ من أهل خراسان من الازد يكنى أبا اسحاق قال سألت الضحاك عن قوله عذاب يوم

عقيم

آخر منهم ونانبهما الله قال فى موضع آخر ولو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقد نص فى هذه الآية ان بعض الناس مصطفى فيلزم من مجموع الآيتين انه قد اصطفى ولدا والجواب ان تلك الآية دلت على ان كل ولد مصطفى ولكن لا يلزم من هذه الآية ان كل مصطفى ولد فى أين يحصل ما ادعيت والتحقيق ان الموجبتين فى الشكل الثانى لا ينتجان هذا ويحتمل ان تكون هذه الآية مسوقة للرد على عبدة الملائكة كما كانت الآية المتقدمة مسوقة للرد على عبدة الاصنام اذ يعلم من هذا ان علو درجة الملائكة ليس لكونهم آلهة بل لان الله اصطفاهم للرسالة حين كانوا امناء على وحيه لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ثم بين علو شانه وكمال علمه واحاطته باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر وان مرجع الامور كلها اليه وفى كل ذلك زجر عن الاقدام على المعصية وبعث على الجد فى الطاعة فلا جرم صرح بالمقصود قائلا يا أيها الذين آمنوا والظاهر انه خطاب مختص بالمؤمنين ويؤكده قوله بعد ذلك هو اجتباكم هو سماكم المسلمين وقيل عام لكل المكلفين لان المأمورات بعده لا تختص ببعض الناس دون بعض والتخصيص بالذكر لتشريف

عقيم قال عذاب يوم لا ليلة بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ان يوم القيامة لا ليلة له * وقال آخرون بل عنى به يوم بدر وقالوا انما قيل له يوم عقيم انهم لم ينظروا الى الليل فكان لهم عقيما ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد قال عذاب يوم عقيم يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو باتهم عذاب يوم عقيم قال ابن جريج يوم ليس فيه ليلة لم يناظروا الى الليل قال مجاهد عذاب يوم عقيم قال حدثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر قال قال مجاهد يوم بدر حدثني أبو السائب قال ثنا أبو ادريس قال أخبرنا الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير في قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر ذكره عن أبي بن كعب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله عذاب يوم عقيم قال هو يوم بدر عن أبي بن كعب وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية لانه لا وجه لان يقال لا يزالون في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة أو تاتيهم الساعة وذلك ان الساعة هي يوم القيامة فان كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فانما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الالفاظ وذلك ما لا معنى له فاذ كان ذلك كذلك فاولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب وهو ما ذكرناه من معناه فتأويل الكلام اذا ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة فيصيروا الى العذاب الدائم أو ياتيهم عذاب يوم عقيم لهم فلا ينظروا فيه الى الليل ولا يؤخروا فيه الى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء ﴿القول في تاويل قوله تعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) يقول تعالى ذكره السلطان والملك اذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان في الدنيا ملوك يدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه يحكم بينهم يقول يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين فالذين آمنوا بهذا القرآن وبمن أنزله ومن جاء به وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ والذين كفروا بالله ورسوله وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله وقالوا ليس ذلك من عند الله انما هو أفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون فاولئك لهم عذاب مهين يقول فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين يعني عذاب مذل في جهنم ﴿القول في تاويل قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا لير زقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين) يقول تعالى ذكره والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضى الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك لير زقنهم يوم القيامة في جناته رزقا حسنا يعني بالحسن الكريم وانما يعني بالرزق الحسن الثواب الجزيل وان الله لهو خير الرازقين يقول وان الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم وذكر ان هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله فقال بعضهم سواء المقتول منهم والميت وقال آخرون المقتول أفضل فانزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر قال كان فضالة بن دوس أميرا على الارباع فخرج بجنازتين رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت أقرأ قول الله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا الى قوله وان الله لعليم حليم ﴿القول في تاويل قوله تعالى (ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم) يقول تعالى ذكره ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم مدخلا يرضونه وذلك المدخل هو الجنة وان الله لعليم بمن هاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا حليم عن عصاة خلقه بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب ﴿القول في تاويل قوله

فانهم الذين قبلوا الخطاب ودل بالركوع والسجود على الصلاة لانهما ركنان معتبران وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود ذكره ابن عباس قال جار الله عن عقبة ابن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وهو مذهب الشافعي وأما أبو حنيفة فلا يرى هذه سجدة لانه قرن الركوع بالسجود قال فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة قدم الصلاة لانها أشرف العبادات ثم عم فامر بالعبادة مطلقا ثم جعل الامر أعم وهو فعل الخيرات الشامل للنوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كأنه قال كلفتكم الصلاة بل كلفتكم ما هو أعم منها وهو العبادة بل كلفتكم أعم وهو فعل الخيرات على الاطلاق وقيل معناه واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله عز وجل وعن ابن عباس ان فعل الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق ومعنى لعلكم تفلحون افعلوا كل ذلك راجين

تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك لهذا الهؤلاء الذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ولهم مع ذلك أيضا ان الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فاخرجوهم من ديارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قال هم المشركون بغوا على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده الله أن ينصره وقال فى القصاص أيضا وكان بعضهم يزعم ان هذه الآية نزلت فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين الى سنين بقيتا من المحرم وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ فى الاشهر الحرم فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر فابى المشركون ذلك وقاتلوهم فبغوا عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فانزل الله هذه الآية ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه بان بدئ بالقتال وهو له كاره لينصرنه الله وقوله ان الله لعفو غفور يقول تعالى ذكره ان الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم يحق غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذى فعل به غير معاقبه عليه ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وان الله سميع بصير) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا النصر الذى أنصره من بغى عليه على الباغى لانى القادر على ما أشاء فمن قدرته ان الله يولج الليل فى النهار يقول يدخل ما ينقص من ساعات الليل فى ساعات النهار فانقص من هذا زاد فى هذا ويولج النهار فى الليل ويدخل ما انتقص من ساعات النهار فى ساعات الليل فانقص من طول هذا زاد فى طول هذا وبالقدرة التى تفعل ذلك ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فاخرجوهم من ديارهم وأموالهم وأن الله سميع بصير يقول وفعل ذلك أيضا بانه ذو سمع لما يقولون من قول لا يخفى عليه منه شئ بصير بما يعملون لا يغيب عنه منه شئ كل ذلك منه بمرأى ومسمع وهو الحافظ لكل ذلك حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ايلاجى الليل فى النهار وايلاجى النهار فى الليل لانى أنا الحق الذى لا مثل لى ولا شريك ولا ند وان الذى يدعوه هؤلاء المشركون الها من دونه هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شئ بل هو المصنوع يقول لهم تعالى ذكره أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شئ وكل شئ دونه وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادته وقوله وأن الله هو العلى الكبير يعنى بقوله العلى ذو العلو على كل شئ هو فوق كل شئ وكل شئ دونه الكبير يعنى العظيم الذى كل شئ دونه ولا شئ أعظم منه وكان ابن جريج يقول فى قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله وان ما يدعون من دونه هو الباطل قال الشيطان * واختلفت القراء فى قراءة قوله وان ما تدعون من دونه فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز تدعون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر والياء أعجب القراءتين الى لان ابتداء الخبر على وجه الخطاب ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير) يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء يعنى مطرا فتصبح الارض مخضرة بما ينبت فيها من النبات ان الله لطيف باستخراج النبات من الارض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه خبير بما يحدث عن ذلك النبت من الحب وبه قال فتصبح الارض بفرفع وقد تقدمه قوله ألم تر وانما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام الخبر كأنه قيل اعلم يا محمد ان الله ينزل من السماء ماء فتصبح الارض ونظير ذلك قول الشاعر

ألم تسأل الربع القديم فينطق * وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

لان معناه قد سألته فنطق ﴿ القول فى تاويل قوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وان الله

الفلاح وهو الظفر بنعيم الاخرة لامتيقنين ذلك فان الانسان قلما يخلو فى أداء فرائضه من تقصير والعواقب أيضا مستورة ثم أمر بخلاف النفس والهوى فى جميع ما ذكر وهو الجهاد الاكبر فقال وجاهدوا فى الله أى فى ذاته من أجله حق جهاده أى حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه فاضافة الجهاد الى الله من قبيل التوسعة ولادنى ملابسة من حيث ان الجهاد فعل لوجهه وقيل هو أمر بالغزو أمروا ان يجاهدوا آخرا كما جاهدوا أولا فقد كان جهادهم فى الاول أقوى وكانوا فيه أثبت نحو صنيعهم يوم بدر وعن عمرانه قال لعبد الرحمن بن عوف أما علمت انا كنا نقرأ وجاهدوا فى الله حق جهاده فى آخر الزمان كما جاهدتم فى أوله فقال عبد الرحمن ومتى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كانت أمية الامراء وبنو المغيرة الوزراء قال العلماء لو صحت هذه الرواية فلعل هذه الزيادة من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليست من نفس القرآن والا لتواترت واما عبارات المفسرين فعن ابن عباس حق جهاده أى لا تخافوا فى الله لومة لائم وقال الضحاك اعملوا لله حق عمله * وقال آخرون استفرغوا ما فى وسعكم فى احياء دين الله واقامة حدوده باليد واللسان

لهو الغنى الحميد) يقول تعالى ذكره له ملك ما فى السموات وما فى الارض من شئ هم عبيده ومماليكه وخلقه لاشريك له فى ذلك ولا فى شئ منه وان الله هو الغنى عن كل ما فى السموات وما فى الارض من خلقه وهم المحتاجون اليه الحميد عند عباده فى افضاله عليهم وأياديه عندهم ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما فى الارض من الدواب والبهائم فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم والفلك تجرى فى البحر بأمره يقول وسخر لكم السفن تجرى فى البحر بامره يعنى بقدرته وتذليله اياها لكم كذلك واختلفت القراء فى قراءة قوله والفلك تجرى فقرأته عامة قراء الامصار والفلك نصبا بمعنى سخر لكم ما فى الارض والفلك عطفا على ما وعلى تكرير ان وان الفلك تجرى وروى عن الاعرج انه قرأ ذلك رفعا على الابتداء والنصب هو القراءة عندنا فى ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ويمسك السماء أن تقع على الارض يقول ويمسك السماء بقدرته كى لا تقع على الارض الا باذنه ومعنى قوله أن تقع أن لا تقع ان الله بالناس لرؤف بمعنى انه بهم لذو رأفة ورحمة فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه وسخر لكم ما وصف فى هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك ﴿القول فى تاويل قوله تعالى (وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) يقول تعالى ذكره والله الذى أنعم عليكم هذه النعم هو الذى جعل لكم أجساما احياه بحياة أحدثها فيكم ولم تكونوا شيأ ثم هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجىء آجالكم ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ان الانسان لكفور يقول ان ابن آدم لجحود لنعم الله التى أنعم بها عليه من حسن خلقه اياه وتسخيره له ما سخر مما فى الارض والبر والبحر وتركه اهلاكه بامساكه السماء أن تقع على الارض بعبادة غيره من الآلهة والانداد وتركه افراده بالعبادة واخلاص التوحيد له وقوله لكل أمة جعلنا منسكا يقول لكل جماعة قوم هى خلت من قبلك جعلنا ما ألفوه ومكانا يعتادونه لعبادته فيه وقضاء فرائضى وعملا يلزمونه وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد الذى يعتاده الرجل و يألفه لخير أو شر يقال ان لفلان منسكا يعتاده يراد مكانا يغشاه و يألفه لخير أو شر وانما سميت مناسك الحج بذلك لتردد الناس الى الاماكن التى تعمل فيها أعمال الحج والعمرة وفيه لغتان منسك بكسر السين وفتح الميم وذلك من لغة أهل الحجاز ومنسك بفتح الميم والسين جميعا ذلك من لغة أسد وقد قرئ باللغتين جميعا وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ولكل أمة جعلنا منسكا أى المناسك عنى به فقال بعضهم عنى به عيدهم الذى يعتادونه ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه يقول عيدا ﴿وقال آخرون عنى به ذبح يذبحونه ودم يهريقونه ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا ابن جريج عن مجاهد فى قوله ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه قال اراقة الدم بمكة **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هم ناسكوه قال اهراق دماء الهدى **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة منسكا قال ذبحا وجاء والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى بذلك اراقة الدم أيام النحر بمنى لان المناسك التى كان المشركون جادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اراقة الدم فى هذه الايام على انهم قد كانوا اجادلوه فى اراقة الدماء التى هى دماء ذبائح الانعام بما قد أخبر الله عنهم فى سورة الانعام غير ان تلك لم تكن مناسك فاما التى هى مناسك فانما هى هدايا أو ضحايا ولذلك قلنا عنى بالمنسك فى هذا الموضع الذبح الذى هو بالصفة التى وصفنا وقوله فلا ينازعنك فى الامر يقول تعالى ذكره فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد فى ذبحك ومنسكك بقولهم

وجميع ما يمكن وردوا أنفسكم عن الهوى والميل وعن مقاتل والكلبى ان الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كما ان قوله اتقوا الله حق تقاته منسوخ بذلك وضعف بان التكليف مشروط بالقدرة فلا حاجة الى التزام النسخ ثم عظم شان المكلفين بقوله هو اجتباكم أى اختاركم لدينه ونصرته وفيه تشريف كقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم كان لقائل ان يقول التكليف وان كان تشريفا الا ان فيه مشقة على النفس فقال وما جعل عليكم فى الدين من حرج أى ضيق وشدة وذلك بانه فتح باب التوبة ووسع على المكلفين بانواع الرخص والكفارات والديات والارش يروى ان أبا هريرة قال كيف قال سبحانه وما جعل عليكم فى الدين من حرج مع انا منعنا عن الزنا والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم قالت المعتزلة لو خلق الله فيه الكفر ثم نهاه عنه كان ذلك من أعظم الحرج وعورض بانه نهاه عن الكفر مع انه علم ذلك منه وكانه أمره بقلب علم الله جهلا وهو أعظم الحرج ثم أثنى على هذه الامة بقوله ملة أبيكم أى أثنى الدين ملة أبيكم ويجوز ان ينتصب بمضمون ما تقدم كانه قيل

أنا كلون ماقتلتم ولا نا كلون الميتة التي قتلها الله فانك أولى بالحق منهم لانك تحق وهم مبطلون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلا ينازعنك في الامر قال الذبح حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلا ينازعنك في الامر فلا تتحاكم اليك وقوله وادع الى ربك يقول تعالى ذكره وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك الى اتباع أمر ربك في ذلك بان لا يأكلوا الا ماذبح بحوه بعد اتباعك و بعد التصديق بما جئتهم به من عند الله وتجنبوا الذبح للآلهة والاوثان وتبرؤا منها انك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولامتك و بك وهم الضلال عن قصد السبيل لخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك فقل الله أعلم بما تعملون ونعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وان جادلوك قال قول أهل الشرك اما ماذبح الله للميتة فقل الله أعلم بما تعملون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) يقول تعالى ذكره ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع والارضين السبع لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا فمجازي المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته ان ذلك في كتاب يقول تعالى ذكره ان علمه بذلك في كتاب وهو أم الكتاب الذي كتب فيه و بنا جل ثنائه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن الى يوم القيامة ان ذلك على الله يسير كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا ميسر بن اسمعيل الحلبي عن الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة قال علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون ثم كتبه ثم قال لنبيه ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ميسر عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة ابن حبيب يقول ان الله كان على عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل ان يبدأ شيأ من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني معتمر بن سليمان عن أبيه عن سيار عن ابن عباس انه سأل كعب الاحبار عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا وكان ابن جريج يقول في قوله ان ذلك في كتاب ما حدثنا به القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج ان ذلك في كتاب قال قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون وانما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك لان قوله ان ذلك الى قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض أقرب منه الى قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون فكان الحاق ذلك بما هو أقرب اليه أولى منه بما بعد وقوله ان ذلك على الله يسير اختلف في ذلك فقال بعضهم معناه ان الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان ذلك على الله يسير قال حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب * وقال آخرون بل معنى ذلك ان كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك وذلك ان قوله ان ذلك على الله يسير الى قوله ان ذلك في كتاب أقرب وهو له مجاور ومن قوله الله يحكم بينكم يوم القيامة متباعد مع دخول قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض بينهما فالحاقه بما هو أقرب أولى وأوجد للكلام وهو

وسع دينكم نوسعة ملة أبيكم فاقام المضاف اليه مقام المضاف وانما كان ابراهيم أباهذه الامة لانه أبو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل نبي أبو أمته والمراد ان التوحيد والحنيفية هي مما شرعه ابراهيم هواى الله أو ابراهيم سماكم المسلمين من قبل أي في سائر الكتب أوفي قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وفي هذا القرآن اما ان كان المسمي هو الله فظاهر واما ان كان هو ابراهيم فلعله أراد ان حكاية دعائه مذكورة في القرآن وقوله ليكون الرسول متعلق بقوله هو اجتباكم أي فضلكم على الامم لهذا الغرض نظيره قوله في البقرة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا والاصل تقديم الامة كما في البقرة لان الخطاب معهم وليقع الختم على شهادة الرسول كما هو الواقع الا انه عكس الترتيب في هذه السورة لينا ط به قوله فأقيموا الصلاة والمراد اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوه واعتصموا بدلائله العقلية والسمعية أو بالطافه وعنايته قال ابن عباس سلوا الله العصمة عن كل المحرمات * وقال آخرون اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون فهو خير مولى وناصر استدلت المعتزلة بالآية في قولهم انه يريد الايمان من الكل من وجوه الاول

كذلك خرج فى التأويل صحيح ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ومالس لهم به علم وما للظالمين من نصير) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه مالم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء فى كتاب من كتبه التى أنزلها الى رسله بانها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بان الله أذن لهم فى عبادتها ومالس لهم به علم انها آلهة ومالظالمين من نصير يقول ومالكافرين بالله الذين يعبدون هذه الاوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه اذا أراد عقابهم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) يقول تعالى ذكره واذا تتلى على مشركى قريش العابدين من دون الله مالم ينزل به سلطانا آياتنا يعنى آيات القرآن بينات يقول واضحات حجها وأدلتها فيما أنزلت فيه تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يقول يتبين فى وجوههم ما ينكره أهل الايمان بالله من تغيرها السماعهم القرآن وقوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يقول يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لشدة تنكرهم ان يسمعوا القرآن ويتلى عليهم * وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله يسطون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يبطشون **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يكادون يسطون يقول يقعون بمن ذكرهم **حدثنا** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قال يكادون يقعون بهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا* الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكادون يسطون قال يبطشون كفار قريش **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يكادون ياخذونهم بايديهم أخذا وقوله قل أفانبئكم بشر من ذلكم يقول أفانبئكم أيها المشركون بأكره اليكم من هؤلاء الذين تتكرهون قراءتهم القرآن عليكم هى النار وعدها الله الذين كفروا وقد ذكر عن بعضهم انه كان يقول ان المشركين قالوا والله ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه لشر خلق الله فقال الله لهم قل أفانبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد صلى الله عليه وسلم أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ورفعت النار على الابتداء ولانها معرفة فلا تصلح ان ينعت بها الشر وهو نكرة وهو كما يقال مررت برجلين أخوك وأبوك ولو كانت نخفوضة كان جائزا وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها فى وعدها وأنت تنوى بها الاتصال بما قبلها يقول تعالى ذكره فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه وقوله وبئس المصير يقول وبئس المكان الذى يصير اليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة * القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) يقول تعالى ذكره يا أيها الناس جعل لكم مثل وذكر ومعنى ضرب فى هذا الموضع جعل من قولهم ضرب السلطان على الناس البعث بمعنى جعل عليهم وضرب الجزية على النصارى بمعنى جعل ذلك عليهم والمثل الشبه يقول جل ثناؤه جعل لكم شبه أيها الناس يعنى بالشبه والمثل الآلهة يقول جعل لكم المشركون الاصنام شبها فعبدوها معى واشركوها فى عبادتى فاستمعوا له يقول فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لى فى عبادتهم اياه شبها وصفته ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا يقول ان جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والاصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا فى صغره وقلته لانها لا تقدر على

انه أراد ان يكونوا شهداء ولن يكونوا كذلك الا اذا آمنوا الثانى انه لا يمكن الاعتصام به الا اذا لم يوجد منه الشر البتة الثالث انه لو خلق فى عباده الكفر والمعاصى لم يكن نعم المولى وأجيب بعد تسليم ارادة الايمان من الكل ان ارادة الشئ ان كانت مستلزمة لارادة لوازمه فارادة الايمان من الكفار تستلزم ان يكون الله تعالى مريدا لجهل نفسه وان لم تستلزم فقد سقط السؤال وأيضا الاعتصام به انما يكون منه كقوله أعوذ بك منك وأيضا انه خلق الشهوة فى قلب الفاسق وخلق المشتهى وقربه منه ودفع المانع وسلط عليه شياطين الانس والجن فلو لم تكن كل هذه مقتضية لكونه بئس المولى لم يكن خلق الكفر أيضا مقتضيا لذلك * التاويل سخر لكم ما فى أرض البشرية من الصفات الحيوانية والشيطانية وسخر فلك الواردات المغيبة تجرى فى بحر القلب وبمسك سماء القلب ان تقع على أرض النفس بان تتصف بصفاتها الا باذنه بقدر ما أباحه الشرع من ضروريات المأكول والملبوس وغيرهما وهو الذى أحياكم بازدواج الروح الى القالب ثم يميتكم عن صفات البشرية ثم يحييكم بنور الصفات الربانية فلا ينازعنك فى أمرك

ذلك ولا تطيقه ولو اجتمع بخلقه جميعها والذباب واحد وجمعه فى القلة أذبة وفى الكثير ذبان نظير غراب يجمع فى القلة أغربة وفى الكثرة غربان وقوله وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه يقول وان يسلب الآلهة والاوثان الذباب شيأ مما عليها من طيب وما أشبهه من شئ لا يستنقذوه منه يقول لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه * واختلف فى معنى قوله ضعف الطالب والمطلوب فقال بعضهم عنى بالطالب الآلهة وبالمطلوب الذباب ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فى ضعف الطالب قال آلهتهم والمطلوب الذباب وكان بعضهم يقول معنى ذلك ضعف الطالب من بنى آدم الى الصنم حاجته والمطلوب اليه الصنم ان يعطى سائله من بنى ادم ما سأله يقول ضعف عن ذلك وعجز * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها اياه وهو الطيب وما أشبهه والمطلوب الذباب وانما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك لان ذلك فى سياق الخبر عن الآلهة والذباب فان يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا عما هو عنه منقطع وانما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها فى هذه الآية من ضعفها وهوانها تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركى قريش يقول تعالى ذكره كيف يجعل لى مثل فى العبادة و يشرك فيها من هو بى مالا قدرة له على خلق ذباب وان أخذله الذباب فسلبه شيأ عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر وأنا الخالق ما فى السموات والارض ومالك جميع ذلك والمحيى من أردت والمميت ما أردت ومن أردت ان فاعل ذلك لا شك انه فى غاية الجهل وقوله ما قدروا الله حق قدره يقول ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا فى العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم ما عرفت لفلان قدره اذا خاطبوا بذلك من قصر بحقه وهم يريدون تعظيمه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان يسلبهم الذباب شيأ الى آخر الآية قال هذا مثل ضربه الله لآلهتهم وقرأ ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه وقوله ان الله لقوى يقول ان الله لقوى على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبير عزيز يقول لمنيع فى ملكه لا يقدر شئ دونه ان يسلبه من ملكه شيأ وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ولا على الامتناع من الذباب اذا استلبها شيأ ضعفا ومهانة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) يقول تعالى ذكره الله مختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل الذين كانا رسلهما الى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم الى عباده من بنى آدم ومعنى الكلام الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل انما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فقال الله لهم ذلك الى و بيدى دون خلقى اختار من شئت منهم للرسالة وقوله ان الله سميع بصير يقول ان الله سميع لما يقول المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور) يقول تعالى ذكره الله يعلم ما كان بين أيدى ملائكته و رسله من قبل أن يخلقهم وما خلفهم يقول و يعلم ما هو كائن بعدفنائهم والى الله ترجع الامور يقول الى الله فى الآخرة تصير اليه أمور الدنيا والبه تعود كما كان منه البدو ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله و رسوله اركعوا لله فى صلاتكم واسجدوا له فيها واعبدوا ربكم يقول وذلوا لربكم واخضعوا له بالطاعة وافعلوا الخير الذى أمركم بكم بفعله لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا بذلك فتدركوا به طلبا تكم عند ربكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده فقال بعضهم معناه وجاهدوا المشركين فى سبيل الله حق جهاده ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن عبد الله بن عباس فى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده كما جاهدتم أول

فان لك مع الله وقتا لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولكل قوم رتبة لا يتجاوزونها ان الذين يدعون من دون الله كالاصنام الظاهرة والباطنة لن يطاوعوا على كيفية خلق الذباب وان يسلبهم ذباب هو أجس النفس شيأ من صفاء القلب وجمعية الوقت ضعف الطالب وهو القلب غير المؤيد بنور الايمان والمطلوب وهو النفس والشيطان اركعوا بالنزول عن مرتبة الانسانية الى خضوع الحيوانية ومنهم من يمشى على أربع واسجدوا بالنزول الى مرتبة الحيوانية والنجم والشجر يسجدان واعبدوا ربكم بجعل الطاعة خالصة له وافعلوا الخير بمراقبة الله فى جميع أحوالكم لعلكم تفلحون بالوصال وجاهدوا فى الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها باداء الحقوق وترك الحظوظ

حرة فقال عمر من أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس فقال عمر صدقت * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تخافوا في الله لومة لائم قالوا وذلك هو حق الجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله وجاهدوا في الله حق جهاده لا تخافوا في الله لومة لائم * وقال آخرون معنى ذلك اعملوا بالحق حق عمله وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من في روايته نظر * والصواب من القول في ذلك قول من قال عني به الجهاد في سبيل الله لان المعروف من الجهاد ذلك وهو الاغلب على قول القائل جاهدت في الله وحق الجهاد هو استفراغ الطاقة فيه وقوله هو اجتباكم يقول هو اختاركم لدينه واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هو اجتباكم كما قال هو هداكم وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول تعالى ذكره وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه بل وسع عليكم فجعل التوبة من بعض مخرجا والكفارة من بعض والقصاص من بعض فلا ذنب يذنبه المؤمن الا وله منه في دين الاسلام مخرج * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد عن ابن شهاب قال سأل عبد الملك بن مروان علي بن عبد الله بن عباس عن هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج فقال علي بن عبد الله الحرج الضيق فجعل الله الكفارات مخرجا لمن ذلك سمعت ابن عباس يقول ذلك قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يسأل عن ما جعل عليكم في الدين من حرج قال ما ههنا من هذيل أحد فقال رجل نعم قال ما تعدون الحرجة فيكم قال الشئ الضيق قال ابن عباس فهو كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس وذكر نحوه الا أنه قال فقال ابن عباس أههنا أحد من هذيل فقال رجل أنا فقال أيضا ما تعدون الحرج وساق الحديث مثله حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا يحيى بن حمزة عن الحكم بن عبد الله قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هو الضيق حدثنا عبيد ابن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا أبو خلدة قال قال لي أبو العالية المنزى ما الحرج قلت لا أدري قال الضيق وقرأ هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال من ضيق حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال قال لي أبو العالية هل تدري ما الحرج قلت لا قال الضيق ان الله لم يضيق عليكم لم يجعل عليكم في الدين من حرج حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن القاسم انه تلا هذه الآية وما جعل عليكم في الدين من حرج قال تدرون ما الحرج قال الضيق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي دعا ابن عباس اعرابيا فقال ما الحرج قال الضيق قال صدقت حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في الدين من حرج قال من ضيق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون معنى ذلك ما جعل عليكم في الدين من حرج من ضيق في أوقات فروضكم اذا التبست عليكم ولكنه قد وسع عليكم حتى تيقنوا محله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عثمان ابن بشار عن ابن عباس في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال هذا في هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفي الحج اذا شكوا في الهلال وفي الفطر والاضحى اذا التبس عليهم وأشباهه * وقال آخرون بل معنى ذلك ما جعل في الاسلام من ضيق بل وسعه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق هو واسع وهو مثل قوله في الانعام لمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول من ضيق يقول جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا وقوله ملة أبيكم ابراهيم نصب بملة بمعنى وما جعل عليكم في الدين من حرج بل وسعه كملة أبيكم فلم يجعل فيها

وجهاد القلب بتدفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناه الوجود في وجوده هو اجتباكم لهذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا انه اجتباكم ما اهتديتم اليه كما قيل فلولاكم ما عرفنا الهوى وما جعل عليكم في دين العشاق وهو السير الى الله من ضيق من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا والسير الى الله من سنة ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين هو سماكم المسلمين في الازل وهو في هذا الطور وانما قدم الرسول لان روحه في طرف الازل متقدم أول ما خلق الله روحي فهو مشرف وقتئذ على أرواح أمته وبعد ذلك خلقت أرواح أمته مشرفين على أرواح غيرهم وفي سورة البقرة اعتبر طرف الابد فوقع الختم على الرسول وعلى شهادته فاقيموا

الكاف اتصلت بالفعل الذى قبلها نصبت وقد يحتمل نصبها ان تكون على وجه الامر بها لان الكلام قبله أمر فكانه قيل اركعوا واسجدوا والزموا ملة أبيكم ابراهيم وقوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا يقول تعالى ذكره سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هو سماكم المسلمين يقول الله سماكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء بن أبى رباح انه سمع ابن عباس يقول الله سماكم المسلمين من قبل **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة **وحدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين قال الله سماكم المسلمين من قبل **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين قال الله سماكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هو سماكم المسلمين من قبل يقول الله سماكم المسلمين * **وقال آخرون** بل معناه ابراهيم سماكم المسلمين وقالوا هو كناية من ذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو سماكم المسلمين قال ألا ترى قول ابراهيم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال هذا قول ابراهيم هو سماكم المسلمين ولم يذكر الله بالاسلام والايمان غير هذه الامة ذكرت بالايمان والاسلام جميعا ولم نسمع بامة ذكرت الا بالايمان ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك لانه معلوم ان ابراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين فى القرآن لان القرآن أنزل من بعده بدهر طويل وقد قال الله تعالى ذكره هو سماكم المسلمين من قبل نزول القرآن وفى القرآن الذى لم يزال ولا نزال وأما قوله من قبل فان معناه من قبل نزول هذا القرآن فى الكتب التى نزلت قبله وفى هذا يقول وفى هذا الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا القرآن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من قبل قال فى الكتب كلها والذكر وفى هذا يعنى القرآن وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة بانه قد بلغكم ما أرسل به اليكم وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين انهم قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به اليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة هو سماكم المسلمين من قبل قال الله سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم بانه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان رسلهم قد بلغتهم وبه عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ما لم يعطه الا نبى كان يقال للنبى اذهب فليس عليك حرج وقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبى كان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم اذهب فليس عليك حرج فقال الله وما جعل عليكم فى الدين من حرج قال وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت شهيد على قومك وقال الله لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال الله ادعونى أستجب لكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير يعنى تعالى ذكره بقوله فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يقول فادوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها وآتوا الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم واعتصموا بالله يقول وثقوا بالله وتوكلوا عليه فى أموركم فنعم المولى يقول فنعم الولى الله لمن فعل ذلك منكم فاقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده واعتصم به ونعم النصير يقول ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء

الصلاة بدوام السير والعروج الى الله والتعظيم لامره وآتوا الزكاة بدعوة الخلق الى الله والشفقة عليهم واعتصموا بحبل الله حتى تصلوه اليه هو مولى افنائكم عنكم فنعم المولى فى افنائه وجودكم ونعم النصير فى ابقائكم بربكم

*(تم الجزء السابع عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثامن عشر وأوله (سورة المؤمنون) *